

المختار من كتاب

# الكامِلك

## في اللغة والأدب

للمبرد

اختيار

الدكتور حسين نصار

أستاذ الأدب العربي

عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة «سابقاً»

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

جميع الحقوق محفوظة للناسر

٢٠٠١ / ١٤٧٧٨	رقم الإبداع
977 - 341 - 050 - 1	I. S. B. N الترقيم الدولي



الناسر  
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢١ شارع بورسعيد - الطاهر - القاهرة

ت. ٥٩٢٢٢٠ فاكس: ٥٩٣١٧٧

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

قال العالم المعروف ابن خلدون : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن ( فن الأدب ) وأركانه أربعة دواوين ، وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .  
تلك نظرة القدماء إلى كتاب الكامل للمبرد . . . الكتاب الذي دفعني القول السابق وأمثاله إلى محاولة تقديمه إلى القراء ، في هذه الصورة التي أشارت بها إدارة التراث العربي من وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، تيسيراً على القارئ العام ، وغير المتخصص في دراسة الأدب .

وصاحب هذا الكتاب محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي البصري ، أبو العباس المبرّد ، من العلماء الأدباء ، الذين نالوا من الشهرة في حياتهم ما لم تنقصه الأيام .

ولد أبو العباس يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشر ومئتين ، وقيل : سنة سبع ومئتين بمدينة البصرة من العراق .

واختلف المؤرخون في أصل المبرد . فنقل ابن النديم « من خط الحكيمى من كتاب حلية الأدباء ، قال أبو عبد الله محمد بن القاسم : كان المبرد من السورحيين بالبصرة ، ممن يُكسر الأَرْضِينَ ، وكان يقال له : حَيان السورحى ، وانتمى إلى اليمن ، ولذلك تزوج المبرد ابنة الحفصى ، والحفصى شريف من اليمنية » . واختار المبرد من قبائل اليمن ثمالة من الأزد ، لينتسب إليها . واشتهى أن يشتهر بهذه القبيلة ، فصنع أبياتا من الشعر في هجاء نفسه كى لا يشك فيها أحد ، فشاعت وحصل له مقصوده . هذه الأبيات هى قوله :

سألنا عن ثمالة كل حَيٍّ	فقال القائلون : ومن ثمالة ؟
فقلت : محمد بن يزيد منهم	فقالوا : زدتنا بهم جهالة
فقال لى المبرد : خلّ عنى	فقومى معشر فيهم ندالة

وذهب غير هؤلاء من العلماء إلى أنه عربى من هذه القبيلة ، وأن الشعر قاله عبد الصمد بن المعدل في هجائه .

وإذ كانت البصرة في عصر المبرد موطن الأدب واللغة والنحو ، أخذ يتلقى هذه العلوم في حلقاتها المختلفة . ثم ارتحل إلى بغداد ليكمل دراساته . فدرس على أبي عمر الجرمى ، وأبي عثمان المازنى ، وأبي حاتم السجستاني وغيرهم من أهل العربية . ويقال : إنه بدأ بقراءة كتاب سيويه على الجرمى ، ثم ختمه على المازنى ، وصار بعدُ أكثرُ اعتماده على الأخير منهما .

وما زالت همة المبرد تسمو به إلى أن صار إمام المذهب البصرى في النحو العربى ببغداد . وخلق عليه المؤرخون صفات التمجيد ، ف قيل عنه : « كان حسن المحاضرة ، فصيحاً ، بليغاً ، مليح الأخبار ، ثقة فيما يرويه ، كثير النوادر ، فيه ظرافة ولباقة » .

وقال أبو بكر بن مجاهد : « ما رأيت أحسن جوابا من المررد في معاني القرآن ،  
 فيما ليس فيه قول لمتقدم » . وقال نبطويه : « ما رأيت أحفظ لأخبار بغير أسانيد  
 منه ومن أبي العباس بن القُرات » . وقال أبو سعيد السيرافي : « وقد نظر في  
 كتاب سيويه في عصره جماعة لم يكن لهم كتناهيه ، مثل أبي ذكوان القاسم بن  
 إسماعيل ، ومثل أبي علي بن ذكوان ، ومثل أبي يعلى بن أبي زُرعة ، من أصحاب  
 الحديث ، ومثل الطبري ، ومثل أبي عثمان الاشنانداني ، وأبي بكر محمد بن إسماعيل  
 المعروف بمبرمان وغيرهم » . وقال إسماعيل القاضي : « ما رأى المررد مثل نفسه » .  
 وبعد أن بلغ المررد ما بلغ ، اصطدم برأس المذهب الذي يخاصم مذهب أهل  
 البصرة ، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، إمام الكوفيين في عصره .  
 واشتهرت الخصومة بينهما ، حتى ضربت بها الأمثال . قال بعض الشعراء :

كفَى حَزَنَا أَنَا جَمِيعَا بِلْدَةٍ	ويجمعنا في أرضها شرُّ مَشْهَدِ
وكلُّ لِكُلِّ مُخْلِصُ الوُدِّ وَا مَقِّ	ولكنه في جانب عنه مُفْرَدِ
نروح ونغدو لا تزاوَرُ بَيْنَنَا	وليس بمضروب لنا يومٌ موعِدِ
فأبدانا في بلدةٍ والتقاؤنا	عَسِيرٌ كَلْقِيَا ثعلبٍ والمردِ

وقامت معارك شعرية بين الإمامين وأنصارهما ، يحاول كل شاعر فيها أن يدافع  
 عن إمامه ويهاجم خصمه . قيل « جاء رجل إلى ثعلب فقال له : يا أبا عباس ،  
 قد هجأك المررد . فقال : بماذا ؟ فأنشده :

أَقْسَمُ بِالْمَبْتَسِمِ العَذْبِ	ومُشْتَكِي الصَّبِّ إلى الصَّبِّ
لو أخذ النحو عن الربِّ	ما زاده إلا عمى القلبِ

فقال : أنشدني من أنشده أبو عمرو بن العلاء :

يشتمني عبدُ بني مِسمعٍ      فصُئتُ عنه النفس والعرضُ  
ولم أجه لاحتقاري له      من ذا يعض الكلبُ إن عضا

وقال أحمد بن عبد السلام يفضل المبرد على ثعلب :

رأيت محمد بن يزيد يسمو      إلى الخيرات في جاهٍ وقدرٍ  
جليس خلائفٍ وغدِيٍّ مُلكِ      وأعلم من رأيتُ بكل أمرٍ  
وفتيانِيَّةِ الظرفاءِ فيهِه      وأهمة الكـبيرِ بغيرِ كِبَرِ  
فينثر إن أجال الفكرَ دُرًّا      وينثر لؤلؤًا من غيرِ فكرِ  
وكان الشعر قد أودى فأحيا      أبو العباس دائر كل شعرِ  
وقالوا : ثعلبٌ رجل عليم      وأين النجم من شمسٍ وبدرٍ ؟  
وقالوا : ثعلب يفتي ويعلى      وأين الثُّغلبان من الهزْبِ ؟

وتوسط بعض الشعراء فقال :

أيا طالبَ العلم لا تَجْهَلَنَّ      وعُدُّ بالمبرد أو ثعلبِ  
تجد عند هذين علم الوري      فلا تك كالجمل الأجرِبِ  
علوم الخلائق مقرونة      بهذين في الشرق والمغربِ

وكان المبرد يجب الاجتماع بثعلب في المناظرة ، وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه . وقد روى خبر عن ذلك يكشف عن شخصية الرجلين . حكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلی ، وكان صديقهما ، قال : قلت لأبي

عبد الله الدينوري ختن ثعلب : « لم يَأبِ ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ » فقال : « لأن المبرد حسن العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ؛ وثعلب مذهبه مذهب المعلمين . فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر ، إلى أن يُعرف الباطن ».

ويبدو أن لهذه الخصومة ، إلى جانب ما اتصف به المبرد من سعة الثروة اللغوية ، أثرها في اتهامه بالكذب والانتحال والخطأ . قال العجوزي : « صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابني عبيد الله بن سليمان بن وهب . فقال لى القاسم : « سَلُّهُ عن شيء من الشعر » . فقلت : « ما تقول أعزك الله في قول أوس :

وغيرها عن وصلها الشيبُ إنه شفيعٌ إلى بيض الخدور مُدْرَبُ »

فقال بعد تمكث وتمهل وتمطق : « يريد أن النساء أنسن به فصرن لا يسترن منه » . ثم صرنا إلى أبي العباس ثعلب . فلما غص المجلس سألته عن البيت . فقال : « قال لنا ابن الأعرابي : إن الهاء في « إنه » للشباب ، وإن لم يجر له ذكر ، لأنه عَلِمَ » . والتفتُ إلى الحسن والقاسم وقلت : « أين صاحبنا من صاحبكم ؟ » . وقال المفجّع البصرى : كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها ، يُتهم بالوضع فيها . فتواضعنا على مسألة نسأله عنها لا أصل لها ، لننظر ماذا يجيب . وكنا قبل ذلك تماريناً في عروض بيت الشاعر :

أبا مُنْذِرٍ أَقْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضُنَا حَنَائِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فقال البعض : هو من البحر الفلاني . وتردد على أفواهنا من تقطيعه :

« قِ بَعْضَنَا » . ثم ذهبنا إلى المبرد فقلنا له : « أيدك الله تعالى ، ما القَبْعُضُ عند العرب ؟ » فقال : « هو القطن ، وفي ذلك يقول الشاعر : \* كَأَنَّ سَنَامَهَا حُشِيَّ القَبْعُضَا \* » . فقلت لأصحابي : « ترون الجواب والشاهد ، فإن كان صحيحا فهو عجب ، وإن كان مُخْتَلَقًا على البديهة فهو أعجب » .

وتوفي المبرد يوم الاثنين ليلتين بقيتا من ذى الحجة - وقيل : ذى القعدة - سنة ست وثمانين ، وقيل : خمس وثمانين ومنتين ببغداد . ودفن في مقابر باب الكوفة . ورثاه أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العَلَّاف ، وقيل : خصمه نعلب ، فقال :

ذهب المبرد وانقضت أيامه	وَلْيَذْهَبَنَّ مع المبرّد نعلبُ
بيت من الآداب أضحى نصفه	خربا ، وباقي النصف منه سيخرب
فتزودوا من نعلب فبكأس ما	شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه	إن كانت الأنفاس مـا يكتب

وقد اختلف العلماء في صورة لقب أبي العباس وسببها . قيل إن البصريين يلقبونه المبرّد بكسر الراء ، وإن الكوفيين حرفوه ، ففتحوا الراء . فقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الألقاب : إن المبرد سئل : « لم لقبت بهذا اللقب ؟ » فقال : « كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والذاكرة ، فكرهت الذهاب إليه . فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، ف جاء رسول الرائي يطلبني . فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزملة فارغا . فدخلت فيه وغطى رأسه . ثم خرج إلى الرسول وقال : هو ليس عندي : فقال : أخبرت أنه دخل إليك . فقال : ادخل الدار وفتشها . فدخل فطاف كل موضع في الدار ، ولم يفتن لغلاف المزملة ثم خرج . فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة : المبرّد ، المبرّد .

وتسارع الناس بذلك ، فلهجوا به » . وقال ياقوت : « إنما لقب بالمررد ، لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام ، سأله عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازني : « قم فأنت المررد » بكسر الراء ، أى المثبت للحق ، فحرفه الكوفيون ، وفتحوا الراء » .

وكان المررد من العلماء الكثيرين في التصنيف في النواحي المختلفة من الثقافة العربية ؛ ألف في النحو ، واللغة ، والأدب ، والقرآن ، والأخبار ، والأنساب ، وغيرها . ولدينا قائمة طويلة بأسماء ما ألف من كتب . ولكن بعض الغموض غطى على أشياء من هذه القائمة . ولذلك نستطيع القطع بموضوع بعض الكتب ومادتها وبأسماء بعض الكتب الأخرى التي وردت أسماءها مختصرة حيناً ، ومكتملة حيناً آخر على أن بعض كتبه اتخذ عناوين مختلفة عند الكتاب ، ولنا قادرين على جلاء كل هذه الشكوك والظنون .

وهذه قائمة بما عثرت عليه من عناوين كتبه في المصادر المختلفة . كتاب المقتضب في النحو ، وقيل عنه إنه أكبر مصنفاته وأنفسها - المدخل في النحو - الإعراب - معنى كتاب سيويه - المدخل إلى سيويه - الزيادة المنتزعة من سيويه - الرد على سيويه - شرح شواهد الكتاب - معنى كتاب الأوسط للأخفش - التصريف - الاشتقاق - معاني القرآن أو الكتاب التام - إعراب القرآن - احتجاج القراء - الحروف - الحروف في معاني القرآن - الفاضل والمفضول - شرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها، ومزاوجة كلامها ، وتقريب معانيها - الأنواء والأزمنة - المذكر والمؤنث - المقصور والممدود - أسماء الدواهي عند العرب - صفات الله جل وعلا - العبارة عن أسماء الله تعالى - القوافي - العروض - ضرورة الشعر - قواعد الشعر - البلاغة - الخط والهجاء - ما اتفق لفظه

واختلف معناه في القرآن - نسب عدنان وقحطان - طبقات النحاة البصريين  
وأخبارهم - الروضة - الجامع - الرياض المونقة - الوشى - الرسالة الكاملة -  
الحث على الأدب والصدق - أدب الجليس - الممادح والمقابح - التعازى -  
المناطق .

ومهما طالعت هذه القائمة أو قصرت ، فإن صورة المبرد لا تنفصل عن صورة  
الكامل ، فلا يكاد المرء ينطق باسم المبرد حتى يرد على الخاطر اسم الكامل ، فهما  
مرتبطان أكثر من ارتباط المبرد بأى كتاب آخر من كتبه ، وكتاب الكامل هو  
السدى وهب مؤلفه المجد والخلود . والحق إن الكامل يمثل المبرد أدق تمثيل إذ يضم  
مواد تنتمى إلى كل ميدان ألم به من ميادين الثقافة العربية ، فيه النحو ، واللغة ،  
والأدب ، والأخبار ، والقرآن ، والعروض وغيرها . ولم يبتكر المؤلف منهجا  
خاصا به ، في سبيل عرض هذه المواد ، بل إن منهجه منهج أصحاب كتب النوادر  
والأمالي وأمثالها . ولكن على حين أغرق هؤلاء في النحو واللغة ، ولم يحسنوا عرض  
ماتعرضوا له ، أكثر المبرد من الأخبار واللطائف ، وأجمل إبراز ما أحب إبرازه من  
أخبار ، فكاد المرء لا يحس بمشاق النحو واللغة حين غطى عليها جمال الأدب .  
وإن قارئ الكامل ليخرج منه بمواد متصلة بتاريخ العرب في جاهليتهم وإسلامهم ،  
في حياتهم السياسية والثقافية والأدبية ، لا يجد مثيلا لها في كتاب آخر من كتب  
الثقافة العربية ، ولو تخصصت في الفروع المذكورة .

ولما كان الكامل بهذه القيمة ، فقد عنى الدارسون المحدثون به عناية شديدة  
فطبع في أوروبا ، وفي مصر أكثر من مرة . ولكن أضبط هذه الطبقات وأدقها  
وأشدها تحريا لمنهج التحقيق العلمي الحديث طبعة أوروبا . وتقع في مجلد ضخم .

أما الطبقات المصرية فجعلته في مجلدين ، يبلغ الواحد منهما قريبا من ٣٥٠ صفحة.

وقد حاولت في هذا المختصر أن أحافظ كل المحافظة على عبارة المؤلف ، فلم أدخل عليها غريبا عنها إلا في مواضع معدودة ، للربط بين الأخبار ، إلى جانب العناوين التي جعلتها في رأس المواد . وكان القسط الأكبر مما حذف يتألف من الإضافات التي أدخلها ( أبو الحسن الأخفش الأصغر ) على الكتاب ، فحذفتها جميعا ؛ ومن الشروح النحوية والصرفية واللغوية التي كان يأتيها بعد كل خبر . أما الأخبار أنفسيها فقد حاولت جاهدا أن يكون ما أحذفه منها قليلا ، حتى أحتفظ بجوهر الكتاب ، وإن اضطررت إلى حذفها أحيانا ، وبخاصة حين يكون لها نظائر ، ولا سيما أن المؤلف كان يأتي أحيانا بكثير من المتشابهات والشواهد على المثل الواحد .

وبعد ، فرجائي أن أكون قد وفقت في بعث الرغبة في القارئ الحديث إلى أن يرجع إلى « كامل المبرد » الأصلي ، فذلك ما أعده نجاحا لي ، وتحقيقا هدي ، والله الموفق إلى خير السبل ،،،،،

**المؤلفون لتسيير نصار**

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

## مقدمة المؤلف

الحمد لله حمدا كثيرا يبلغ رضاه ، ويوجب مزيده ، ويُجير من سخطه .  
وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، صلاة تامة زاكية ،  
تؤدي حقه ، وتُزلفه عند ربه .

هذا كتاب ألفناه ، يجمع ضروبا من الآداب : ما بين كلام منشور ، وشعر  
مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة .

والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى  
مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا ، حتى يكون هذا  
الكتاب بنفسه مكفيا ، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا .

وبالله التوفيق والحوال والقوة ، وإليه مَفْزَعنا في دَرْك كل طَلبة ، والتوفيق  
لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته ، وعقد يرضاه ، وقول صادق يرفعه عمل  
صالح ؛ إنه على كل شيء قدير .

## من خطب الرسول والصحابة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار في كلام جَرَى : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » .

الفزع في كلام العرب على وجهين : أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر ، والآخر الاستجداد والاستصراغ ، ويشق من هذا المعنى أن يقع فزع في معنى أغاث .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجالس يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفون . ألا أخبركم بأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة : الشرثارون المتفیهقون » .

قوله صلى الله عليه وسلم : الموطئون أكنافاً ، مثل وحقيقته : أن التوطئة هي التذليل والتمهيد ، يقال فراش وَطِء ، إذا كان وثيراً لا يؤذى جنب النائم عليه ، فأراد القائل موطأ الأكناف ، أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذٍ ولا نابٍ به موضعه . وتأويل الأكناف الجوانب ، يقال في المثل فلان في كنف فلان ، كما يقال فلان في ظل فلان ، وفي ذرى فلان ، وفي ناحية فلان ، وفي حيز فلان . والشرثارون : يعني الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً خروجاً عن الحق .

والمتفهبون : إنما هو بجزلة قوله الثرثارون ، توكيد له ، من قولهم فهق الغدير يفهق ، إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد .

وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه يريد الصدق فى المنطق والقصد وترك ما يحتاج إليه ، قوله لجرير بن عبد الله البجلي : « يا جرير ، إذا قلت فأوجز ، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف » .

ومما يؤثر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف ، وهو أنه قال : « دخلت يوما على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى عنته التى مات فيها ، فقلت له : أراك بارئنا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى ، إني وليت أموركم خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه . والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ، ولتألمن النوم على الصوف الأذربى ، كما يالم أحدكم النوم على حسك السعدان . والذى نفسى بيده ، لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادى الطريق ، جرت ، إنما هو والله الفجر أو البحر . فقلت : خفف عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يهيمك إلى ما بك . فوالله ما زلت صالحا مُصلحا لا تأس على شىء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيرا » .

قوله : نضائد الديباج ، واحدها نضيدة ، وهى الوسادة ، وما يُنصَد من المتاع . وقد تسمى العرب جماعة ذلك النَّصَد ، والمعنى واحد . والصوف الأذربى :

فهذا منسوب إلى أذربيجان . والسُّعدانُ : نبت كثير الحسك<sup>(١)</sup> تأكله الإبل فتسمن عليه ، ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره . فمن أمثال العرب « مرعى ولا كالسعدان » ، تفضيلاً له . وقوله : إنما هو والله الفجر أو البجر<sup>(٢)</sup> ، يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرتَ قصدك : وإن خبطت الظلماء ، وركبت العَشواء ، هَجَمَا بك على المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها . وقوله : يهيضك : مأخوذ من قولهم : هِيضَ العظم ، إذا جُبِرَ ثم أصابه شيء يُعْتِنه فأذاه فكسره ثانية أو لم يكسره ، وأكثر ما يستعمل في كسره ثانية . وقوله : فكلكم ورم أنفه ، يقول : امتلأ من ذلك غضباً . وذكر أنفه دون السائر<sup>(٣)</sup> ، كما يقال : فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه ، وهذا يكون من الغضب . وقوله : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكون من بَرِئْت من المرض وبَرَأْت ، كلاهما يقال ، فمن قال بَرِئْت قال أبرأ لا غير ، ومن قال بَرَأْت قال في المضارع أبرأ وأبرؤ مثل فَرَعٌ يَفْرُغُ وَيَفْرُغُ ، والمصدر فيهما البرء .

ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، في أول خطبة خطبها . حَمَدَ الله وأثنى عليه ، وهو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ثم قال :

« أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » . ثم نزل .

(١) الحسك : الشوك .

(٢) البجر : الشر أو الأمر العظيم .

(٣) يريد : سائر بدنه .

ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري ، وهي التي جمع فيها  
جُمَل الأحكام واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ، ولا  
يجد مُحِقَّ عنها مَعْدَلا ، ولا ظالم عن حدودها مَحِيسا . وهي :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، سلام عليك :  
أما بعد ، فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فافهم إذا أذلي إليك ، فإنه لا  
ينفع تكلمٌ بوجهٍ لا نفاذَ له . آس في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا  
يطمع شريف في خيفك ، ولا يياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ،  
واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم  
حلالا . لا يمتنعك قضاء قضيتَه اليومَ ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ،  
أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خيرٌ من التماذي في الباطل .  
الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف  
الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها  
بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته  
أخذت له بحقه وإلا استحلت عليه القضية ، فإنه أنقى للشك ، وأجلى للغمي .  
المسلمون عُذُول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا في حد ، أو مجرَّباً عليه شهادة  
زور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب . فإن الله تولى منكم السرائر ، وذرأ بالبينات  
والأيمان ، وإياك والغلق ، والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والتكر عند الخصومات .  
فإن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذخر . فمن صحته نيته ، وأقبل على  
نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من  
نفسه شأنه الله . فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟  
والسلام .

قوله : آس بين الناس في وجهك وعدلك : يقول سَوَّ بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض . وقوله : حتى لا يطمع شريف في حَيْفِكَ ، يقول : في ميلك معه لشرفه . وقوله : فيما تلجلج في صدرك : يقول : تردد ، وأصل ذلك المُضْغَةُ والأكلة يرددها الرجل في فيه ، فلا تزال تتردد إلى أن يسبغها أو يقذفها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى ، يقال للعي لَجَلَجَ . ومن أمثال العرب : « الحق أبلج والباطل جَلَج » أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا ، وقوله : أو ظنينا في ولاء أو نسب ، فهو المتبهم ، وأصله مظنون ، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد ، تقول ظننت بزید وذلنت زيدا أى اتهمت . وفي بعض المصاحف : « وما هو على الغيب بظنين » . وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ملعون ملعون من اتقى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه » . فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعا . وقوله : ودرا بالبينات والأيمان ، إنما هو دَفَع ، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادفعوا الحدود بالشبُهات » . وأما قوله : وإياك والغلق والضجر ، فإنه ضيق الصدر وقلة الصبر ، يقال في سوء الخلق رجل غَلِقَ ، وأصل ذلك من قولهم أُغْلِقَ عليه أمره ، إذا لم يتضح ولم يفتح . وقوله : ومن تخَلَّق للناس : يقول أظهر للناس في خلقه خلاف نيته . وقوله تخَلَّق يريد أظهر خلقا مثل تجمّل يريد أظهر جمالا وتصنّع .

وكتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنهما حين أحيط به : « أما بعد ، فإنه قد جاوز الماء الزُبى ، وبلغ الحزام الطَّبِين ، وتجاوز الأمر بي قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه :  
فإن كنتَ ماكولا فكن خيرا كلِّ  
وإلا فادركنى ولما أمرقِ » .

قوله : قد جاوز الماء الزبي ، فالزبية : مصيدة الأسد ، ولا تُتخذ إلا في قُلة أو رابية أو هضبة . وتقول العرب : قد علا الماء الزبي ، وقد بلغ السكين العظم ، وبلغ الحزام الطيين ، وقد انقطع السلي في البطن . فالسلي من المرأة والشاة : ما يلتف فيه الولد في البطن . وبلغ الحزام الطيين ، فإن السباع والخيل يقال لمواضع الأخلاف <sup>(١)</sup> منها أطباء ، واحدها طبي . فإذا بلغ الحزام الطيين فقد انتهى في المكروه . ومثل هذا من أمثالهم : التقت حلقنا البطان والحقب .

وتحدث ابن عائشة في إسناده ذكره أن علياً رضي الله عنه انتهى إليه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له حسان ، فخرج مغضباً يجر ثوبه حتى أتى النخيلة ، واتبعه الناس . فرقى رباوة من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم قال :

« أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله الذل وسيماً الحسف ، وذيت بالصغار . وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم من قبل أن يغزوكم . فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلوا . فتخاذلتم ، وتواكلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شئت عليكم الغارات . هذا أخو غامد ، قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيراً ونساء . والذي نفسي بيده ، لقد بلغني أنه كان يُدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتتزع أحجالهما ورُعُثهما ، ثم انصرفوا موفورين : لم يكلم منهم أحد كلاً . فلو أن امراً مسلماً مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما ، بل كان به عندي جديراً . يا عَجَباً كلَّ العَجَب ، عَجَبٌ يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر

(١) الأخلاف : جمع خلف ، وهو حلمة ضرع الناقة .

الأحزان ، من تَصَافِرُ هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقكم ، حتى أصبحتم غَرَضًا ، تُرْمَوْنَ ولا تُرْمُونَ ، ويُغَارُ عليكم ولا تُغَيَّرُونَ ، ويعصَى الله عز وجل فيكم وترضون . إذا قلت لكم اغزؤهم في الشتاء ، قلت : هذا أوان قرَّ وصرَّ ، وإن قلت لكم : اغزؤهم في الصيف ، قلت : هذه حمارة القيظ ، أنظرنا ينصرم الحرُّ عنا . فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أقرُّ . يا أشباة الرجال ولا رجال ، ويا أطغام الأحلام ، ويا عقول ربّات الحجال ! والله لقد أفسدتم على رأي بالعصيان ، ولقد ملأتم جوفى غيظا ، حتى قالت قريش : ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا رأى له في الحرب ، لله ذرهم ! ومن ذا يكون أعلم بها مني ، أو أشد لها مراسا ، فوالله لقد همت فيها وما بلغت العشرين ، ولقد كُيِّفَتُ اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع . . يقولها ثلاثا .

فقام إليه رجل ومعه أخوه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى : « رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي » ، فمُرنا بأمرك ، فوالله لنتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغصى ، وشوك القتاد . . فدعا لهما بخير ، ثم قال لهما : « وأين تقعان مما أريد ؟ » . ثم نزل .

قوله : سيما الخسف ، هكذا حدثونا ، وأظنه سيم الخسف يا هذا ، من قول الله عز وجل لهما : « يسؤمونكم سوء العذاب » . ومعنى قوله : سيما الخسف ، تأويله علامة ، قال الله عز وجل : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » . وقوله : وديث بالصغار ، تأويله دُئِل ، يقال للبعير إذا ذلته الرياضة بعير مُدْيِث أى مدتل . والعقر : الأصل ، ومن ثم قيل : لفلان عقر ، أى أصل مال . وقوله : واتخذتموه وراءكم ظهريا ، أى رميتم به وراء ظهوركم ، أى لم تلتفتوا إليه . وقوله : فتتزع أحجامهما يعنى الخلاخيل ، واحدها حجل . وقوله : ورغثهما : الواحدة رَغْثَة ،

وجمعها رِعاث ، وجمع الجمع رُعْث ، وهى الشُّوف . وقوله : ثم انصرفوا موفورين: من الوَفْر أى لم يُتَل أحد منهم بأن يُرْزأ فى بدن ولا مال . وقوله : لم يكلم أحد منهم كلما : يُخَدَش أحد منهم خدشا ، وكل جرح صغر أو كبر فهو كَلَم .

وقولُه : وفشلكم عن حقكم ، يقال : فشل فلان عن كذا ، إذا هابه فنكَل عنه ، وامتنع من المضى فيه . وقوله قلت : هذا أوان قرّ وصرّ . فالصر : شدة البرد ، قال الله عز وجل : « كمثل ريح فيها صرّ » . وقوله : ويطاغم الأحلام : فمجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده . وقوله : ويا عقول ربات الحجال ، ينسبهم إلى ضعف النساء ، وهو السائر فى كلام العرب .

## أشعار مستحسنة

من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفخم . وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغنى عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل : لحة دالة . وقد يضطر الشاعر المُفلق ، والخطيب المُصنِّع ، والكاتب البليغ ، فيقع فى كلام أحدهم المعنى المُستغلق ، واللفظ المُستكره ، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام ، غَطَّتا على عوارِه وسترتا من شَيْئه . وإن شاء قائل أن يقول : بل الكلام القبيح فى الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كان ذلك له . ولكن يُعْتَفَر السيء للحسن ، والبعيد للقريب . فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة ، الحسنة الوصف ، الجميلة الرُصْف قول الحُطَيْنة :

وذاك فتى إن تآته فى صنيعه إلى ماله لا تآته بشفيع

وكذلك قول عترة :

أَغْشَى الْوَعْيَ وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي

وكما قال زهير :

وعند المُقْلِينَ السَّمَاةَ وَالْبَدْلُ

عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَعْتَرِيهِمْ

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق :

وَقَضَى عَلَيْكَ بِهَ الْكِتَابِ الْمُنْزَلُ

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبیت الواهي الضعيف . فقال : وقضى عليك به الكتاب المنزل ، يريد به قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

ومن أقبح الضرورة ، وأهجن الألفاظ ، وأبعد المعاني قوله :

أَبُو أُمَّه حَتَّى أَبُوهُ يُقَارُ بِـ

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام ، خال هشام بن عبد الملك ، فقال : وما مثله في الناس إلا مملكا - يعني بالمملك هشاما - أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح . ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملك ، أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد . وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير ، حتى كان هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَمَا كَادَ مَنِيَّ وَدُهُمَ يَتَصَرَّمُ

قَصْرَمٌ مَنِيَّ وَدُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرَ الْإِنَاءَ فَيَفْعُمُ

قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي وَيَحْتَقِرُونَهَا

فهذا أوضح معنى ، وأغرب لفظ ، وأقرب ماخذ . وليس لقدم العهد  
يُفضّل القائل ، ولا لحدثان عهد يُهتضم المصيب ، ولكن يُعطى كل ما يستحق .  
ألا ترى كيف يُفضّل قول عمارة على قرب عهده :

تَبَحُّثُكُمْ سُخْطِي فَغَيْرَ بَحْثِكُمْ      لُخَيْلَةَ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا  
وَلَنْ يُلَبِّتَ التَّخَشِينُ نَفْسًا كَرِيمَةً      عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا  
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ      إِذَا لَمْ تَكْدُرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا  
فهذا كلام واضح وقول عذب ، وكذلك قوله أيضا :

بني دارم إن يفن عمري فقد مضى      حياتي لكم مني ثناء مُخَلَّدُ  
بدأتم فأحستم فأثيتُ جاهدا      وإن عُدتمْ أثيتُ والعوذُ أحمدُ

ومما يفضّل لتخلصه من التكلف ، وسلامته من التزيد ، وبعده من الاستعانة ،  
قول أبي حية النمرى :

رمتني وسترُ الله بيني وبينها      عشيةَ أرام الكناسِ رَمِيمُ  
ألا ربُّ يومٍ لو رمتني رميتها      ولكنَّ عهدي بالتضالِ قديمُ

يقول : رمتني بطرفها وأصابني بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميت كما رُميت  
وفئت كما فُئت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب . فهذا كلام واضح .

وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يُدخل في الكلام مالا حاجة بالمستمع إليه  
ليصحح به نظما أو وزنا إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده ، إن كان في  
كلام العامة ، مثل قولهم : ألسن تسمع ؟ أفهمت ؟ أين أنت ؟ وما أشبه هذا .

وربما تشاغل العبيُّ بقتل إصبعه ، ومسَّ لحيته ، وغير ذلك من بدنه ؛ وربما تنحنح .  
وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره :

مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسُعْلَةٍ      وَمَسْحَةٍ عُثُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ <sup>(١)</sup>

وقال رجل من الخوارج يصف خطيباً منهم بالجنِّ ، وأنه مجيد لولا أن الرعب  
أذهله :

لَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلٌ      لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلَ <sup>(٢)</sup>  
وَيَلْمُهُ إِذَا ارْتَحَلَ      ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلَ

ومما يُستحسن لفظه ، ويُستغرب معناه ، ويُحمد اختصاره ، قول أعرابيٍّ من  
كلاب :

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقِي      بِحَجْرٍ إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرِيضَانِ <sup>(٣)</sup>  
تَحِنْ فُتْبِدِي مَا هِيَ مِنْ صَبَابَةٍ      وَأَخْفَى الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لِقَضَائِي <sup>(٤)</sup>

يريد لقضى على . فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام ، أحسن مُخرج ،  
قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يُخْسِرُونَ ﴾ ، والمعنى إذا كالوا لهم  
أو وزنوا لهم ، ألا ترى أن أول الآية : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾  
فهؤلاء أخذوا منهم ، ثم أعطوهم . وقال الشاعر :

(١) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . والعثون : اللحية .

(٢) الأسل : الرماح .

(٣) يغرض : يشفق .

(٤) الأسى : جمع أسوة ، وهي القدوة ، يريد لولا اقتدائي بالناس لقضى على .

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به      فقد تركتك ذا مال وذا نُسب

ومن سهل الشعر وحسنه قول طخيم بن أبي الطخماء الأسدی ، يمدح قوما  
من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة ، قال :

كَانَ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ بَزْوَرَةَ صَاحِحٌ      وَبِالْقَصْرِ ظِلٌّ دَائِمٌ وَصَدِيقُ  
وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا      شَرَابًا مِنَ الْبُرُوقَتَيْنِ عَتِيقُ  
مَعِيَ كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ      إِذَا مَا سَرْتُ فِيهِ الْمَدَامُ فَنَيْقُ  
بَنُو السَّمَطِ وَالْحَدَاءِ كُلُّ سَمِيدِعٍ      لَهُ فِي الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ<sup>(١)</sup>  
وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحْبَبُهُمْ      وَيُرْتَاحُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقُّ

قوله : معي كل فضفاض القميص : يريد أن قميصه ذو فضول ، وإنما  
يقصد إلى ما فيه من الخيلاء ، كما قال زهير :

يَجْرُونَ الدُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ      حَمِيًّا الْكَأْسَ فِيهِمُ وَالْغِنَاءُ

ويقال : إن تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَضَّلَ الْإِزَارَ فِي  
النَّارِ » إنما أراد معنى الخيلاء . وأما الفئيق فإنه الفحل ، وإنما أراد خَطْرَانَهُ بَدَنِهِ  
من الخيلاء ، فشبهه الرجل من هؤلاء إذا انتشى بالفحل ، وهو إذا خطر ضرب  
بَدَنِهِ بِمِنَّةٍ وَسَأَمَةٍ .

وما يستحسن إنشاده من الشعر لصحة معناه ، وجزالة لفظه ، وكثرة تردد  
ضَرْبِهِ مِنَ الْمَعَانِي بَيْنَ النَّاسِ ، قول ابن ميادة ، لرياح بن عثمان بن حيان المرِّي

(١) السמידع : السيد الكريم الشريف الشجاع . وزورة والبروقتان : موضعان .

وكلاهما من مُرَّة غَطْفَان ، يقوله في فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ،  
وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل ، فقتل ؛ فقال ابن ميادة :

أمرئك يارياحُ بامرٍ حَزَمٍ      فقلتُ : هَشِيمَةٌ من أهلِ نَجْدِ  
هُيُتُك عن رجالٍ من قريش      على محبوكة الأصلابِ جُرْدِ  
ووجدنا ما وَجَدْتُ على رياح      وما أغنيتُ شيئاً غيرِ وِجْدِ

فقوله : فقلت هَشِيمَةٌ من أهل نجد : تأويله ضَعْفَةٌ ، وأصل الهشيم النبت إذا  
وَلَّى وجفَّ وتكسر ، فذَرَّتْهُ الرياحُ يمينا وشمالا ، قال الله تعالى : (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا  
تَلْدُرُوهُ الرِّياحُ) . والنجد : أعالي الأرض . وقوله : على محبوكة الأصلابِ جرد ،  
فالهبوك : الذي فيه طرائق ، واحدها حَبَاك ، والجماعة حُبُك ، يقال لطرائق الماء :  
حُبُك ، وكذلك الطرائق التي على جناح الطائر .

## من أقوال الحكماء في المروءة

يسروى عن ابن عمر أنه كان يقول : « إنا معشر قريش كنا نُعَدُّ الجود والحلم  
التوَدُّد، ونُعَدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة » .

وقال الأحنف بن قيس : « كثرة الضحك تُذهب الهيبة . وكثرة المزح تُذهب  
المروءة . ومن لزم شيئا عُرف به » .

وقيل لعبد الملك بن مروان : « ما المروءة ؟ » فقال : « مُوالاة الأَكفَاء  
ومداجاة الأعداء » .

وتساويل المداجاة المُداراة ، أى لا تُظهر لهم ما عندك من العداوة ، وأصله من  
الدُّجَى ، وهو ما ألبسك الليل من ظنمته .

وقيل معاوية : « ما المروءة ؟ » فقال : « احتمال الجريرة ، وإصلاح أمر العشرة » . ف قيل له : « وما التُّبْلُ ؟ » . فقال : « الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة » .

## نفاق

ويُروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصَّب يزيدَ لولاية العهد ، أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع على معاوية ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تُولِّ هذا أمور المسلمين لأضعتهَا » ، والأحنف جالس . فقال له معاوية : « ما بالك لا تقول يا أبا بَحرٍ » . فقال : « أخاف الله إن كذبت ، وأخافكم إن صدقت » . فقال : « جزاك الله عن الطاعة خيرا » . وأمر له بالوف . فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب ، فقال : « يا أبا بحر إني لأعلم أن شرَّ مَنْ خلق الله هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ، فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت » . فقال له الأحنف : « يا هذا أمسك ، فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند الله وجيهاً » .

## هجاء وفخر

وقال رجل يهجو بلال بن البعير الحاربي :  
 يقولون أبناءُ البعير وماله      ستام ولا في ذرورة المجد غاربُ  
 أرادت ، وذاكم من سفاهة رأيها ،      لأهجوها لما هجتني مُحارب  
 معاذٌ إلهي إني بعشيرتي      ونفسي عن ذاك المقام لراغب  
 وقال أبو الطَّمَحان القيني :

وإني من القوم الذين همُّ همُ  
 نجوم سماءٍ كلِّما غار كوكبٌ  
 إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحِبُه  
 بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبُه  
 أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم  
 دُجى الليل حتى نظم الجزعُ ثاقبُه  
 وما زال منهم حيث كانوا مُسوِّدٌ  
 تسير المنايا حيث سارت كتابُبه

وقال القتال الكلابي ، واسمه عبيد بن المضرحي :

أنا ابنُ أسماءَ أعمامى لها وأبي  
 لا أرضعُ الدهرَ إلا ثدىً واضحةً  
 إذا ترامى بنو الإيموانٍ بالعار  
 لوأضح الخدُّ يحمى حوزةَ الجار  
 من آلِ سُفيانٍ أو ورَقاءٍ يمنعها  
 تحت العجاجةِ ضربٌ غيرُ عُوَّار  
 ياليتنى والمنى ليست بنافعه  
 لمالكٍ أو لخصنٍ أو لسيار  
 طوال أنضية الأعناق لم يجدوا  
 ريحَ الإماءِ إذا راحتُ بأزفار

قوله : إذا ترامى بنو الإيموان بالعار ، فالإيموان جمع أمة . وقوله : لا أرضع الدهرَ، فهذا على لغته ، لأن قيسا تقول رَضِعَ يَرْضَعُ ، وأهل الحجاز يقولون رَضَع يَرْضِيعُ ، وقوله : لا أرضع الدهر إلا ثدى واضحة : يقول : إنما ترضعنى أُمى ، وليست غير كريمة ، كما قال الأغشى :

يا خَيْرَ من يركبُ المِطَى ولا يشربُ كأساً بكفٍّ من بخِلا

يقول : إنما تشرب بكفك ولست ببخيل . وقوله : واضحة ، أى خالصة فى نسبها وليست بأمة ، وهذا توكيد لبيتته الأول . وقد أشد بعضهم : لوأضح الخدُّ ، والمعنى قريب . وقوله : يحمى حوزة الجار ، أى ما يحوزه ، يقال : فلان مانع لحوزته ، أى لما صار فى حيزه . وقوله : لمالكٍ أو لخصنٍ أو لسيار ، فهؤلاء بيت

فزاره . وقوله : طوال أنضية الأعناق ، فالتنضي مُركب النصل في السنخ ، وضربه مثلا ، وإنما أراد طوال الأعناق . وقوله بأزفار : فالزفر : الحمل ، ويضرب مثلا للرجل فيقال : إنه لزفر ، أى جمال للأتقال ، ويقال : أتى حمّله فازدفره <sup>(١)</sup> .  
وقال رجل من بني عبس :

لا تَشْتَمِيَّ يَا ابْنَ وَرَدٍ فَإِنِّي      تَعُودُ عَلَى مَالِي الْحَقُوقُ الْعَوَائِدُ  
ومن يؤثر الحقَّ التُّؤُوبَ تَكُنْ بِهِ      خِصَاصَةَ جِسْمٍ وَهُوَ طَيَّانٌ مَاجِدٌ <sup>(٢)</sup>  
وإني امرؤ عافِي إِنَانِي شِرْكَةً      وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِي إِنْآنِكَ وَاحِدٌ <sup>(٣)</sup>  
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جِسْمِ كَثِيرَةٍ      وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بِنَارِدٍ  
قوله : التؤوب : يريد الذي يتوبه . وقال رجل من بني تميم :

أَلْبَانِ إِبْلِ تَعْلَةَ بْنِ مَسَافِرٍ      مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَيَّ حَافِرَامُ  
وِطْعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلَهَا      مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامُ  
إِنَّ الَّذِينَ يَسُوعُغُ فِي أَعْنَاقِهِمْ      زَادَ يُمَنُّ عَلَيْهِمْ لَكِ كَامُ  
لَعَنَ الْإِلَهَ تَعْلَةَ بْنَ مَسَافِرٍ      لَعْنًا يُشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قَدَامُ

وهذا كلام فصيح جدا . قوله : يسوعغ من أعناقهم ، يريد حلوقهم ، لأن العنق يحيط بالحق .

(١) يقال ازدفر الحمل أى احتمله .

(٢) خصاصة جسم : نحول . وطيان : لم يأكل شيئا .

(٣) عافى : كل طالب فضل أو رزق ، يريد أن إنانى يأكل منه كثيرون ، أما إنأوك فلا يأكل منه إلا أنت .

وقال القطامي :

فلمن تكن الحضارةُ أعجبتنه  
ومن رَبطَ الجحاشَ فإنَ فينا  
وكنَّ إذا أغرَنَ على قبيـلِ  
أغرَنَ من الضُّبابِ على حلالِ  
وأحيانا على بكر أخينا  
إذا ما لم نجدَ إلا أخانا  
فأى رجالٍ بادية ترانا  
قنا سلباً وأراساً حسانا  
فأغوزهنَ كونَ حيثَ كانا  
وضبّةُ إنه من حان حانا  
إذا ما لم نجدَ إلا أخانا

قوله : الحضارة ، يريد الأمصار ، وتقول العرب : فلان باد ، وفلان حاضر ،  
وفي الحديث « ولا يبين حاضر لباد » ، وتأويل ذلك أن البادية يقدّم وقد عرف  
أسعار ما معه ، وما مقدار ربحه ، فإذا جاء الحاضر عرفه سنة البلد ، فأغلى على  
الناس . ويقال : حى حلال ، إذا كانوا متجاورين مقيمين .

### أقوال سائرة

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ »  
قالوا : « بلى » قال : « من أكل وحده ، ومنع رِفْده ، وضرب عبده . ألا  
أخبركم بشر من ذلكم : من لا يقبل عُثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً . ألا  
أخبركم بشر من ذلكم : من يبغض الناس ويبغضونه . »  
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ،  
ويسعى بدمتهم أذنهم ، وهم يد على من سواهم ، والمرء كثير بأخيه . »

قوله صلى الله عليه وسلم : تنكافأ دماؤهم ، من قولك : فلان كُفءٌ لفلان ،  
أى عديله ، وموضوع بجدائه . وقال الله عز وجل : «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» .  
ويقال : فلان كفاء فلان ، وكفِيء فلان ، وكُفء فلان .

وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : « من لانت كلمته وجبت محبته » .  
وقال : « قيمة كل امرئ ما يحسن » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ثلاث يثبتن لك الودّ في صدر أخيك :  
أن تبدأه بالسلام ، وتوسّع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه » .

وقال : « كفى بالمرء غيّا أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئا ثم  
يأتى مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جلسه فيما لا  
يعنيه » .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوما : « مَنْ أجود العرب ؟ »  
ف قيل له : « حاتم » : قال : « فمن شاعرهما ؟ » قيل « امرؤ القيس بن حجر »  
قال : « فمن فارسها ؟ » قيل : « عمرو بن معدى كَرِب » قال : « فأى سيوفها  
أفضى ؟ » قيل : « الصمصامة » .

وكان معاوية يقول : « إني لا أحمل السيف على من لا سيف معه ، وإن لم  
تكن إلا كلمة يشفى بها مشفى جعلتها تحت قدمي ، ودُبرَ أذني » .

## رثاء

قال رجل أحسبه من بني سعد يرثي رجلا :

وَمُحْتَضِرِ الْمَنَافِعِ أُرْتِحِي	نبيل في معاوذة طــــوال
عــــزیز عــــزة في غير فحش	ذليل للذليل مــــن الموالی
جعلتُ وساده إحدى يديه	وتحت جـمائه خـشباتُ ضال
ورثتُ سلاحه وورثتُ ذودا	وحزنا دائما أخرى اللیالی

قوله : أُرثي ، هو الذي يرتاح للمعروف أى يخف له ، ويقال : أخذت فلانا أُرثية ، أى خفة وحرمة لفعل المعروف . والمعاوز : الثياب التي يتبدل<sup>(١)</sup> فيها الرجل ، وهي دون الثياب التي يتجمل بها ، واحدها مِعْوَز . وقوله : في معاوذة ، فزاد الهاء ، فإنما يُفعل ذلك لتحقيق التأنيث ، لأن كل جمع مؤنث ، كما تقول في جمع صَيْقِل : صَيَاقِلٌ وصَيَاقِلَةٌ ، وكذلك جوارب وجواربة ، إلا أن أكثر الأعمى يختص بالهاء ، وهو في العربي جيد ، وفي العجمي أكثر استعمالا . فإن كان منسوبا كان الباب فيه إثبات الهاء ، وتركها جائز نحو المهالبة ، والمسامعة ، والمتأذرة ، والأحامرة . وقالوا : السَيَابِجَةُ<sup>(٢)</sup> لأنه قد اجتمع فيه النسب والعجمة . وقوله : تحت جمائه . يعنى شخصه . والضال : السدْرُ الْبَرِّي ، وما كان من الصدر على الأنهار فليس بضال، ولكن يقال له عُبْرِي . وقوله : ورثت سلاحه وورثت ذودا ، يصف قرب نسبه منه . والذود : القطعة من الإبل ، وأكثر ما يستعمل ذلك في

(١) يتبدل : يترك الاحتشام والتنصون .

(٢) السيابجة : قوم أقوياء من السند والهند ، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يخدمونها .

الإثا ، ويجوز في السائر . ومنه قولهم : الذود إلى الذود إبل . ثم قال : حزنا دائما أخرى الليالي ، كما قال الأول ، وعَبَطَ بِمِراثِ ورثه من أحد أهله :

يقول جَزءٌ ولم يقل جَلَلًا      إلى تروحتُ ناعما جَدَلًا  
إن كنتَ أزلتني هـا كذبا      جزءٌ فلا قيتَ مثلها عَجَلًا  
أعبطُ أن أزرأ الكـــرامَ وأن      أورث ذُودا شصائبا بَلَا

قوله : ولم يقل جَلَلًا : أى صغيرا ، والجلل يكون للصغير ويكون للكبير ، من ذلك قوله : « كل شيء ما خلا الله جليل » أى صغير . وقال لبيد في الكبير :

وأرى أربد قد فارقتي      ومن الأرزاءِ رُزءٌ ذو جَلَلٍ

وقوله : شصائبا : يعنى حقيرة دميمة . وزعم التوزي أن التبل من الأضداد ، يكون للجليل والحقير ، واحتج بهذا البيت الذى ذكرناه ؛ قال : يريد ههنا الحقيرة . وقوله : أزلتني ، أى قرفتنى ونسبتنى إليه . ويقال : فلان يُزن بكذا وكذا أى يسمى به ، وينسب إليه .

وقال جميل بن مَعمر :

ما صائبٌ من نابلٍ قدفتُ به      يدٌ وممرٌ العُقدتينِ وثيقُ  
له من خوا في التسرِّ حمَّ نظائرُ      وكصلِّ كصلِّ الزاعبيِّ فتيقُ  
على نُبعةٍ زوراءٍ أيما خطامها      فمتنٌ وأيما عودها فعتيقُ  
بأوشك قَتلا منكِ يومِ رميتنى      نوافذٌ لم تُعلمْ هنَّ خُروقُ  
كانَ لم محاربٍ يا بُئى لو أنها      تكشَّفُ غُماها وأنتِ صديقُ

قوله : ما صائب ، يريد قاصدا ، يقال : صاب يَصُوب ، إذا قصد ، ومن ذلك قوله تعالى : ( أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ) ، وقد قالوا النازل ، والقصد أحكم .  
وقوله : وممر العقدين ، يعنى وكرا . والممر : الشديد القتل . وقوله : من خرواى النسرحم نظائر ، يريد ريش السهم ، والحُم : السُود ، وذلك أخلصه وأجوده ، وجعلها نظائر فى مقاديرها ، لأنه أقصدُ للسهم ، وإذا كانت الريشات بطن الواحدة منها إلى ظهر الأخرى ، فهو الذى يُختار ، وهو الذى يقال له اللؤام ، وإنما أخذ من قولهم مُلْتَمَمٌ ؛ وإن كان ظهر الواحدة إلى ظهر الأخرى ، وبطنها إلى بطن الأخرى ، فذلك مكروه يقال له : اللغاب . وقوله : كتنصل الزاعى ، شبه نصل السهم بتصل الرمح الزاعى ، وهو منسوب إلى رجل من الخزرج ، يقال له : زاعب ، كان يعمل الأستة ، هذا قول قوم ؛ وأما الأضمعى فكان يقول : الزاعى هو الذى إذا هزُّ فكان كعوبه يجرى بعضها فى بعض للينه وتثنيه ، يقال مرَّ يَزْعَبُ بحمله ، إذا مرَّ به مرا سهلا . وقوله : فتىق ، يعنى حادا رقيقا ، يقال فتىق الشفرتين ، وتأويله أنه يفتق ما عمده به له . وفعل يقع اسما للفاعل ويقع للمفعول ، فأما الفاعل فمثل رحيم وحكيم وشهيد ، وأما ما كان للمفعول فحو جريح وقتيل وصريع . وقوله : زوراء ، يريد معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . وقوله : على نبعة ، يعنى قوسا ، وأكرم القسى ما كان من النبع . وقوله : إيما ، يريد أَمَا ، واستثقل التضعيف فأبدل الياء من إحدى اليمين . وهذا يقع ، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة ، فيما يكون على فعال فيكروهون التضعيف والكسر ، فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة ، وذلك قولهم : دينار وقيراط وديوان ، وما أشبه ذلك . فإن زالت الكسرة ، وانفصل أحد الحرفين من الآخر رجعت التضعيف فقلت : دنائير وقراريط ودواوين . وكذلك إن صغرت قلت : قُرْبِيط وُدُنَيْر . وقوله : وإما عودها فتىق ، يصف

كرم هذا القوس وعثتها ، ويحمدُ منها أن تُتْرَكَ ولحاؤها عليها بعد القطع . فهذا مأخوذ من ذلك . وقوله : بأوشك قتلا منك ، يقول : بأسرع .

## حَسَنُ الْأَدَبِ

قال بعض الحكماء : « من أدب ولده صغيرا سُرَّ به كبيرا » .  
وكان يقال : « من أدب ولده أرغم حاسده » .

وقال رجل لعبد الملك بن مروان : « إني أريد أن أسرَّ إليك شيئا » . فقال عبد الملك لأصحابه : « إذا شتمت » فنهضوا . فأراد الرجل الكلام ، فقال له عبد الملك : « قِفْ ، لا تمدحني فأنا أعلم بنفسى ، ولا تكذِبني فإنه لا رأى لمكذوب ، ولا تُعْتَبَ عندي أحدا » فقال الرجل : « يا أمير المؤمنين ، أفأذن لي في الانصراف ؟ » . قال له : « إذا شئت » .

وقال بعض الحكماء : « ثلاث لا غُربَة معهن : مجانبة الرّيب ، وحسن الأدب ، وكف الأذى » .

وقال عمرو بن العاص لدهقان هُرَيْرِي : « يم يَتَّبِل الرجل عندكم ؟ » فقال : « بترك الكذب ، فإنه لا يَشْرُفُ إلا من يوثق بقوله ، ويقامه بأمر أهله ، فإنه لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره ، ومجانبة الرّيب ، فإنه من رَجِيَ الفرج لديه كثرت غاشيته » <sup>(١)</sup> .

(١) غاشيته : من يأتونه ويفشون بيته .

وقال بُزْرُ جَمَهْرُ : « من كَثُرَ أدبه كَثُرَ شرفه وإن كان قبلُ وضيعا ، وبَعْدَ صِيئته وإن كان خاملا ، وساد وإن كان غريبا ، وكثرت الحاجة إليه ، وإن كان مُقْتِرا » .

وكان يقال : « عليكم بالأدب فإنه صاحب في السفر ، ومؤنس في الوحدة ، وجمال الحفيل ، وسبب على طلب الحاجة » .

وقال بعض الملوك لبعض وزرائه ، وأراد مَحَنَتَه : « ما خير ما يُرْزَقُهُ العبد ؟ » فقال : « عقل يعيش به » . قال : « فإن عَدِمَهُ ؟ » قال : « فأدب يتحلى به » . قال : « فإن عدمه ؟ » قال : « فما ل يستره » . قال : « فإن عدمه ؟ » قال : « فصاعقة تحرقه ، فتريح منه العباد والبلاد » .

وقيل لرجل من ملوك العجم : « متى يكون العلم شرا من عدمه ؟ » قال : « إذا كثر الأدب ، ونقصت القرىحة » .

وقال أردشِيرُ : « من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حنفته في أغلب خلال الخير عليه » .

وقال محمد بن عبد الله بن العباس ، وذكر رجلا من أهله : « إني لأكره أن يكون لعلمه فَضْلٌ على عقله ، كما أكره أن يكون للسانه فضل على علمه » .

## حماية الحار

قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان ، وجاورَ في طَيِّى وهو خائف :

جَزَى اللهُ خَيْرًا طَيِّيًا مِنْ عَشِيرَةٍ      وَمَنْ صَاحِبٍ تَلَقَّاهُمْ كُلُّ مَجْمَعٍ  
هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَدَافَعُوا      وَرَأَيْتِي بَرُكْنَ ذِي مَنَاكِبَ مِدْفَعٍ  
وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ إِنْ يُصَبَّ      نَفِيدِكَ وَإِنْ تُحْبَسَ نَزْرُكَ وَتَشْفَعِ

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هُذَيْمِ ، من قِضَاعَةَ ، وجاور في طَيِّى :

كَانَ الْجَارَ فِي شَمَجِي بَنِ جَرَمٍ      لَهُ نَعْمَاءُ نَسَبٍ قَرِيبُ  
يُحَاطُ ذِمَارُهُ وَيُدْبُ عَنْهُ      وَيَجْمِي سَرْحَهُ أَنْفٌ غَضُوبُ  
أَلْفَتْ مَسَاكِنَ الْجَبَلِينَ إِنِّي      رَأَيْتُ الْعَوْثَ يَأْلِفُهَا الْغَرِيبُ

وكان قوم نزلوا ببني العنبر بن عمرو بن تميم ، والقوم من بنى ضَبَّةَ ، فأغبر عليهم . فاستغاثوا جيرانهم ، فلم يُغيثوهم ، وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا فوقها . فاستغاثوا ببني مازن بن مالك ، فركبوا فردوها عليهم . فقال المكعبَر الضَّبِّي في ذلك :

أَبْلَغُ طَرِيفًا حَيْثُ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى      فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ  
كَمَا لِي إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقِ      يُلْهَى بِهِ الْمُخْرُوبُ وَهُوَ عَنَاءُ  
وَإِنِّي لِأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ      كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ  
أَخْبِرْ مِنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ      وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخَيَّرُونَ أَسَاتُوا  
كَانَ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ      وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الرَّجُوعُ لِقَاءُ  
لَهُمْ أَدْرَعُ بَادٍ نَوَاشِرُ لِحْمِهَا      وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُنَاءُ

قوله : حيث شطت بها النوى ، معنى شطت تباعدت ، والنوى : البعد ،  
ويقال : شطت بهم نيةً قَدَفَ ، أى رحلة بعيدة . وقوله : فليس لدهر الطالبين فناء ،  
يقول : الطالب فى أثر طلبته أبدا . وقوله :

وإني لأرجوكم على بطاء سعيكم      كما فى بطون الحاملات رجاء

يقول : هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه ، كما أن هذه الحوامل لا يعلم  
ما فى بطونها وليس بميتوس منه ، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن ،  
ألا تراه يقول :

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم      ولو شئت قال المخبرون أسأئوا

قوله : كأن دنانيرا على قسماقم ، زعم أبو عبيدة أن القسمات مجارى  
الدموع ، واحدها قَسِمَةٌ . وقال الأصمعى : القسمات أعالى الوجه . ولم بينه  
بأكثر من هذا ، وقول أبى عبيدة مشروح . وقوله : لهم أذرع باد نواشر لحمها ،  
فكل شىء كان على فِعَالٍ من المؤنث فجمعه أَفْعُلُ ، وكذلك فُعَالٌ ، تقول : ذراع  
وأذرع ، وكُرَاعٌ وأكْرُعٌ ، لأنهما مؤنثتان . ومن أث اللسان قال : أَلْسُنٌ ، .  
وشمال وأشْمُلٌ . فأما المذكر فعلى أَفْعَلَةٍ فى أدنى العدد ، وفُعُلٌ فى الكثير ، يقال :  
حِمَارٌ وأَحْمِرَةٌ وحُمُرٌ ، وفِرَاشٌ وأَفْرِشَةٌ وفُرُشٌ . والنواشر : ما يظهر من العروق  
فى ظهر الذراع مما يُدَانى المعصم . وقوله : وبعض الرجال فى الحروب غشاء ،  
فالعشاء : ما ييس من البقل حتى يصير حطاما وينتهى فى اليبس فيسود فيقال له :  
عُشَاءٌ ، وهَشِيمٌ ، ودِدْنٌ ، وئِنٌ ، على قدر اختلاف أجناسه ، قال الله عز وجل :

(فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) ، وقال : (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ) وقال الشاعر  
يصف سحابا :

إذا ما هَبَطْنَ الأرضَ قد مات عُوْدُها      بَكَيْنَ هَا حتى يعيش هَشِيم

وقد يقال للشيء الذى لا خير فيه : هذا غثاء ، أى قد صار كذلك الذى  
وصفناه . ويُضرب هذا مثلا للكلام الذى لا وجه له .

وقال رجل أحسبه تميميا <sup>(١)</sup> :

لو لم يفـارقني عَطِيَّةٌ لم أهنِ      ولم أعطِ أعدائي الذى كنت أمنعُ  
شجاع إذا لاقى ، ورام إذا رمى      وهاد إذا ما أظلم الليلُ مصدع  
سأبكيك حتى تُنفدَ العينُ ماءها      ويشفى منى الدمعُ ما أتوجع

أحسن الإنشادين عندي : لم أهنِ ، يأخذه من وهن يهن ، لأنه إذا قال : أهنِ ،  
فهو من الهوان ، ومن قال : لم أهنِ ، فإنما هو من الضعف ، وهو أشبه بقوله : ولم  
أعطِ أعدائي الذى كنت أمنع . والآخر غير بعيد ، يقول : لم أهن على أعدائي .  
وقوله : وهاد إذا ما أظلم الليل مصدع ، فتأويل مصدع أى ماض فى الأمر ، قال الله  
عز وجل : (فاصدع بما تؤمر) . ويقال : أحزم الناس من إذا وضع له الأمر صدع  
به . ومن أمثال العرب السائرة الجيدة . « رَوْ تَحْزَمٌ ، فإذا استوضحت فاغْزِمِ » .  
ومن أمثالهم : « قد أحزم لو أعزم » . وإنما يكون هذا بعد التوقف والتبين . فقد  
قال الشعبي : « أصاب متامل أو كاد ، وأخطأ مستعجل أو كاد » ومثل قوله :  
« ويشفى منى الدمع ما أتوجع » قول الفرزدق :

ألم ترائى يسومَ جَوْ سُوَيْقَةَ      بكيْتُ فنادتني هَيْدَةً مَالِيَا  
فقلتُ لها إن البكاء لراحة      به يشفى من ظن أن لا تلاقيا

(١) هو الفرزدق .

## الرجل القبيح الشجاع

قال نَضْلَةُ السُّلَمِيِّ في يومِ غَوْلٍ ، وكان حقيرا دميما ، وكان ذا نَجْدَةٍ  
وبأس :

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ غَوْلٍ	بِنَضْلَةٍ وهو موتورٌ مُشِيحٌ
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حُرٌّ	وينفع أهله الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
فشدَّ عليهمُ بالسيفِ صلَّتا	كما عَضُّ الشِّبَا الْفَرَسُ الْجَمُوحُ
فأطلقَ غُلًّا صاحبه وأزدي	قتيلا منهمُ ونجما جريح
ولم يخشوا مصالتهُ عليهم	وتحت الرِّغْوَةَ اللَّبْنُ الصَّرِيحُ

قوله : وهو موتورٌ مُشِيحٌ ، فالمُشِيحُ : الحامل الجاذ . وقوله : بالسيفِ صلَّتا ،  
يقول : مُنتَضِي ، ورجل صلَّت الجبين : إذا كان نقيسه . وقوله : كما عَضُّ الشِّبَا ،  
يريد حدَّ اللجام ، وشبا كل شيء : حدّه . وقوله : ولم يخشوا مصالته عليهم ، فهي  
مَفْعَلَةٌ من صال يصول ، ويقال : صال البعير ، إذا عَضَّ . وقوله : وتحت الرِّغْوَةَ  
اللبن الصريح ، يقول : إذا رأيت الرغوة : وهو ما يرغو كالجلدة في أعلى اللبن ، لم  
تَدْرُ ما تحتها ، فربما صادفت اللبن الصريح إذا كشفتها ؛ أي أنهم رأوني فازدروني  
لدمامتي ، فلما كشفوا عني ، وجدوا غير مارأوا . والصَّرِيحُ : المحض الخالص .

## القول والفعل

حَدَّثت أن صَبْرَةَ بن شَيْمَانَ الحَدَّانِيَّ دَخَلَ عَلَى معاوية ، والوفود عنده فتكلموا فأكثروا . فقام صبرة فقال : « يا أمير المؤمنين ، إِنَّا حَيٌّ فِعَالٌ ، ولسنا بِحَيِّ مَقَالٍ . ونحن بأدبى فعائنا عند أحسن مقالمهم » . فقال : « صدقت » .

وحدَّثت أن أبا بكر رضى الله عنه ولى يزيد بن أبي سفيان رُبْعاً من أرباع الشام ، فَرَقِيَ المنبر فتكلم ، فَأَرْتَجَ عليه . فاستأنف فأرْتَجَ عليه . فقطع الخطبة فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عيِّ بياناً . وأنتم إلى أمير فَعَالٍ أَحوج منكم إلى أمير قَوَالٍ » . فبلغ كلامه عمرو بن العاص ، فقال « هن مُخْرِجَاتِي من الشام » ، استحساناً لكلامه .

## كلمات واعظة

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعامر بن عبد قيس العنبري ، وراه ظاهر الأعرابية : « يا أعرابي ، أين ربك ؟ » فقال : « بالمرصاد » .

ونظر الحسن إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد ، فقال : « إن الله جعل الصَّوم مِضْمَاراً لعباده ، ليستبقوا إلى طاعته ، فسبق أقوام فجازوا ، وتخلف آخرون فخابوا . ولتعمري لو كُشِفَ الغطاء ، لشغِلَ محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته ، عن تجديد ثوب ، أو تَرْطِيلِ شعر » .

قوله: ترطيل شعر : إنما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ، ويقال للرجل إذا كان فيه لين وتوضيع : رجل رَطْل ، والذي يوزن به ويكال يقال له : رَطْل ؛ بكسر الراء .

وكان الحسن يقول : « اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها » .

## توبة وخلق

قال يزيد بن الصُّقْلِ العُقَيْلِيّ ، وكان يسرق الإبل ، ثم تاب وقُتِلَ في سبيل الله .

ألا قُلْ لأربابِ المَخَانِضِ أَهْمِلُوا	فقد تاب مما تعلمون يزيدُ
وإنّ امرأً ينجو من النار بعد ما	تزوّد من أعمالها لسعيد
وفي هذا الشعر :	
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت	حَمِيمَكَ فاعلم أنّها مستعود

قوله : ألا قل لأرباب المَخَانِضِ ، فإن الناقة إذا لَقِحت قيل لها : خَلِفة ، وللجمع : المَخَاضُ ، وهذا جمع على غير واحده ، إنما هو بجرلة امرأة ونساء ، ثم جَمَعَ الجمع لقال : مَخَانِضُ ، كقولك في رسالة : رسائل ، وكما تقول في قوم : أقوام ، فتجمع الاسم الذي هو للجمع ، وكذلك أعراب وأعاريب ، وأنعام وأنواعيم . وقوله : أَهْمِلُوا ، أى اسْرُحُوا إِبْلَكُمْ ، وَهَمَلٌ : ما كان غير محظور ، وهو السُدَى .

وقال ابن حَبْناء التَّمِيمِيّ :

أعوذ بالله من حال تُزَيِّنُ لِي      لَوْمَ العَشِيرَةِ أو تُدْنِي من النار  
 لا أَقْرَبُ البَيْتِ أَحَبُّ من مؤخَّرِهِ      ولا أَكْسَرُ في ابن العم أَظْفَارِي  
 إنَّ يَجُوبُ اللهُ أَبْصَاراً أراقِبُهَا      فقد يرى اللهُ حالَ المَدْلُجِ السَّارِي

قوله : لا أقرب البيت أحب من مؤخره ، يقول : لا آتية لرية . وقوله :  
 ولا أكسر في ابن العم أظفاري ، يقول : لا اغتابه ، وهذا مثل كما قال الخطيبه :

مَلُّوا قِـرَاهَ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ      وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقوله : فقد يرى الله حال المدلج الساري ، فالمدلج : الذي يسير من أول  
 الليل، يقال : أدلجت ، أى سرت من أول الليل ، وادلجت ، أى سرت في السحر.  
 والسرى : لا يكون إلا سير الليل ، قال الله عز وجل : « فأسر بأهلك » من  
 قولك : أسريت ، وهى اللغة القرشية ، وغيرهم من العرب يقول : سرّيت ، وقد  
 جاءت هذه اللغة في القرآن ، قال الله عز وجل : « والليل إذا يسر » فهذا من  
 سرى ، ولو كان من أسرى لكان يسرى .

وقال رجل يكنى أبا مخزوم من نهشل بن دارم <sup>(١)</sup> :

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب      عنه ولا هو بالأبناء يشربنا  
 إن تُبتدِرَ غايَةٌ يوماً لمكرمة      تلقَ السوابقَ منا والمصلينا  
 وليس يهلك منا سيدٌ أبداً      إلا اقتلينا غلاماً سيدا فينا  
 إني لمن معشر أفي أوائلهم      قيل الكُماة : ألا أين الحمامونا  
 لو كان في الألف منا واحد فدعوا      من فارس ، خالهم إياه يعثونا

(١) هو بشامة بن حزن النهشلى .

ولا تراهـم وإن جلت رزيتهم  
 إنا لثرخص يوم الروع أنفسنا  
 إذا الكماة تنحوا أن ينالهم  
 فرض على مكثرينا نيل بذلهم  
 إني ومن كابي يحيى وعترته  
 مع البكاة على من مات يبكونا  
 ولو نسامها في الأمن أغلينا  
 حد الطبات وصنناها بأيدينا  
 والجود والبذل في طبع المقلينا  
 لا فخر إلا لنا أمن يوازيننا

من قال : إنا بنو هـشل ، فقد خـبرك وجعل « بنو خير إن » . ومن قال بنى ،  
 فإنما جعل الخير

إن تبدر غاية يوما لكرمة يلق السوابق منا والمصلينا

ونصب « بنى » على فعل مضمـر للاختصاص ؛ وهذا أمدح . وقوله :  
 يشرينا ، يريد بيعنا ، يقال : شراه يشريه ، إذا باعه ، فهذه المعروفة ، قال الله عز  
 وجل : « وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ » ، ويكون شريت في معنى اشتريت ،  
 وهو من الأضداد . وقوله : تلق السوابق منا والمصلينا ، فالمصلي : الذى فى أثر  
 السابق ، وإنما سمي مصليا لأنه مع صلوى السابق ، وهما عرقان فى الرذف . وقوله  
 إلا اتلينا غلاما سيدا فينا ، مأخوذ من قولهم فلوت القلو ، إذا أخذته عن أمه ،  
 وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطمـحان القينى : \* إذا مات منهم سيد قام صاحبه \* .  
 وقوله :

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا : من فارس خالهم إياه يعنوننا  
 مأخوذ من قول طرفة بن العبد :  
 إذا القوم قالوا . من فتى لعظمة ؟ فما كلهم يدعى ولكنه الفقى

وقوله : حدّ الطُّبَات ، فالطُّبَة : الحدّ بعينه ، يقال : أصابته طبة السيف ،  
وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري :

نَصِلُ السِّوْفَ إِذَا قَصْرُنْ بِحَطُونَا      قَدَمَا وَوَلِحِقْهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِي

وقوله : إنا لترخص يوم الروع أنفسنا ، أخذه من قول الهمداني ، وهو  
الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه :

لَقَدْ عَلِمْتُ نِسْوَانَ هَمْدَانَ أَنْبَى      لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَدُولِ  
وَأَبْدَلُ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنِّي      لَهُ فِي سَوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَدُولِ  
وَمِنَ الْقَتَالِ الْكِلَابِي حَيْثُ يَقُولُ :      وَأَنْخَوَالِي الْكِرَامُ بَنُو كِلَابِ  
أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ بَنِي قُشَيْرِ      وَجُوهَا لَا تُعْرَضُ لِلْسَّبَابِ  
نَعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا

## أقوال سيارة

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : « ثلاث من كنّ فيه فقد كمل :  
من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ، ولم يستتر له رضاه إلى معصية الله ، وإذا قدر عفا  
وكفّ » .

وقال الحسن : « نعم الله أكبر من أن تُشكر إلا ما أعان عليه ، وذنوب ابن  
آدم أكثر من أن يسلم منها إلا ما عفا الله عنه » .

وقال عمر بن ذر ، ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه ، فقال : « يا بني ، إنه ما علينا من موتك غضاضة ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجة » . فلما قضى وصلى عليه وواراه ، وقف على قبره ، فقال : « يا ذر ، إنه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، لأننا لا ندرى ما قلت ولا ما قيل لك . اللهم إني قد وهبت له ما قصّر فيه مما افترضتَ عليه من حقى ، فهبْ له ما قصّر فيه من حَقِّك ، واجعل ثوابي عليه له ، وزدني من فضلك ، إني إليك من الراغبين » .

وسئل : ما بلغ من برّه بك ؟ فقال : « ما مشى معي بنهار قط إلا قمتني ؟ ولا بليل إلا تقدمتني ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته » .

ودخل كَبْطَةَ بن الفرَزْدَقِ على أبيه ، وهو محبوب في سجن مالك بن المنذر ابن الجارود ، ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القَسَسْرِي ، فقال : « يا أبت هذا عمر بن يزيد الأَسِيدِي ، ضُرب آفئ ألف سوط فمات ، فشُدَّ على حمار » ، فقال الفرزدق : « كأنك والله يا بني بمثل هذا الحديث قد تحدّث به عن أبيك » ، والحسن إذ ذاك عند محبوب له ، فقال : « يا أبا فراس ، ما عندك إن كان ذلك ؟ » ، فقال : « والله يا أبا سعيد » لله أحبُّ إلى من سمعى وبصرى ، ومن مالى وولدى ، ومن أهلى وعشيرتى ، أفترأه يخلدنى ؟ فقال الحسن : « لا » .

وكان عمر بن يزيد الأَسِيدِي شريفاً . حدثني التوزي عن أبي عُيَيْدَةَ قال : « كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأَسِيدِي ، ورجل الشام عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِي ، ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري » . فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز ، فقال : « أجل ، لولا خِبٌ<sup>(١)</sup> في بلال » .

(١) الخب : الخداع .

فقال بلال لما بلغه ذلك : « رمثني بدائها وانسلت » . وقتله مالك بن المنذر  
 تعصبا فيما تذكره المصنفة . فلما دخل بمالك على هشام ، أقبل على أصحابه  
 فقال : « أما رأيتم عمر بن يزيد ، أما إني ما تمنيت أن تكون أمي ولدت رجلا من  
 العرب غيره » . ثم قال لمالك : « قتلته والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا  
 وعقبا ! » . فقال : « وكيف يا أمير المؤمنين ؟ ألسنت ابن المنذر بن الجارود ،  
 وابن مالك بن مسمع ؟ » . وكان جده أبا أمه . وجعل عمر والسياط تأخذه  
 ينادى : « يا هشاماه ! » ففي ذلك يقول الفرزدق :

ألم يك مقتل العبدى ظلما      أبا حفص من الكبر العظام  
 قتل جماعة في غير حقيق      يُقطع وهو يدعو : يا هشام

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : « أتدرى ما  
 يقول الناس يا أبا سعيد ؟ » قال : « وما يقولون ؟ » قال : « يقولون : اجتمع في  
 الجنازة خير الناس وشر الناس » . فقال الحسن : « كلا ، لست بخيرهم ولست  
 بشرهم . ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ » فقال : « شهادة أن لا إله إلا الله منذ  
 ستين سنة ، وخمس نجان لا يُدر كُن » ، يعنى الصلوات الخمس . فيزعم بعض  
 التميمية أنه رُمي في النوم ، ف قيل له : « ما صنع بك ربك ؟ » فقال : « غفر لي ؟ »  
 ف قيل له : « بأى شيء ؟ » فقال : « بالكلمة التي نازعتني فيها الحسن » .

وحدثني العباس بن الفرج الرياشي في إسناد له ذكره ، قال : كان الفرزدق  
 يخرج من منزله ، فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم ، فيسر بذلك ، ويجدل  
 به ، ويقول : « إيه فدى لكم أبي وأمي ، كذا والله كان آباؤكم » .

ونظر إليه أبو هريرة الدؤسي فقال له : « مهما فعلتَ ففكّطك الناس فلا تقنط من رحمة الله » . ثم نظر إلى قدميه فقال : « إني أرى لك قدمين لطيفتين ، فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة » .

يقال : قَنَطَ يَقْنُطُ وَقَنْطُ يَقْنُطُ ، وكلاهما فصيح ، فاقراً بأيهما شئت ، وكذلك لَقِمَ يَنْقِمُ ، ونَقَمَ يَنْقِمُ .

والفرزدق يقول في آخر عمره ، حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلماً :

ألم تَرِنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي  
عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا  
وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيٍّ زُورُ كَلَامٍ  
وَفِي هَذَا الشَّعْرِ :

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تَسْعِينَ حَبَّةً  
رَجَعْتُ عَلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنِّي  
فَلَمَّا انْقَضَى عَمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي  
مُلاقٍ لِأَيَّامِ المَنُونِ حِمَامِي

قوله : كَبِينِ رِئَاجٍ ، فالرئاج : غَلَقُ البَابِ ، ويقال : بَابٌ مُرَجَجٌ ، أى مغلق  
ويقال : أُرْتِجَ عَلَى فُلَانٍ ، أى أُغْلِقَ عَلَيْهِ الكَلَامُ .

وقال الفرزدق في أيام لسنكه :

أَحَابُ وَرَاءَ القَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَالِفِي  
إِذَا قَادِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ قَائِلًا  
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى  
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ  
أَشَدُّ مِنَ القَبْرِ التَّهَابِ وَأَضْيَقَا  
عَنيفٌ وَسَوَاقِ يَسوقِ الفِرْزَدِقَا .  
إِلَى النَّارِ مغلُولَ القِلَادَةِ مُوثِقَا  
يَلدوبونَ مِنْ حَرِّ الحَمِيمِ تَمزُقَا

وعن أبي شَقْفَلِ راوية الفرزدق ، قال : قال لى الفرزدق يوما : « امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإنى أريد أن أطلق النوار » فقلت : « إني أخاف عليك أن تتبعتها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه » . فقال : « امض بنا » فجننا حتى وقفنا على الحسن ، فقال : « كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ » فقال : « بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ » قال : « تَعَلَّمَنْ أن النوار منى طالق ثلاثا » . فقال الحسن وأصحابه : « قد سمعنا . » . فقال لى الفرزدق « يا هذا إن فى قلبى من النوار شيئا » . فقلت : « قد حذرتك ! » فقال :

ندمتُ ندامةَ الكُسَعِيِّ لَمَّا	غدتُ منى مُطَلَّقةً لَمَّا
وكانتُ جَنَّتِي فخرجتُ منها	كأدمَ حينَ أخرجته الضُّرار
ولو أتى ملكتُ يدي ونفسى	لكانَ علىَّ للقدَرِ الخِيار

## خمريات

قال لقيط بن زُرارة :

شربتُ الخمر حتى خِلْتُ أَنى	أبو قابوسُ أو عبد المَدانِ
أَمْشَى فى بنى عُدَسَ بن زيَدِ	رَخِيَّ البِالِ منطلق اللسانِ

وحدثنى أبو عثمان المازنى قال : أسر رجل يوم الحسين بن على رضى الله عنه فأتى به يزيد بن معاوية . فقال له : أليس أبوك القائل :

أرَجَلُ جُمَّتِي وأَجْرُ ذَيْلِي	وتَحْمِلُ شِكَّتِي أفقَ كُمَيْتِ <sup>(١)</sup>
أَمْشَى فى سَمِرةِ بنى عَطِيفِ	إذا ما سامنى ضَيْمَ أبيت

قال : « بلى ؟ » . فأمر به فقتل .

(١) الجملة : مجتمع شعر الرأس . والشكة : السلاح . وأفق : حصان رافع .

وقال آخر :

شربنا من الداذي حتى كأننا  
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا  
وقال آخر ، وهو عبد الرحمن بن الحكم :

وكأس ترى بين الإناء وبينها  
ترى شاربيها حين يعترانها  
فما ظنُّ ذا الواشي بأروع هجد  
وقال رجل من قريش :

مَنْ تَقَرَّعَ الكَأْسُ اللثيمةُ سِنُّهُ  
ولم أرَ مطلوباً أحسنَ غنْـمِـمَةً  
وأجدَرَ أن تَلْقَى كَرِـمًا يَدْمُهُما  
فوالله ما أدرى أخْبِلُ أصابَهُم  
فلا بُدُّ يوماً أن يُسِيءَ ويجهلا  
وأوضَعَ للأشرافِ منها وأخـلـا  
ويشربُها حتى يَنخِرَ مُجْدُلاً  
أم العيشُ فيها لم يلاقوه أشكـلا

وقال آخر :

إذا صدمتني الكأسُ أبدتَ محاسني  
ولستُ بفحاشٍ عليه وإن أسَا  
ولم يَخْشَ نَدْماني أذاتي ولا يُخـلي  
وما شكُلُ مَنْ آذَى نداماه من شكلي

(١) الداذي : نبت يوضع جبه على الشراب .

(٢) يريد أنها : صافية ، حتى إنك لترى في نواحيها ما يشبه في وقتها قلبي للعين .

(٣) يعترانها : يتعاطيانها ويتبادلانها .

(٤) البداء : البادية المحاسن . والخود : المرأة الشابة .

وقال آخر :

كُلُّ هَنَيْئَا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئَا      ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا فَغَيْرُ كَرِيمِ  
لَا أَحَبُّ النَّدِيمِ يَوْمِضُ بِالْعَيْنِ      إِذَا مَا انْتَشَى لِعَرَسِ النَّدِيمِ

الإيماض : تفتح البرق ونخه ، يقال : أومضت المرأة ، إذا ابتسمت ، وإنما ذلك تشبيه للمع لناياها بتبسم البرق ، فأراد أنه فتح عينه ثم أغمضها بغمزة .

وقال حسان بن ثابت :

كَانَ سَيْبَةً مِّنْ بَيْتِ رَأْسِ      يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ  
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا      فَهِنَّ لَطِيبَ الرَّاحِ الْقِيَادَاءِ  
تَوَلَّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا      إِذَا مَا كَانَ مَعْتًا أَوْ لِحَاءِ  
وَنَشْرِبُهَا فَنَتْرُكُنَا مَلُوكَا      وَأَسْدَا مَا يُنْتَهِنُنَا اللَّقَاءِ

المغث : المماغثة باليد . واللحاء : الملاحة باللسان : يقول : يعتذر المسيء بأن يقول كنت سكران فيُعذر .

وقوله : كان سيبية ، يقال : سبأها ، إذا اشتريتها سبأ ، يعني الخمر ، والسايئ : الخمار ، وقوله : من بيت رأس ، يعني موضعاً ، كما يقال حارثُ الجولان .

## أقوال

قال الأحنف بن قيس « ألا أدلكم على المَحْمَدة بلا مَرَزِنة : الخُلُقُ السَّجِيحُ والكفَّ عن القبيح ، ألا أخبركم بأذوأ الداء : الخلق الدنيء ، واللسان البذيء » .

وقال الأحنف : « ثلاث في ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين حتى يُدخِلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه - يعنى السلطان - ولا حللتُ حَبَوَتِي إلى ما يقوم إليه الناس » . تكسر الحاء وتضمها إذا أردت الاسم ، وتفتحها إذا أردت المصدر . أنشدني عمارة بن عقيل لجرير :

قُتِلَ الزبير وأنت عاقِدُ حُبوةٍ      قُبِحَا حُبوتِكَ التي لم تُحَلَّلِ

ويقال في جمع حُبوة حِبَا وحُبَا ، مقصوران .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عُثبة : « ما أحسن الحسنات في آثار السيئات وأقبح السيئات في آثار الحسنات ، وأقبح من ذا وأحسن من ذاك : السيئات في آثار السيئات ، والحسنات في آثار الحسنات » .

والعرب تَلَفُ الخبرين المختلفين ، ترمي بتفسيرهما جملة ، ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره . وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

## السيد

قال رجل لسلم بن نوفل : « ما أرخصُ السؤدُ فيكم ؟ » فقال سليم :  
« أما نحن فلا لسؤد إلا من بدل لنا ماله ، وأوطأنا عَرْضِهِ ، وامتهن في حاجتنا  
نفسه . » . ولسلم يقول القائل :

يُسوّدُ أقوامٌ وليسوا بسادةٍ بل السيدُ المعروفُ سلمٌ بن نوفلٍ

قال معاوية لعرابة بن قَيْظِي الأنصاري : « بم سُدت قومك ؟ » فقال  
« لست بسيدهم ، ولكني رجل منهم » . فعزم عليه ، فقال : « أعطيتُ في نائبتهم ،  
وحملتُ عن سفيهم ، وشددت على يدي حلِيمهم ، فمن فعل منهم مثل فعلِي  
فهو مثلي ، ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزه فهو أفضل مني » .

وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر . فجمعه الطريق والشماع بن  
ضِرار المَضْرِي ، فتحدثا ، فقال له عرابة : « مالذي أقدمك المدينة ؟ » قال :  
« قدمت لأمتار منها » . فملا له عرابة رواحله بُرا وتمرًا ، وأتحفه بغير ذلك . فقال  
الشماع :

رأيتُ عرابةَ الأوسِيَّ يسمو	إلى الخيراتِ منقطِعِ القرينِ
إذا ما رايبَةً رُفِعَتْ نَجْدِ	تلقاها عَرابةُ باليمنينِ
إذا بَلَغَتْنِي وَحَمَلتِ رَحْلي	عرابةَ فاشترَقِي بسدمِ الوتينِ
ومثلُ سِراةِ قومك لم يُجاروا	إلى رُبْعِ الرَّهْمانِ ولا الثمينِ

قوله : تلقاها عرابة باليمين ، قال أصحاب المعاني : معناه بالقوة ، وقالوا  
مثل ذلك في قول الله عز وجل : «وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» . وقد أحسن كل  
الإحسان في قوله :

إذا بلغتني وجملت رحلى      عرابة فاشرقى بدم الوتين

يقول : لست أحتاج إلى أن أرحل إلى غيره . وقد عاب بعض الرواة قوله :  
فاشرقى بدم الوتين . وقال : كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها ، فقد قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة ، وقد لجت على ناقة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : « يا رسول الله ، إني نذرت إن نجوت  
أن أنحرها . » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبئس ما جزيتها . »  
وقال : « لا نذر في معصية ، ولا نذر للإنسان في غير ملكه . »

ومما لم يُعَب في هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحة الأنصاري لما أمره رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة :

إذا بلغتني وجملت رحلى      مسيرة أربع بعد الحساء  
فشأئك فأنعمي وخالك ذم      ولا أرجع إلى أهلي ورائي

الحساء : جمع حسي ، وهو موضع رمل تحته صلابة ، فإذا أمطرت السماء  
على ذلك الرمل تزل الماء ، فمنعته الصلابة أن يفيض ، ومنع الرمل السمائم أن  
تنشفه . فإذا بُحث ذلك الرمل أصيب الماء . يقال : حسي وأحساء وحساء ،  
مدودة . وقد اتبع ذو الرمة الشماخ في قوله :

إذا ابن موسى بالالا بلغتته      فقام بفأس بين وصليك جازر  
الوصل : المفصل بما عليه من اللحم ، يقال : قطع الله أوصاله ، ويقال :  
وصل وكسر وجدل ، في معنى واحد .

## قِلةُ النّومِ مِنَ الذِّكَاةِ

أنشدني التَّوَزِي لرجل من رُجَازِ بَنِي تَمِيمِ في وَقعةِ الجُفْرةِ :

نحن ضربنا الأزد بالعراقِ والحى من ربيعة المراقِ  
وابن سهيل قائد التفاقِ بلا معونات ولا أرزاقِ  
إلا بقايا كرم الأعراقِ لشدة الحشية والإشفاقِ

من المخازي والحديث الباقي

الأعراق : جمع عرق ، يقال : فلان كريم العرق ، ولنيم العرق ، أى الأصل .  
وقال آخر يصف ابنه :

أعرف منه قلة الثعاس

وخفة في رأسه من راسي

كيف ترين عنده مرآسي

يخاطب أم ابنه . فقوله : أعرف منه قلة الثعاس ، أى الذكاء والحركة ،  
وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده : « علمهم العوم ، وهذهم  
بقلة النوم » .

وكذا قال أبو كبير الهدلي :

فأتت به حوش الجنان مبطننا سهدا إذا ما نام ليل الهوجل<sup>(1)</sup>

وقال آخر :

فجاءت به حوش الفؤاد مسهدا وأفضل أولاد الرجال المسهد

(1) حوش الجنان : حديد القلب ذكى . والمبطن : الضامر البطن .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عيني تامان ولا ينام قلبي » .  
وقال عروة بن الورد العبسي ، وهو عروة الصعاليك :

لَحَا اللهُ صَعْلوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ	مُصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفَا كُلَّ مَجْزَرٍ <sup>(١)</sup>
يَنَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يَصْبِحُ قَاعِدًا	يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعْنِيهِ	فِيضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
وَلَكِنْ صَعْلوكَا صَفِيحَةً وَجْهِهِ	كضوءِ سراجِ القابِسِ الْمُتَنَوِّرِ
مُطْلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزُجْرُونَهُ	بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمُنِيحِ الْمَشْهُرِ
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ	تَشْرُفُ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنْظَرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا	حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَأَجْدِرِ

قوله : يحس الحصى عن جنبه المتعفر ، يريد المترب ، والعقر والعقر : اسمان للتراب ، وقوله : كالبعير المحسر ، هو المعبي ، يقال : جهل حسير وناقاة حسير ، قال الله عز وجل : « يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » . وقوله : وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه ، على التقديم والتأخير ، أراد لا يأمنون اقترابه وإن بعدوا . وكيف ترين عنده مراسى ، يقول : للمرأة عززتك على شبهه . وهذا الرجز ضد ما قال الآخر في ولده ، فإنه أقر بأن امرأته غلبته على شبهه ، وذلك قوله :

والله ما أشبهني عصاماً  
لا خلق منه ولا قوام  
نمت وعرق الخال لا ينام  
يقول عزتني أمه على الشبه ، فذهبت به إلى أخواله .

(١) لحا : لعن وقبح . والمشاش : النفس أو الطبيعة .

## المعروف

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « لا يزهديك في المعروف كفر من كفر ، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه » .  
وأشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر :

إن الصنعة لا تكون صنعةً      حتى تُصيبَ بها طريق المصنع

فقال : « هذا رجل يريد أن يخل الناس ، أمطر المعروف مطراً ، فإن صادف موضعاً فهو الذى قصدت له ، وإلا كنت أحق به » .

ومر يزيد بن المهلب بأعرابية في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة . فقرته عتراً فقبلها . وقال لابنه معاوية : « ما معك من النفقة ؟ » فقال : « ثمانى مئة دينار » . قال : « فادفعها إليها » . قال له ابنه : « إنك تريد الرجال ولا يكون الرجال إلا بالمال ، وهذه يُرضيها اليسر ، وهى بَعْدُ لا تعرفك » فقال له : « إن كانت ترضى باليسر فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى ، ادفعها إليها » .

وزعم الأصمعى أن حرباً كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة ، فتفاقم الأمر فيها . ثم مشى بين الناس بالصلح ، فاجتمعوا في المسجد الجامع . قال : بُعثت وأنا غلام إلى ضرار بن القَعْقَاع من بنى دارم . فاستأذنت عليه ، فأذن لى . فدخلت فإذا به فى شملة يخلط بزراً لعنن له حلوب . فخبرته بمجتمع القوم . فأمهل حتى أكلت

العز ، ثم غسل الصفحة . وصاح : « يا جارية عَدْنِي » فأتته بزيت وتمر . فدعان  
فقدَرْتِه أن آكل معه . حتى إذا قضى من أكله حاجة . وثب إلى طين مُلْقَى في  
الدار ، فغسل به يده . ثم صاح : « يا جارية ، اسقيني ماء » . فأتته فشربه ،  
ومسح فُضْله على وجهه . ثم قال : « الحمد لله ؟ ماء الفرات بتمر البصرة بزيت  
الشام ! متى نؤدى شكر هذه النعم ؟ » . ثم قال : « يا جارية ، على بردائي » .  
فأتته برداء عَدْنِي ، فارتدى به على تلك الشملة . قال الأصمعي : فتجافيت عنه  
استقباحاً لزيه . فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى إلى القوم . فلم تبق حبة  
إلا حلت إعظاماً له . ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء في ماله وانصرف .

## من أقوال العرب في الطيرة

أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد ، قال أنشدني أعرابي في قصيدة ذى

الرؤمة :

ولا زال مُنْهَلاً بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرُ

أَلَا يَا اسْلَمَى يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى

بيتين لم تأت بهما الرواة ، وهما :

من القَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ هَا وَرَقُّ نَضْرُ

رَأَيْتُ غَرَاباً سَاقِطاً فَوْقَ قَضْبِي

لَقَضْبِ الثَّوَى ، هَذِي الْعِيَاةُ وَالزُّجْرُ

فَقُلْتُ : غَرَابٌ لَأَغْتَرَابٍ ، وَقَضْبِي

وقال آخر :

بِكَاءِ هَمَامَيْنِ تَجَاوَيَانِ

وَقَدْ هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقاً

عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانِ

تَجَاوَيْتَا لِلْحَنِّ أَعْجَمِي

وَفِي الْغَرَبِ اغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانَ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتِ سَلِيمِي

## الفقر والغنى

قال شاعر :

ولقد بَغيتَ المالَ من مَبَغاتِهِ      والمالُ وجهٌ للفقى مَعروضُ  
طلبَ الغنى عن صاحبي لِيُحِبَّنِي      إنَّ الفقيرَ إلى الغنى بَغِيضُ

## غزل

قال ابن الرقاع العاملي :

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عَسَا      فيه المشيبُ لَزُرْتُ أمَّ القاسمِ (١)  
وكأنها بين النساءِ أعارها      عينيه أخورُ من جاذرِ عاسمِ  
وسنانُ أقصدَه النعاسُ فرَنقتُ      في عينيه سِنَةٌ وليس بنائمِ

معنى رَنقتُ هَيأتُ ، يقال : رَنقَ النسر ، إذا مد جناحيه ليَطير .

## مواعظ

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : « أي الجهاد أفضل ؟ » فقال :  
« جهادك هواك » .

وقال رجل من الحكماء : « أعص النساء وهواك واصنع ما شئت » .

(١) عَسَا : كثر وعظم .

وقال محمد بن علي : « مالك من عيشك إلا لذة تَرَدِّ لِف بك إلى حمامك وتقرّبك من يومك ، فأيةُ أكلة ليس معها غَصَص أو شربة ليس معها شَرَق ؟ فتأمل أمرك فكأنك قد صرّت الحبيب المفقود والخيال المُخترَم ! أهل الدنيا أهل سفر لا يَحُلُون عَقْد رِحالهم إلا في غيرها » . تزدلف بك إلى حمامك : يقول : تقرّبك .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو في خطبة :  
 « يا أمير المؤمنين ، صف لنا الدنيا ! » فقال : « ما أصف من دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، مَنْ صَح فيها أَمِن ، ومن مَرَض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فُتِن ، ومن التقر فيها حَزَن » .

## فرسان العرب

قال أبو عبيدة : اجتمع العُكَاظِيُون على أن فُرسان العرب ثلاثة : ففارس تميم عُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب ، أحد بني نَعْلَبَة بن يَرْبُوع بن حنظلة ، صَيَّاد الفوارس ، وسَمُّ الفُرسان ؛ وفارس قيس عامر بن الطُّفَيْل ، وفارس ربيعة بِسْطَام ابن قيس ، أحد بني شَيَّان بن نَعْلَبَة ، ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوَّا عليهم سَقَطَاتِم .

## دينيات

وحدثني العباس بن الفرَج الرِّيَاشِيُّ عن الأصمعيُّ قال : قال عَدِيُّ بن الفُضَيْلِ :  
 خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بثرا بالعذبة فقَالَ لي :  
 « وأين العذبة ؟ » فقلت : « على ليلتين من البصرة » . فتأسف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء . فأخفَرَنِي ، واشترط عليَّ أن أول شارب ابن السبيل . فحضرته

في جمعة ، وهو يخطب ، فسمعته وهو يقول : « يا أيها الناس ، إنكم ميتون ثم إنكم مبعوثون ثم إنكم محاسبون ، فَلَعْمَرَى لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ ، ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم . أيها الناس ، إنه من يُقَدَّر له رزق برأس جبل أو بحضيض أرض يَأْتِه ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » . فأقمت عنده شهرا ما بي إلا استماع كلامه .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَ آمِنًا فِي سَرِيهِ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ ، كَانَ كَمَنْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمُجْدِافِهَا » .  
في سره ، يقول : في مسلكتك ، يقال : فلان واسع السرب ، خلى السرب يريد المسالك والمذاهب .

وكان الحسن يقول : « لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ عَطِبَ كَيْفَ عَطِبَ ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا » .

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر : « أيها الناس ، ائِدْعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ ، فَإِنَّمَا أَسْأَلُ شَيْءًا إِذَا أُعْطِيتُ ، وَأَمْنَعُ شَيْءًا إِذَا سُلِّتُ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لِنَفْسِهِ خِطَامًا وَزَمَامًا ، فَقَادَهَا بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَعَطَفَهَا بِزَمَامِهَا عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ . فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عِدَابِهِ » .

ائدعوا : يقول امنعوا . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خديجة بنت خويلد ، ذُكِرَ ذَلِكَ لَوَرْقَةَ بِنْتِ نُوْفَلٍ ، فَقَالَ : « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَخِطُبُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، الْفَحْلُ لَا يُقَدِّعُ أَنْفَهُ » .

وكان الحجاج يقول : « إِنْ أَمْرًا أَنْتَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ عَمْرِهِ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا رَبَّهُ ، أَوْ يَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبِهِ ، أَوْ يَفْكِرُ فِي مَعَادِهِ ، لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

## الأبناء ومآثر الأبناء

أنشدني غمارة بن عقيل لنفسه يحضُّ بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة على بني  
 لمير بن عامر بن صعصعة ، وبينهم مُطالبات وِترات . وكانت بنو غمير أعداء  
 غمارة ، فكان يحض عليهم السلطان ، ويُغري بهم إخوانهم ، ويحاربهم في عشرته .  
 فقال :

لَعَضُ الحروبِ والعديدُ كثيرُ	راينا كُما يا ابني ربيعة خُرتمُما
وكذبتُما ما كان قال جرير	وصدقتُما قولَ الفرزدقِ فيكما
فكلُّ لُميريَ بِذاك أمير	أصابتُ لُميرَ منكمُ فوقَ قدرِها
فقد هُدمت مدائنٌ وقصور	فإن تفخروا بما مضى من قديمكم
مدائنُ منها كالجبالِ وسور	رمتُها مَجانيقُ العدوِ فقَوضتُ
وآلُ هرقلِ حِقبةٌ ونضير	وشيدُها الأملأُ كسرى وهُرْمُرُ
لكم في مُضراتِ الحروبِ ضير	فإن تَعْمُرُوا المجدَ القديمَ فلم يَزَلْ
حِماكمِ وحتى لا يَهْرُ عَقُور	خَبَطْتُم ليوثَ الشامِ حتى تَنادرتُ
تعالِبُ يبحثن الحِصَى وأبور	فكيف بأكنافِ الشُريفِ تصيبيكم

فقد هدمت مدائن وقصور : مثل ، يريد أن مجدكم الذي بناه آباؤكم متى  
 لم تعمروه بأفعالكم خرب وذهب . وهذا كما قال عبد الله بن معاوية :

يوما على الأحسابِ تَتَكَلُّ	لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتَ أوائِلُنَا
بني ونفعل مثل ما فعلوا	بني كما كانت أوائِلُنَا

كما قال الآخر :

ألهى بنى جشمٍ عن كلِّ مكرمةٍ      قصيدةً قالها عمرو بن كلثومٍ  
يفاخرون بها مُذْ كان أولهم      يا للرجالِ لفخرٍ غيرِ مسنومِ  
إنَّ القديم إذا ما ضاع آخره      كساعدِ فلله الأيـامِ محطومِ

وكما قال عامر بن الطفيل العامري :

إني وإن كنتُ ابنَ فارسٍ عامرٍ      وفي السرِّ منها والصريحِ المهذبِ  
فما سَوَّدتني عامرٌ عن ورائة      أبي اللهُ أن أسمو بأَمِّ ولا أبِ  
ولكنني أحمي حماها وأتقى      أذاها وأرمي من رماها بمقنبِ<sup>(١)</sup>

وقوله : لكم في مضرات الحروب ضرير ، يقال : رجل ذو ضرير ، إذا كان ذا مشقة على العدو. ويروى أن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى قال لدغفل ابن حنظلة التسابة : « ما تقول في بني عامر بن صعصعة ؟ » فقال : « أعناق ظباء وأعجاز نساء » . قال : « فما تقول في بني تميم ؟ » قال : « حجر أخشن ، إن صادمته آذاك ، وإن تركته تركك » . قال : « فما تقول في اليمن ؟ » قال : « سيد وأنوك<sup>(٢)</sup> » .

(١) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الأنوك : الأحمق ، والعاجز الجاهل ، والغبى .

## هجاء ومدح

قال أعرابي يهجو قوما من طيء :

ولمّا أن رأيتُ بنى جُوَيْنِ      جلوسا ليس بينهم جليسُ  
يشتُ من التي أقبلتُ أبغى      لديهم إننى رجل يتوس  
إذا ما قلتُ أيتهم لأى      تشابهتِ المناكبُ والرءوس

وقوله : جلوسا ليس بينهم جليس ، يقول : هؤلاء قوم لا يتتبع الناس معروفهم ، فليس فيهم غيرهم . وهذا من أقبح الهجاء .

ومن أمثال العرب : « سمنهم فى أديهم » ومعناه فى مادومهم .

وتقول الحكماء : « من كثر خيرهِ ، كثر زائرهِ » .

وقال المهلب بن أبى صُفرة لبيه : « يا بنى إذا غدا عليكم الرجل وراح

مسلمًا فكفى بذلك تقاضيا » .

ومن أحسن المدح قول زهير :

وقد جعل الطالبون الخيرَ فى هَرَمِ      والسائلون إلى أبوابه طُرُقًا  
وقال آخر :

ويزدحم الناس على بابهِ      والمشرب العذبُ كثير الزحام

وقوله : تشابهت المناكب والرءوس ، إنما ضربه مثلا للأخلاق والأفعال ، أى

ليس فيهم مُفضّل . ويقال : إن الأضبط بن قُرَيْع آذته عشيرته من بنى سعد ،

فخرج عنهم . فجعل لا يجاوز قوما إلا آذوه ، فقال : « أينما أذهب ألقى سعدا » ،

أى أفر من الأذى إلى مثله .

## خير المجالس

قال أبو إدريس الخولاني : « المساجد مجالس الكرام » .  
وقيل للأحنف بن قيس : « أي المجالس أطيب ؟ » فقال : « ما سافر فيه  
البصر ، وأتدع فيه البدن . » اتدع : افتعل من التوديع .  
وقيل للمهلب بن أبي صفرة : « ما خير المجالس ؟ » فقال : « ما بُعد فيه  
مدى الطرف ، وكثرت فيه فائدة الجليس » .

ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : « إذا أتيت مجلس قوم ، فارمهم  
بسهم الإسلام ثم اجلس . فإن أفاضوا في ذكر الله ، فأجل سهمك ، وإن أفاضوا  
في غيره فخلّهم وانفض » . قوله : فارمهم بسهم الإسلام ، يعني السلام .  
وقوله : فأجل سهمك مع سهامهم ، يعني ادخل معهم في أمرهم ؟ فضربه مثلا من  
دخول الرجل في قدام الميسر .

وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه :

وإذا أتيت جماعة في مجلسٍ  
فاختر مجالسهم ولما تقعد  
ودع الغواة الجاهلين وجهلهم  
وإلى الذين يذكرونك فاعمد

وقال ابن عباس رحمه الله : « جليسي على ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل  
وأوسع له إذا جلس ، وأصغى إليه إذا حدث » .  
وكان القعقاع بن شؤر إذا جالسه جليس ، فعرفه بالقصد إليه ، جعل له نصيبا  
في ماله ، وأعانته على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا له  
حتى شهر بذلك . وفيه يقول القائل :

كنتُ جليسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ      ولا يَشْقَى بقَعْقَاعِ جليس  
 ضحكوك السنن إن أمروا بخير      وعند السوء مطراق عبوس  
 وقال رجل من بني مَخْزُومٍ للأخوص بن محمد الأنصاري ليؤذيه : أتعرف  
 الذي يقول :

ذهبت قريش بالكمـارم كلـها      واللؤمُ تحت عمائم الأنصار  
 فقال الأخوص : لا أدري، ولكني أعرف الذي يقول :  
 الناسُ كَنُوهُ أبا حَكِّمٍ      والله كَنَاهُ أبا جَهْمِ  
 أبقتُ رياسته لأسـرته      لؤمَ الفـروع ودقَّةَ الأصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت . والبيت الذي أنشده المخزومي للأخطل ،  
 وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الأنصار ، فأمر كعب بن جعيل التغلبي  
 بمجانهم . فقال له كعب : « أهجو الأنصار ؟ أراذى أنت إلى الكفر بعد الإسلام ؟  
 ولكني أدلك على غلام من الحى نصراني ، كأن لسانه لسان ثور » . يعنى  
 الأخطل . فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري على  
 معاوية ، فحَسَرَ عمامته عن رأسه ، ثم قال : « يا معاوية أترى لؤما ؟ » . فقال :  
 « ما أرى إلا كرما » . فقال النعمان :

معاويَ إن لا نُعْطِنَا الحَقَّ نَعْرِفُ      لحي الأزدِ مَسْدُولَا عليها العمامُ  
 أَيَشْتَمُنَا عبْدُ الأراقِمِ ضَالَّةً      فماذا الذي تجدى عليك الأراقِمُ  
 فمالي نازٌّ دونَ قطعِ لسانه      فدوئك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الأحنف بن قيس يقول : « لاتزال العرب عربا ما لبست العمام ،  
 وتقلدت السيوف ، ولم تَعُدُّ الحلم ذلا ، ولا التواهب فيما بينها ضعة » .

وقالوا في تأويل قوله : ما لبست العمائم ، يقول : ما حافظت على زيتها . وقوله وتقلدت السيوف ، يريد الامتناع من الضيم . وقوله : لم تعدد الحلم ذلا ، يقول ما عرفت موضع الحلم . وتأويل ذلك أن الرجل إذا أغضى للسلطان ، أو أغضى عن الجواب وهو مأمور ، لم يُقَلَّ حَلْمٌ ، وإنما يقال حلم إذا ترك أن يقول الشيء لصاحبه منتصرا ولا يخاف عاقبة يكرهها ؛ فهذا الحلم الخض . فإذا لم يفعل ذلك ، ورأى أن تركه الحلم ذل ، فهو خطأ وسفه . وقوله : ولم تر التواهب بينها ضعة ، نحو من هذا ، وهو أن يهب الرجل من حقه مالا يستكره عليه .

## الإحسان والمنية

كان يقال : « أخبوا المعروف بإماتته » . وتأويل ذلك أن الرجل إذا امتن بمعرفة كثره .

وقيل : « أئنة قدم الصنعة » .

وكان يقال : « كتمان المعروف من المنعم عليه كفر ، وذكره من المنعم تكدير له » .

وقال قيس بن عاصم : « يا بني تميم ، اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديكم إليكم » .

## نقد الأشعار

قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف الأسدي : « ما أحسن ما مُدِحَت به ؟ » فاستغفاه فأبى أن يعفيه ، وهو معه على سريره ، فلما أبى إلا أن يخبره ، قال : قول القائل :

ألا أيها الرُّكْبُ المُنْحَبُونَ هل لكم  
من التَّفَرِّ البيض الذين إذا اغْتَزَرُوا  
إذا نفرَ السُّودُ اليمانونَ مُنَمَّمُوا  
جلا المِسْكُ والحَمَامُ والبيضُ كالدُّمَى

فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك :

قد حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا  
أطعمُ نوماً غيرَ تَهْجَاعٍ (٥)  
وحدثت أن كثيراً كان يقول : لَوَدِدْتُ أنى كنت سبقت الأسود إلى هذين  
البيتين ، يعنى نصيباً فى قوله :

من نفر البيض الذين إذا اتَّجَعُوا  
يُحَيُّونَ بسَّامِينَ طَوْرًا وتارة  
أقرت لتجواهم لؤى بن غالب  
يُحَيُّونَ عَبَّاسِينَ سُوسِ الحَوَاجِبِ  
والمختار من الشعر الأول قوله :

(١) المنحبون : الذين تحب بهم دواهم ، أى تسرع . وتحبوا : تعطوا .

(٢) اغتزروا : انتسبوا . وقعقوا : صوتوا .

(٣) غنموا : زخرفوا ، والحوك : الخياطة .

(٤) المدارى : الأمشاط .

(٥) البيضة : الخوذة .

من النفر البيض الذين إذا اعتزوا وهاب الرجال حلقة الباب قعقوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بأن مثلهم لا يُرد .

وحدّثت أن جريرا كان يقول : وددت أن هذا البيت من شعر هذا العبد

كان لي بكذا وكذا بيتا من شعري ، يعني قول نصيب :

يزينب ألممّ قبل أن يرحلَ الركبُ      وقلْ إن تمَلّينا فما مَلِكِ القلبُ

وأما قول نصيب :

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وإن أمتُ      أوكلُ بدعدٍ من يهيمُ بما بعدى

فلم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهبا حسنا . وقد ذكر عبد

الملك ذلك جلسائه فكلُّ عابه ، فقال عبد الملك : « فلو كان إليكم كيف كنتم

قاتلين ؟ » فقال رجل منهم : كنت أقول :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت      فوا حزنا من ذا يهيم بما بعدى ؟

فقال عبد الملك : « ما قلت والله أسوأ مما قاله ! » ف قيل له : « فكيف كنت

قاتلا في ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال : كنت أقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت      فلا صلحت دعد لذي خلة بعدى

فقالوا : « أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين » .  
 وقد فَضَّلَ نُصَيْبٌ عَلَى الْفِرْزْدَقِ فِي مَوْقِفِهِ عِنْدَ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ  
 أَنَّهُمَا حَضَرَا ، فَقَالَ سَلِيمَانُ لِلْفِرْزْدَقِ : « أَنْشُدْنِي » . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْشُدَهُ مَدْحًا  
 لَهُ . فَأَنْشُدَهُ :

وركبٍ كان الريح تطلبُ عندهم      لها ترّةٌ من جذبِها بالعصائب (١)  
 سرّواً يجبطون الريحَ وهي تَلْفُهُم      إلى شَعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ (٢)  
 إذا آكسُوا ناراً يقولون لَيْتَهَا      وقد خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ (٣)

فأعرض سليمان كالمغضب . فقال نصيب : « يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في  
 رَوِيَّهَا مَا لَعَلَهُ لَا يَتَضَعُ عَنْهَا ؟ » فقال : « هات » . فَأَنْشُدَهُ :

أقول لركبٍ صادرين لقيتْهُم      قفا ذاتِ أوشالٍ ومولاك قارب (٤)  
 قفوا خبروني عن سليمان إنني      لمعروفه من أهل ودان طالب  
 فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله      ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقائب (٥)

(١) الترة : النار . والعصائب : العمام .

(٢) الأكوار : جمع كور ، وهو الرجل .

(٣) خصرت : بردت .

(٤) قفا : خلف . ذات أوشال : موضع . ومولاك : يريد نفسه . وقارب : طالب  
 للماء .

(٥) عاجوا : عطفوا إبلهم .

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يُسبق إليه ، على أن  
الشاعر ، وهو أخو هَمْدَان ، قد قال في عصره في غير المدح :

يَمْرُونَ بِالذَّهْنِ خِفَافًا عِيَابُهُمْ      وَيُخْرِجُنَّ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الْحَقَائِبِ  
على حين أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ      فَتَدَلَّا زُرَيْقُ الْمَالِ تَدَلَّ الثَّعَالِبِ

وليس شعر نصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في  
الفخر ، وإنما يُفاضل بين الشيين إذا تناسبا . وقد قال سليمان للفرزدق حين  
أنشده نصيب : « كيف تراه ؟ » قال : « هو أشعر أهل جلدته » . فقام  
الفرزدق وهو يقول :

وخيّر الشعرِ أشرفه رجلا      وشرّ الشعر ما قال العبيد

ثم نرجع إلى تفسير الشعر . يمرون بالدهن خفافا عيابهم ، يعني قوما تجارا .  
وقد قالوا : إنما ذكر لصوصا . والأول أثبت ، ذلك أن « دارين » سوق من  
أسواق العرب . وبُجْر الحقائق ، يقول : عظام . وأما قوله : فتدلا زريق المال ندل  
الثعالب ، فزريق : قبيلة ، وتدلا : مصدر ، يقول الدلي ندلا يازريق المال ،  
والندل : أن تجذبه جذبا فنصب ندلا بفعل مضمّر ، وهو الدلي . وهذا في الأمر  
تقول : ضربا زيدا ، وشتما عبد الله . وندل الثعالب : يريد سرعة الثعالب ، يقال  
في المثل : « أكسب من ثعلب » .

## إصابة الهدف في المديح

وَحَدَّثْتُ أَنْ أَبَا وَجْزَةَ السُّلَمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْمَسْعُودِيِّ لَقَوْلِهِ فِيهِمْ ، وَمَحَالَفَتِهِ  
إِبْرَاهِيمَ ، كَانَ شَخْصًا إِلَى الْمَدِينَةِ يَرِيدُ آلَ الزَّبِيرِ ، وَشَخْصًا أَبُو زَيْدٍ الْأَسْلَمِيُّ يَرِيدُ  
إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ ، وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ فَاصْطَحِبَا . فَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ : « هَلُمَّ فَلَنَشْتَرِكَ  
فِيمَا لِنَصِيهِ » فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الْأَسْلَمِيُّ : « كَلَّا ، أَنَا أَمْدَحُ الْمُلُوكَ ، وَأَنْتَ تَمْدَحُ  
السُّوقَةَ ا » فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ صَارَ أَبُو زَيْدٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامٍ فَأَنْشَدَهُ :

يَا بْنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الْكِرَامِ

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : « وَإِنَّمَا أَنَا أَخُوهُمْ وَكَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ ا » . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضْرِبَ  
بِالسَّيَاطِ . وَامْتَدَحَ أَبُو وَجْزَةَ آلَ الزَّبِيرِ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ بِسْتَيْنَ وَسَقَا مِنْ قَمَرٍ ، وَقَالُوا :  
« هَلَا لَكَ عِنْدَنَا فِي كُلِّ سَنَةٍ » . فَانْصَرَفَا . فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ :

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى	حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَنْزِعْزِعَا
نَقَائِدَ بُوَيْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى	وَحَلَبْتَ الْأَيَّامَ وَالدهَرَ أَضْرَعَا
سَقَاهَا ذُورًا وَأَرْحَامًا سَجَلًا عَلَى الظُّمَأِ	وَقَدْ كَرَبْتُ أَعْنَاقَهَا أَنْ تَقْطَعَا
بِفَضْلِ سِجَالٍ لَوْ سَقَوْا مِنْ مَشَى بِهَا	عَلَى الْأَرْضِ أَرْوَاهُمْ جَمِيعًا وَأَشْبَعَا
فَضَمَّتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى فَضْلِ هَائِهَا	مِنَ الرَّيِّ لَمَّا أَوْشَكَتْ أَنْ تَصَلَّعَا
وَزَهَّدَهَا أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فِي الْغِنَى	مُقَاسَاتِهَا مِنْ قَبْلِهِ انْفَقَرَ جُوعَا

وَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ :

رَاحَتْ رَوَاحًا قَلْوَصِي وَهِيَ حَامِدَةٌ	آلَ الزَّبِيرِ وَلَمْ تَعْدِلْ بِهِمْ أَحَدَا
رَاحَتْ بِسْتَيْنَ وَسَقَا فِي حَقِيقَتِهَا	مَا حَمَلَتْ حَمَلَهَا الْأَدْنَى وَلَا السُّدَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ قَلْوَصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ	سْتَيْنَ وَسَقَا وَلَا جَابَتْ بِهِ بِلَدَا
ذَاكَ الْقَرَى لَا قَرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ	يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءِيَّةَ الْجُدَا

أما قول أبي زيد لإبراهيم : مدحت عروقا للندی مصت الثرى حديثا ، فإنما  
عنى أن إبراهيم وأخاه محمدا إنما تَطَعَّمَا بالعيش ، ودخلا فى النعمة ، وخرجا من  
حدِّ السُّوقِ إلى حدِّ الملوك حديثا ، وذلك بهشام بن عبد الملك ، لأنهما كانا خاليه  
فإنما ولآههما عن هحول . وقوله : فلم تهمم بأن تنزعزعا ، فإنما هذا مثل ، يقال :  
فلان يهتز للندی ، ويرتاح لفعل الخير ، كما قال مُتَمَّم بن لُؤَيَّة :

تراه كَنَصْلِ السيفِ يهتز للندی      إذا لم تجد عند امرئ السوءِ مَطْمَعَا  
وتأويل ذلك أنه يتحرك تحرك سرور لفعل الخير . وأنشدنى التوزى لأبي رباط  
يقول لابنه :

رأيت رباطاً حين تمَّ شبابُه      وولى شبابي ليس فى بـِـرِّهِ عَتْبُ  
إذا كان أولادُ الرجالِ مرارةً      فانت الحلالِ الحلو والباردِ العذب  
لنا جانب منه أنيقٌ وجانب      شديد على الأعداءِ مركبه صعب  
وتأخذه عند المكارمِ هزةً      كما اهتزت تحت البارحِ الغصنُ الرطبُ

وقوله : نقائد يؤس ، واحدها نقيذة ، وتأويله أنهم أنقذوا من يؤس ، يقال  
للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد ، تقول : هذا نقيذة يؤس ، تقع الهاء للمبالغة .  
وقوله : وحلبت الأيام والدهر أضرعاً ، فإنه مثل ، يقال للرجل المجرب للأمر :  
فلان قد حلب الدهر أشطره ، أى قد قاسى الشدة والرخاء ، وتصرف فى الفقر  
والغنى . وقوله : سقاها ذور الأرحام سجلا على الظما ، فالسجل فى الأصل  
الدلو ، وإنما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها ، يقال للدلو وهى مؤنثة  
سَجَلٌ وذَنُوبٌ . وقوله : وقد كربت أعناقها أن تقطعا ، يقول سقيت هذا السجل  
وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا . وكرب فى معنى المقاربة ، يقال : كاد

يفعل ذلك ، وكرب يفعل ذلك ، أى دنا من ذلك . وقوله : أن تضلّعا ، معناه أن تمتلىء ، وأصله أن الطعام والشراب يبلغان الأضلاع فيكظانها ، كذلك قال الأصمعي في قولهم : أكل حتى تضلّع . وأما قوله : يقرون ضيفهم الملوية الجددا ، فإنما أراد السياط ، وجمع جديد جُدد .

## الدنيا

أمر مصعب بن الزبير رجلا من بني أسد خزيمية بقتل مرة بن مخكان السعديّ ، فقال مرة في ذلك :

بني أسد إن تقتلون تُحاربوا      تميمًا إذا الحربُ العوانُ اشمعلتِ  
ولستُ وإن كانت إلى حبيبة      بياك على الدنيا إذا ما تولت

قوله : إذا الحرب العوان ، فهي التي تكون بعد حرب قد كانت قبلها ، وكذلك أصل العوان في المرأة إنما هي التي قد تزوجت ثم عاودت فخرجت عن حد البكر . وقول الله عز وجل في كتابه العزيز : ﴿ لَأَفَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ ﴾ هو تمام الكلام ، ثم استأنف فقال : ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ ، والفارض ههنا المُسنّة ، والبكر : الصغيرة . وقوله : اشمعلت ، إنما هو ثارت فأسرعت ، وقوله : ولست بياك على الدنيا وإن كانت إلى حبيبة . ولولا هذا التقدير لم يجوز أن يضمّر قبل الذكر ، ومثله :

إن تلقَ يوما على علاته هريما      تلقَ السماحة منه والندی خُلقا

## علي

يروى عن الأصمعي أنه قال : هجم على شهر رمضان ، وأنا بمكة ، فخرجت إلى الطائف لأصوم بها ، هرباً من حر مكة ، فلقيني أعرابي ، فقلت له : « أين تريد ؟ » . فقال : « أريد هذا البلد المبارك ، لأصوم هذا الشهر المبارك فيه » . فقلت له : « أما تخاف الحر ؟ » . فقال : « من الحر أفر » .

هذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم . فإن رجلاً قال له ، وقد صلى ليلة حتى أصبح : « أتعبت نفسك ا » ، فقال : « راحتها أطلب . إن أفر العبيد أكيسهم » .

ونظير هذا الكلام قول رَوْح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور في الشمس ، فقال : « قد طال وقوفك في الشمس ؟ » . فقال رَوْح : « ليطول وقوفي في الظل » .

ومثله من الشعر قوله (١) :

تقول سليمي لو أقمتَ بأرضنا  
وقال أخسر :

ولم تدرِ أنى للمقام أطوفُ  
وسأطلب بُعْدَ الدار منكم لتقربوا

وهذا معنى كثير حسن جميل .

(١) قائله عروة بن الورد العبسي .

## أمثال

من أمثال العرب : « لم يذهب من مالك ما وعظك » . يقول : إذا ذهب من مالك شيء فحدرك أن يحمل بك مثله ، فتأديبه إياك عوض من ذهابه .

ومن أمثالهم : « رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَبِثًا » . وتأويله أن الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به ، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف . والرِيث : الإبطاء، وراث عليه أمره : إذا تأخر .

ومن أمثال العرب : « عَشَى وَلَا تَعْتَرَّ » . وأصل ذلك أن يمر صاحب الإبل بالأرض المكلثة فيقول : أدع أن أعشى إبلي منها حتى أرد على أخرى ، ولا يدرى ما الذى يرد عليه .

وقريب منه قولهم : « أن ترد الماء بماء أكيس » . وتأويله أن يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه أتكالاً على ماء آخر يصير إليه ، فيقال له : أن تحمل معك ماء أخزم لك ، فإن أصبت ماء آخر لم يضرك ، فإن لم تحمل ، فخففت من الماء عطبت .

ومن أمثالهم : « قد أخزم لو أعزم » ، يقول : أعرف وجه الخزم فإن عزمت فأمضيت الرأى فأنا حازم ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعنى حزمى . فالذى يُخمد إمضاء ما تبين رشده ، فأما الإقدام على الغرر ، وركوب

الأمر على الخطر ، فليس بمحمود عند ذوى الألباب ؛ وقد يتحسن بمثله الفتاك ،  
كما قال (١) :

عليكم بدارى فاهدموها فإنها  
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه  
ولم يستشر في رأيه غير نفسه  
فهذا شأن الفتاك . وقال آخر :  
غلام إذا ما هم بالفتك لم يئل  
وقال آخر :  
وما العجز إلا أن تشاورَ عاجزا  
وما الحزم إلا أن تهَمَّ فتفعلا

وأما قولُ على بن أبى طالب رضى الله عنه : « من أكثرَ الفكرة في العواقب  
لم يشجع » . فتأويله أنه من فكر في ظفر قرنه به ، وغلوة عليه ، لم يقدم . وإنما كان  
الحزم عند على رضى الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر في الموت . وقد قيل  
له : « أقتل أهل الشام بالغداة ، وتظهر بالعشى في إزار ورداء ؟ » . فقال :  
« أبا موت أخوف ؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت على ! »  
وقال للحسن ابنه : « لا تبدأ بدعاء إلى مبارزة ، فإن دُعيت إليها فأجب ، فإن  
طالبها باغ ، والباغى مصروع » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلتف في كسانه ، وينام في ناحية  
المسجد . فلما ورد بالمرزبان عليه ، جعلوا يسألون عنه ، فيقال : « مر ههنا  
آنفا » . فيصغر في قلب المرزبان ، إذ رآه كبعض السوق حتى انتهى إليه ، وهو

نائم في ناحية المسجد . فقال المرزبان : « هذا والله المَلِكُ أهنيء » . يقول : لا يحتاج إلى أحراس ولا عُدَد . فلما جلس عمر امتلأ قلب العَلِجِ <sup>(١)</sup> منه هيبة لما رأى عنده من الجِدِّ والاجتهاد ، وألِيس من هيبة التقوى .

## التقوى

قال الكَلْبِيُّ : قال لي خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرُزِ القَسْرِيِّ : « ما تُعَدُّون السُّودد ؟ » فقلت : « أما في الجاهلية فالرياسة ، وأما في الإسلام فالولاية . وخيرٌ من ذا وذاك التقوى » . فقال لي : « صدقت . كان أبي يقول : لم يُدرك الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ، ولا يدركه الآخرُ إلا بما أدرك به الأول » . فقلت : « صدق أبوك . ساد الأحنفُ بحلمه ، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بحجة العشرة له ، وساد قُتَيْبَةُ بدهائه ، وساد المهلبُ بجميع هذه الخلال » . فقال لي : « صدقت . كان أبي يقول : خير الناس للناس خيرهم لنفسه ، وذلك أنه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرِّقِ لئلا يَقُطِعَ ، ومن القتلِ لئلا يُقَادَ ، ومن الزنا لئلا يُحَدَّ ، فسَلِمَ الناسُ منه باتقائه على نفسه » .

وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال . قال له عبد الملك يوماً : « ما مالك ؟ » فقال : « شيان لا عِيْلَةٌ عليَّ معهما : الرضا عن الله والغنى عن الناس » . فلما نهض من بين يديه ، قيل له : « هلاً خَيْرته بمقدار مالك ! » فقال : « لم يَعُدْ أن يكون قليلاً فيحقرني ، أو كثيراً فيحسدني » .

(١) العَلِج : الرجل من كفار العجم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَعْفَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « مَنْ سَرَّهُ الْغَنَى بِلَا مَلِّ ، وَالْعِزَّ بِلَا سُلْطَانٍ ، وَالكَثْرَةَ بِلَا عَشِيرَةٍ ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ ذَلِكَ كُلَّهُ » .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم . فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ لَكُمْ مَعَالِمٌ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ نَهْيَةٌ فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيِكُمْ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ فَاعِلٌ فِيهِ ، وَأَجَلٍ بَاقٍ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ . فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ دَنِيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وَمَنْ الشُّبُوبَةُ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمَنْ الْحَيَاةُ قَبْلَ الْمَمَاتِ . فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مَسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمْرِي رَبِّي بِتَسْعٍ : الْإِخْلَاصُ فِي السِّرِّ وَالْعِلَاقِيَّةِ ، وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ ، وَالرِّضَا وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَصِلَ مِنْ قَطَعَنِي ، وَأَعْطَى مِنْ حَرَمَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ نَطْقِي ذِكْرًا ، وَصَمْتِي فِكْرًا ، وَنَظْرِي عِبْرَةً » .

وكان مالك بن دينار يقول : « جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَجَاهِدُونَ أَعْدَاءَكُمْ » .  
وكان يقول : « مَا أَشَدَّ فِطَامَ الْكَبِيرِ » .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : « أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ » فقال : « جِهَادُ نَفْسِكَ » .

## الصديق عند الحاجة

قال رجل :

لَحَى اللهُ أَكْبَانَا زِنَادَا وَشَرْنَا  
رَأَيْتَكَ لِمَا نَلْتُ مَا لَا وَمَسْنَا  
جَعَلْتَ لَنَا ذَنْبًا لَتَمْنَعُ نَائِلًا  
وَأَيْسَرْنَا عَنْ عَرَضِ وَالِدِهِ ذَبَا  
زَمَانَ تَرَى فِي حَدِّ أَنْبَاهِهِ شَعْبَا  
فَأَمْسِكْ وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَبَا

قوله : أكبانا زنادا ، الزناد التي تُقَدَحُ بها النار ، ويقال أورى القادح ،  
إذا خرجت له النار ، وأكبي ، إذا أخفق منها ، هذا أصله ، يُضْرَبُ للرجل الذي  
ينبعث الخير على يديه ، ويضرب الإكباء للذي يمتنع الخير على يديه .

وقال عبد الله بن معاوية :

رَأَيْتُ فَضِيلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَفًا  
أَنْتَ أَخِي مَا لِمَ تَسْكُنُ لِي حَاجَةً ؟  
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، بَعْدَ مَا  
فَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذِي الْوَدِّ كُلَّهُ  
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ  
كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ  
فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصُ حَتَّى بَدَا لِيَا  
فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَحَالِيَا  
بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ ، إِلَّا تَمَادِيَا  
وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا  
وَلَكِنْ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا  
وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

قوله : كان شيئا ملففا ، يقول : كان أمرا مُعْطَى .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ثلاثة لا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَ : لَا  
يَعْرِفُ الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا الصَّدِيقُ إِلَّا عِنْدَ  
الْحَاجَةِ » .

## على وطلحة

حدثني التَّوْزِيُّ قال : حدثني محمد بن عَبَّاد بن حبيب بن المهَلَّب ، أحسبه عن أبيه قال : لما انقضى يومُ الجمل ، خرج علي بن أبي طالب رضى الله عنه في ليلة ذلك اليوم ، ومعه قَتْبَر ، وفي يده مشعلة من نار يتصفَّحُ القتلى ، حتى وقف على رجل . قال التَّوْزِيُّ ، فقلت : « أهو طلحة ؟ » قال : « نعم » . فلما وقف عليه قال : « أَعَزَّزَ عليَّ أبا محمد أن أراك مُعْفَراً تحت نجوم السماء ، وفي بطون الأودية . شفيت نفسي ، وقتلت مَعْشَرِي ، إلى الله أشكو عُجْرِي وَبُجْرِي » .  
قوله : معفراً ، أى مُلصَقَ الوجه بالتراب ، ويقال للتراب : العَفْر ، والعَفْر .  
وقوله : إلى الله أشكو عُجْرِي وَبُجْرِي ، يقول : ما أُسِرُّ من أمرى . قال الأصمعي : وهو قول سائر في أمثال العرب : لقي فلان فلاناً فبثه عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ .

## كفى بالسلامة داء

قال النَّصْر بن تَوَلَّب :

تدارك ما قبل الشبابِ وبعده	حوادثُ أيامِ تَمُرٍّ وأغفلُ
يسرُّ الفتي طولَ السلامة والبقا	فكيف يرى طولَ السلامة يفعل ؟
يردُّ الفتي بعد اعتدالِ وصحةٍ	ينوءُ إذا رام القيامَ ويحمَلُ

قصر البقاء ضرورة ، وللشاعر إذا اضطر أن يقصر الممدود . وليس له أن يمدَّ المقصور ، وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة ، فإذا احتاج حذفها لأنها ألف زائدة ، فإذا حذفها رد الشيء إلى أصله . فلو مدَّ المقصور لكان زائداً في الشيء

ما ليس منه . ومثل هذا كثير في الشعر جدا . وقوله : ينوء إذا رام القيام ، يقول :  
ينهض في تناقل ، قال الله عز وجل : ( مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) ، والمعنى أن  
العصبة تنوء بالمفاتيح .

وَيُرْوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءٌ » .

وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابِنِي بَعْدَ صَحَّةٍ  
وَلَا يَلْبُثُ الْعَصْرَانِ : يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ  
وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ :

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ  
وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ :

كَانَتْ قِنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاغَمِزِ  
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدَا  
وَقَالَ عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ :

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِي  
وَلَكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِي

ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : « لقد أكل عليه الدهر  
وشرب » ، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهرًا طويلًا

## بكاء الأبناء

قال جرير :

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم      كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالي ؟  
هذا سوادة يجلو مقلتي لحم      بازٍ يُصرصرُ فوقَ المرقبِ العالى  
فارقته حين غَضَّ الدهرُ من بصرى      وحين صرتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ البالى

قوله : يجلو مقلتي لحم ، شبه مقلته بمقلتي البازى . ويقال : طائر لحم ،  
من هذا ، وقوله : يصرصر ، يعنى يصوت .

ومثل بيت جرير الأخير قول أبى الشَّعبِ يرثى ابنه شُعبا :

قد كان شعبٌ لو ان الله عمرة      عزا تزداد به لى عزها مضرُ  
ليت الجبال تداعت قبل مصرعه      ذكا فلم يبق من أحجارها حجر  
فارقت شعبا وقد قوَّست من كبر      بنس الحليفان طول الحزن والكبر

## اللذة الباقية

كان يقال : « إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم » .  
وكان يقال : « أنعم الناس عيشا من عاش غيره في عيشه » .

وانتبه معاوية من رُقدة له ، فأثبه عمرو بن العاص . فقال له عمرو :  
« ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « عَيْنٌ خِرارة في أرض خَوّارة ، وعين  
ساهرة لعين نائمة ، فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله ؟ » قال : « أن أبيت مَعْرَسا  
بعقيلة من عقائل العرب » . ثم لبها وردان ، فقال له معاوية : « ما بقى من  
لذتك ؟ » ، فقال : « الإفضال على الإخوان » . فقال له معاوية « اسكت فأنا  
أحق بها منك » . فقال له : « قد أمكّنك فافعل » .

ويروى أن عَمْرًا لما سئل قال : « أن أستم بناء مدينتي بمصر » ، وأن وَرْدان  
لما سئل قال : « أن ألقى كريما قادرا في عَقَبِ إحسان كان مني إليه » ، وأن  
معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال : « محادثة الرجال » .

ويروى عن عبد الملك أنه قال ، وقد سئل عن الباقي من لذته فقال : « محادثة  
الإخوان في الليالي القُمر على الكُثبان العُفر » .

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا  
الفاره ، وامتطينا العُدراء ، فلم يبق من لذتي إلا صديق أطرح بيني وبينه مؤنة  
التحفظ » .

وقال رجل لرجل من قريش : « إني والله ما أمل الحديث » قال : « إنما يُمل العتيق ! » .

وقال المهلب بن أبي صفرة : « العيش كله في المجلس الممتع » .  
وقال يزيد بن المهلب : « ما يسرنى أني كُفيت أمر الدنيا كله » . قيل له :  
« ولمَ أيها الأمير ؟ » قال : « أكره عادة العجز » .

### تواضع وبر وشجاعة

وهمَّ السَّراج في مجلس عمر بن عبد العزيز ليلة بأن يخدم ، فوثب إليه رجاء ابن حيوة ليصلحه . فأقسم عليه عمر فجلس فأصلحه . فقال له رجاء : « أتقوم يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر ابن عبد العزيز » .

وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنهما : « إنك من أبر الناس بأمك ولستنا نراك تأكل مع أمك في صحفة ؟ » فقال : « أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه ، فأكون قد عَقَقْتُهَا » .

وسئل المهلب : « من أشجع الناس ؟ » فقال : « عبَّاد بن حصَّين ، وعمر بن عبيد الله بن معمر ، والمغيرة بن المهلب » . فقيل له : « فأين ابن الزبير ، وابن خازم ، وعمير بن الحباب ؟ » فقال : « إنما سئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن ! » .

## عظائم

قالت عائشة رضى الله عنها : « من أرضى الله بإسخط الناس ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ؛ ومن أرضى الناس بإسخط الله وكله الله إلى الناس ؛ ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته » .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبعض إلى نفسك عبادة ربك . فإن التبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » . المتين : الشديد ، قال الله عز وجل : « وأملى لهم إن كيدى متين » . فأوغل فيه برفق : يقول ادخل فيه . والتبت : اشتقاقه من الانقطاع ، يقال : ابت فلان من فلان ، أى انقطع منه .

وحدثت أن ابن السمّك كان يقول : « إذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقللها ، فإنك إذا استقللتها زدت عليها ، وإذا فرحت بها عدت إليها » .

ويروى أن يزيد بن عمر دخل على المنصور يوماً ، فقال المنصور : « حدثنا » فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة . فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها . فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة » . ثم نهض فنهض معه سبعة من قيس . فأتاه المنصور بصره ، ثم قال : « لا يعزُّ مُلكٌ يكون فيه مثل هذا ا » . قوله : محضت لك النصيحة ، يقول أخلصت لك ، وأصل هذا من اللبن ، والحض منه الخالص الذى لا يشوبه شيء . وأتاه بصره : أتبعه بصره وحّد إليه النظر .

ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قال : « ما شامت رجلا منذ كنت رجلا ،  
 ولا زحمت ركبتي ركبتيه . وإذا لم أصل مُجْتَدِيَّ حتى يَنْتَحَ جبينه عَرَقًا كما يَنْتَحِ  
 الحَمِيْتُ ، فوالله ما وصلته » . قوله : مُجْتَدِيَّ ، يريد الذي يأتيه يطلب فضله ،  
 وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَى - مقصور - وهو المطر العام النافع .  
 وقوله : حتى يَنْتَحِ جبينه عَرَقًا ، فهو مثل الرُّشْح . وقوله : الحَمِيْتُ ، فالحميت  
 والزَّق اسمان له ، وإذا زُقَّتْ أو كان مَرَبُوبًا فهو الوَطْبُ ، وإذا لم يكن مَرَبُوبًا ولا  
 مُزَقًّا فهو سِقَاءٌ ونَحْيٌ ، والوطب يكون للبن والسمن ، والسقاء يكون للبن والماء .

### رثاء الأبناء والأخوة

قال رجل يذكر ابنه :

أَلَا يَا سُمِيَّةُ شَبِيَّ الْوَقُودَا	لَعَلَّ اللَّيَالِي تُوَدِّي يَزِيدَا
فَنَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ غَنَائِبِ	إِذَا مَا الْمَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِي الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى لَهُ	فَصَارَ أَبَا لِي وَصَرْتُ الْوَلِيدَا

قوله : إذا ما المسارح كانت جليدا ، فالمسارح : الطرق يَسْرَحُونَ فيها ،  
 واحدها مِسْرَحٌ ، والجليد : يقع من السماء ، وهو ندى فيه جمود ، فتبيض له  
 الأرض ، وهو دون الثلج ، يقال له الجليد والضرب والسقيط والصقيع .

وقالت أخت طرفة بن العبد :

عَدَدُنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حَجَّةً	فَلَمَّا تَرَفَاهَا اسْتَوَى سَيِّدَا ضَخْمَا
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِبَابَهُ	عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وِلِيدَا وَلَا قَحْمَا

الوليد : الصغير . والقحم : الرجل المتناهي سنا .  
وقال إبراهيم بن عبد الله يرثي أخاه محمدا :

أبا المَنَازِلِ يا عُبْرَ الفُوارِسِ مَنْ      يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ في الدنِيا فُجَعًا  
اللهُ يَعْلَمُ أُنَى لِسِرِّ خَشِيئَتِهِمْ      أو أَنَسَ القَلْبُ مِنْ خَوْفِهِمْ فزَعًا  
لَمْ يَقْتُلوكَ ، وَلَمْ أُسَلِّمْ أَخِي لَهُمْ      حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أو نَمُوتَ مَعًا

قوله : يا عبر الفوارس ، يصفه بالقوة منهم وعليهم ، كما يقال : ناقة عبر  
الهُواجِرِ وَعِبرِ السُّرَى . وقوله : أو لأنس القلب من خوف لهم فزعا ، يقول :  
أحس ، وأصل الإيناس في العين ، يقال : آنست شخصا ، أى أبصرته من بُعد ،  
وفي كتاب الله عز وجل : « آنسَ من جانبِ الطُّورِ نارًا » .

وقال مُتَمِّمُ بن لُوَيْرَةَ :  
وقالوا : أتبكي كلَّ قَبْرِ رايَتِهِ      لَمِيتِ نَوَى بَينَ اللَوَى فَالِدِ كادِكَ  
فَقَلتُ لَهُمُ إنِ الأَسَى يَبِعثُ البُكا      ذَرُونِي فَهَذا كُلهُ قَبْرِ مالِكَ

## قِيَمَةٌ

قال علي بن عبد الله بن العباس رحمه الله :  
أبي العباسُ قَـرْمُ بنِ قَـصِيٍّ      وأخوالِ المَـلوكِ بنو وِليعَةَ  
هُمُ مَنَعُوا ذِمَارِي يَومَ جِـاءت      كِتابُ مُسْرِفِ وبنو اللُكيعَةَ  
أراد بِي التي لا عِزَّ فِيها      فَحالتُ دونهُ أيدِ مَنيعَةَ

قوله : كتاب مسرف ، يعنى مُسلم بن عُقبه المرى صاحب الحرة ، وأهل الحجاز يسمونه مسرفا ، وكان أراد أهل المدينة جميعا على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبدٌ قنٌ له إلا على بن الحسين . فقال حُصين بن نمير السكوني من كندة : « ولا يبايع ابن أختنا على بن عبد الله إلا على ما يبايع عليه على بن الحسين ، على أنه ابن عم أمير المؤمنين ، وإلا فالحرب بيننا » .  
 فأعفى على بن عبد الله وقبل منه ما أراد ، فقال هذا الشعر لذلك . وقوله :  
 بنو اللكيعة ، فهي اللثيمة .

وقال هشام أخو ذى الرمة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ      غَزَاءُ وَجَفْنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مُتْرَعٌ  
 وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ      وَلَكِنْ نَكَّءَ الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

غيلان : هو ذو الرمة ، وكان هشام من عقلاء الرجال ، حدثني العباس ابن الفرج في إسناد ذكره يعزوه إلى رجل أراد سفرا فقال : قال لى هشام بن عقبة : « إن لكل رُفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ويهرُّ دوقم ، فإن قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل . وإياك وتأخير الصلاة عن وقتها ، فانت مُصليها لأمحالة فصلها وهي تُقبل منك » .

### جرير وقيس

حدثني عمارة قال : مرض جرير مرضة شديدة فعادته قيس ، فقال :

نفسى الفداء لقومٍ زيتوا حسبي      وإن مرضت فهم أهلى وعوادى  
 لو خفت لينا أباشلين ذا لبد      ما أسلموني لليت الغابة العادى  
 إن تجر طيرٌ بأمرٍ فيه عافية      أو بالرحيل فقد أحسنتم زادى

## أبناء الشعراء

قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وهو يُهاجى عبد الرحمن بن الحكم  
ابن أبي العاص :

فأما قولك الخلفاء منّا      فهم منعوا ورِيدَكَ من وِداج<sup>(١)</sup>  
ولولا هم لكنت كحوتٍ بحيرٍ      هَوَى في مظلم الغمّرات داجي<sup>(٢)</sup>  
وكنت أذلّ من وتدٍ بقعاعٍ      يُشججُ رأسه بالفهر واجي<sup>(٣)</sup>

فكتب معاوية إلى مروان أن يؤدبهما ، وكانا قد تقاذفا . فضرب عبد الرحمن  
ابن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين . فقيل لعبد الرحمن بن حسان : « قد  
أمكنك في مروان ما تريد ، فأشدّ بذكره ، وارفعه إلى معاوية » . فقال : « إذن  
والله لا أفعل ، وقد حدّني كما تحدّ الرجال الأحرار ، وجعل أخاه كنصف عبد »  
فأوجعه بهذا القول .

ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زُنبور فجاء أباه يبكي ، فقال له :  
« مالك ؟ » فقال : « لسعني طائر كأنه ملتف في بُرذئ حبرة<sup>(٤)</sup> » . فقال :  
« قلت والله الشعر » .

(١) الوداج : قطع الودج ، ويريد هنا قطع الوريد .

(٢) الداجي : المظلم .

(٣) الفهر : الحجر . وواجي : أصله واجيء بالهمز ، وهو الضارب الداق .

(٤) الحبرة : نوع من ثياب اليمن ذو حمرة يضرب إلى السواد .

ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال له :

الله يعلم أتي كنت مُتبتداً في دار حَسَانِ أصطاد اليغاسيا (١)

وأغرق قوم كانوا في الشعر آل حَسَانِ ، فإنهم يَعتَدون سنة في نَسَقِ ، كلهم شاعر ، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنذر بن حَرَامِ . وبعد هؤلاء في الوقت آلُ أبي حَفْصَةَ ، فإنهم أهلُ بيتِ كلهم شاعر ، يتوارثونه كابراً عن كابرٍ .

ويروى أن ابنة لابن الرِّقَاعِ وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه . فقالت :

« ما تريدون إليه ؟ » . فقالوا : « جئنا لنهاجيه » . فقالت وهي صبية :

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوَجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زَلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ (٢)

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الأعشى في قلب هذا المعنى ، حيث يقول لهوذة بن علي :

يرى جمع ما دون الثلاثين قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا (٣)

---

(١) المتبتد : المتنحي . واليغاسب : جمع يعسوب ، وهو ذكر النحل .

(٢) أوب : جهة : وقرن : كفاء .

(٣) قُصْرَة : تقصير .

## نصائح

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْعُومَ وَالرَّمَايَةَ ،  
وَمُرُوهُمْ فَلْيَبِيحُوا عَلَى الْخَيْلِ وَثَبَا ، وَرَوُّوهُمْ مَا يَجْمَلُ مِنَ الشَّعْرِ » .  
ويروى عن الشعبي أن عبد الله بن العباس قال : قال لى أبى : « يا بنى ، إني  
أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار . فاحفظ عني  
ثلاثا : لا يُجْرَبَنَّ عليك كذبا ، ولا تغترب عنده مسلما ، ولا تُفَشِّينَ له سرا » .  
فقلت له : « يا أبه ، كل واحدة منها خير من ألف » . فقال : « كل واحدة  
منها خير من عشرة آلاف » .

وحدثني العباس بن الفرغ قال : نُظِرَ إلى عمرو بن العاص على بغلة قد شَمَطَ  
وجْهها هَرَمًا . فقيل له : « أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر ؟ » فقال :  
« لا ملل عندي لدابتي ما حملت رُجُلتي <sup>(١)</sup> ، ولا لامرأتى ما أحسنت عَشْرَتى ، ولا  
لصديقى ما حفظ سرى . إن الملل من كواذب الأخلاق » . قوله : على أكرم  
ناخرة ، يريد الخيل ، يقال للواحد ناخر ، وقيل : ناخرة يراد جماعة ، كما تقول  
رجل بَغَالٍ وَحَمَّارٍ وَالْجَمَاعَةَ الْبَغَالَةَ وَالْحَمَّارَةَ ، وكذلك تقول : أتتني عصابة نبيلة ،  
وقبيلة شريفة ، والواحد نبيل وشريف .

وقال عمرو لعائشة رجمها الله : « لَوَدِدْتُ أَنَّكَ كُنْتَ قُتِلْتَ يَوْمَ الْجَمَلِ »  
فقالت : « وَلِمَ لَا أَبَالِكَ ؟ » فقال : « كُنْتَ قَمُوتَيْنِ بِأَجْلِكَ ، وَتَدْخُلِينَ الْجَنَّةَ ،  
وَتَجْعَلِينَ أَكْبَرَ التَّشْنِيعِ عَلَى عَلِيٍّ » .

وحدثني العباس بن الفرغ الرِّيَاشِي ، قال ابن عباس : دخلت على عمرو بن  
العاص وقد احتَضِرَ . فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له : « يا عبد الله ، خذ

(١) الرجل : السير على الأرجل .

ذلك الصندوق . فقال : « لا حاجة لي فيه » . قال : « إنه مملوء مالا » .  
 قال : « لا حاجة لي به » . فقال عمرو : « ليته مملوء بغرا » . فقلت :  
 « يا أبا عبد الله ، إنك كنت تقول : أشتهى أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله : كيف  
 يجِد؟ ، فكيف تجدك ؟ » . قال : « أجد السماء كأنها مُطبَّقة على الأرض وأنا  
 بينهما ، وأراي كأنما أنفَس من خَرَّتْ إبرة » . ثم قال : « اللَّهُمَّ خذ مني حتى  
 ترَضَى » . ثم رفع يديه فقال : « اللهم أمرتَ فَعَصَيْنا ، ونهيتَ فركبنا ، فلا برىء  
 فأعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ولكن لا إله إلا الله » (ثلاثا) ثم فاض . قوله : من  
 خَرَّتْ إبرة ، يعنى من ثُبتْ إبرة . وقوله : فاض ، أى مات ، يقال : فاض وفاد  
 وقَطَسَ وفاز وفوَّز ، كل ذلك فى معنى الموت .

### زياد بن أبيه والسلطان

حدثني مسعود بن بشر قال . قال زياد : « الإمرة تُذهب الحَفِيْظة . وقد  
 كانت من قوم إلى هَنات ، جعلتها تحت قدمي ، ودَجِرَ أذني . فلو بلغني أن أحدكم  
 قد أخذه السلّ من بعضي ما هتكتُ له سترا ، ولا كشفتُ له قناعا ، حتى يبدي  
 لي عن صفحته ، فإذا فعل لم أناظره » .

وسمع زياد رجلا يسب الزمان ، فقال : « لو كان يدري ما الزمان لضربت  
 عنقه ! إن الزمان هو السلطان » .

وفى عهد أردشير : « وقد قال الأولون منا : عدل السلطان أنفع للرعية من  
 خصب الزمان » .

وقال المهلب بن أبي صفرة لبيه : « إذا وليتم علينا للمحسن ، واشتدوا على المريب ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن » .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . قوله : يزع ، أى يكف . وقال الحسن مرة : « ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشرط ؟ » . فلما ولي القضاء كثر عليه الناس ، فقال : « لا بد للناس من رزعة » .

## الحجاج

خطب الحجاج بن يوسف ذات يوم ، يوم الجمعة . فلما توسط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق . فقطع خطبته التي كان فيها ثم قال : « يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق ، ويا أهل النفاق ، وسئى الأخلاق ، يا بنى اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإماء . إني لأسمع تكبيرا ما يراد الله به إنما يراد به الشيطان ، وإن مثلى ومثلكم قول ابن براءة الهمداني :

وكنت إذا قوم رموني رميتهم      فهل أنا في ذا يال همدان ظالم  
مق تجميع القلب الذكي وصارما      وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم .

قوله : بنو اللكيعة : يريد اللثيمة . وقوله : عبيد العصا ، يريد أنهم لا يتقادون إلا بالإذلال ، كما قال ابن مفرغ الحميرى :

العبد يُقرع بالعصا      والحُرُّ تكفيه الملامة

وخطب الناس عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمرتبد ، عند ظهور أمر الحجاج عليه ، فقال : « أيها الناس ، إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذئب الورزعة ، تضرب به يمينا وشمالا ، فلا تلبث أث تموت » . فسمعه رجل من بنى قشير بن كعب ، فقال : « قَبِحَ اللهُ هذا ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعيدهم الغرور » .

وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الأشعث وجّه به إلى عبد الملك ابن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي ، وكان أسود دميما . فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الواقعة إلا أنباه به عرار ، في أصح لفظ ، وأشيع قول ، وأجزأ اختصار . فشفاه من الخبر ، وملا أذنه صوابا ، وعبد الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته عينه حيث رآه . فقال عبد الملك متمثلا :

أرادت عرارا بالهوان ومن يُرد	لعمري عرارا بالهوان فقد ظلم
وإن عرارا إن يكن غير واضح	فإن أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار : « أتعرفني يا أمير المؤمنين ؟ » . قال : « لا » . قال : « فانا والله عرار » . فزاده في سروره ، وأضعف له الجائزة .

## غزلي

قال أعرابي :

شكوتُ فقالت : كلُّ هذا تبرُّما  
فلما كتمتُ الحبُّ قالت : لشدُّ ما  
وأدنو فتقصيني ، فأبعد طالبا  
فشكواى تؤذيها ، وصبرى يسوءها  
فياقوم هل من حيلة تعرفونها ؟  
بُحَيَّ ؟ أراح الله قلبك من حبي  
صبرتَ وما هذا بفعل شجى القلب  
رضاها فتعتدُّ التباعد من ذنبي  
وتجزع من بعدي ، وتنفّر من قربى  
أشير وإيها ، واستوجوا الشكر من ربى

وقال قيس بن مُعاذ ، أحد بني عُقيل بن كعب ، وهو الجنون ؛ وحدثني عبد الصمد بن المعدل قال : سمعت الأصمعيّ يثبته ، ويقول : لم يكن مجنوناً إنما كانت به لؤثة أبي حيّة :

ولم أرَ ليلى بعد موقفِ ساعةٍ  
ويدي الحصى منها إذا قذفتُ به  
فأصبحت من ليلى الغداة كناظرٍ  
ألا إنما غادرت يا أمّ مالكٍ  
ببطن منى ترمى جمار المخصبِ  
من البردِ أطراف البنان المخصبِ  
مع الصبح في أعقاب نجم مغربٍ  
صدى أينما تذهبُ به الريح يذهبِ  
هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة .

ومما يستطرف في هذا الباب قول عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت  
أخا سفرٍ ، جواب أرضٍ ، تقاذفتُ  
قليلاً على ظهر المطية ظلّة  
فيضحى وأما بالعشى فيخصرُ  
به قلاوت ، فهو أشعثُ أغبر  
سوى ما نفى عنه الرداءُ الخبِرُ

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها إن شاء الله تعالى ومن الإفراط فيه قوله :

فلو أن ما أبقيت مني مُعلقٌ  
بعودٍ ثمامٍ ما تأوُدَ عودُها

وهذا متجاوز كقول القائل : « ويمنعها من أن تطير زمامها » .  
وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبهه . وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبهه بفظنته على ما يخفى عن غيره ، وساقه برصْفِ قوى ، واختصار قريب .

وقال قيس بن معاذ :

وأخرج من بين الجلوس لعلني  
وإني لأستعشي وما بي نغسة  
لعلَّ خيالاً منك يلقي خيالاً  
وفي هذا الشعر :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة  
هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى .

ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى :

أحبُّ المكان القفر من أجل أنني  
بسه أتغنى باسمها غير مُعجم

أنشدني ابن عائشة لبعض القرشيين :

وقفوا ثلاث منى بجزل غبطة  
متجاورين بغير دار إقامة  
ولهن بالبيت العتيق لبانة  
لو كان حيا قلبهن طعائنا  
وكانه وقد صدرن لوأغبا  
وهم على غرض هنالك ماهم  
لو قد أجد تفرق لم يندموا  
والركن يعرفهن لو يتكلم  
حيا الحطيم وجوههن وزمزم  
بيض بأفنية المقام مُركم

اللاغب : المعبى ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ . والمرم : الذى بعضه على بعض ، والمرأة تشبه ببيضة النعامة كما تشبه بالذرة .

وروى بعض الرواة أن أبادَهَبِلَ الجُمَحِيَّ كان تقيا وكان جميلا . فقفل من الغزو ذات مرة ، فمر بدمشق . فدعته امرأة إلى أن يقرأ لها كتابا ، وقالت : « إن صاحبتك في هذا القصر ، وهى تحب أن تسمع ما فيه ا » . فلما دخلت به ، برزت له امرأة جميلة ، وقالت له : « إنما احتلت لك بالكتاب حتى أدخلتك ا » . فقال لها : « أما الحرام فلا سبيل إليه ا » . قالت : « فلست تُراد حراما » . فتزوجته .

وأقام عندها دهرا ، حتى نُعيى بالمدينة . ففى ذلك يقول ، وقد استأذنها ليلم بأهله ثم يعود ، فجاء وقد اقتسم ميراثه . فلما هم بالعود إليها ، نُعيى له . فهذا ما روى من هذا الوجه . والذى كأنه إجماع الناس أنه لعبد الرحمن بن حسان ، وهو فى بنت معاوية :

صاح حيا الإله أهلا ودارا	عند أصل القناة من جَيرون
عن يسارى إذا دخلت من الباء	ب وإن كنت خارجا فيمى
فبتلك ارتقت بالشام حتى	ظن أهلى مُرَجَمَاتِ الظنون
وهى زهراء مثل لؤلؤة العبا	وخاص ميزات من جوهر مكنون
وإذا ما نسبها لم تجدها	فى سناء من المكارم دون
ثم خاصرها إلى القبلة الخضم	راء تمشى فى مرم مَسْنون
تجعل المسك واليانجوج والنند	دصلاء لها على الكانون
قبة من مَراجِلِ ضربتها	عند برد الشتاء فى قيطون

المسنون : المصبوب على استواء . والمراجل : ثياب من ثياب اليمن .  
والقيطون : البيت في جوف بيت . ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية : « أما  
سمعت قول عبد الرحمن بن حسان في ابنتك ؟ » . قال : « وما الذي قال ؟ » قال :  
قال :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغـ سواص ميزات من جوهر مكنون

قال معاوية : « صدق » فقال يزيد : وقال :

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

قال معاوية : « صدق » فقال يزيد : إنه قال :

ثم خاصرتها إلى القبلة الخضـ سراء تمشى في مَرَمَر مسنون

قال معاوية : « كذب » .

## الأرحام

أنشدت لرجل من بني ضَبَّة بن أد يقوله لبني تميم بن مر بن أد :

أبني تميم إنني أنا عمكم	لا تُخرمَن نصيحة الأعمام
إني أرى سبب الفناء وإنما	سببُ الفناء قطيعة الأرحام
فتداركوا بأبي وأمي أنتم	أرحامكم برِواجح الأحلام

ويروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبيراً قتل مُصْعَب بن الزبير ، خطب  
الناس . فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « أتانا خبير قتل المُصْعَب ، فسُررنا به ،  
واكتأبنا له . فأما السرور فلما قُدِّر له من الشهادة ، وحيز له من الثواب .

وأما الكتابة فلوعةٌ يجدها الحميم عند فراق حميمه . وإنا والله ما نموت حَبِجًا كميته آل أبي العاص ، إنما نموت والله قتلا بالرماح ، وقَعَصًا تحت ظلال السيوف . فإن يهلك المصعب فإن في آل الزبير منه خَلْفًا . قوله : حبجا : يقال حَبِجَ بطنه ، إذا انتفخ ، وكذلك حَبِطَ بطنه . والمُقَعَصُ : المقتول . واللوعة : الحرقعة يقال : لاع يلاع لوعة ، فهو لائع ، ويقال لاع ، على القلب .

## أقوال لزياد

حدثني مسعود بن بشر قال : قال زياد لحاجبه : « يا عجلانُ إني وليتك هذا الباب ، وعزلتك عن أربعة : عزلتك عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة ، فلا سبيل لك عليه ؛ وعن طارق الليل ، فشرًّا ما جاء به ، ولو جاء بخير ما كنتُ من حاجته ؛ وعن رسول صاحب الثُّغر ، فإن إبطاء ساعة يُفسد تدبير سنة ؛ وعن هذا الطباخ إذا فرغ من طعامه ! » .

## توقيعات

كُتِبَ إلى جعفر بن يحيى : « إن صاحب الطريق قد اشتطَّ فيما يطلب من الأموال » . فوقع جعفر : « هذا رجل منقطع عن السلطان ، وبين ذُؤبان العرب ، بحيث العدد والعُدَّة ، والقلوب القاسية ، والأنوف الحَمِيَّة ، فليمدد من المال بما يستصلح به مَنْ معه ، ليدفع به عدوه ، فإن نفقات الحروب يُستظهر لها ولا يستظهر عليها » .

وأكثر الناسُ شكيةً عاملٍ ، فوقع إليه في قصَّتهم : « يا هذا ، قد كثر شاكوك ،  
وقلَّ حامدوك . فإما عدلتَ وإما اعتزلت ا » .

وزعم الجاحظ قال : قال ثُمَامَةُ بن أَشْرَسِ التُّمَيْرِيِّ : « ما رأيت رجلا أبلغ من  
جعفر بن يحيى والمأمون » .

وقال مُوَيْسُ بن عمران : « ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن  
جعفر » .

وقال جعفر بن يحيى لكتَّابه : « إن قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات  
فافعلوا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو تكاشفتُم ما تدافنتُم » . يقول : لو علم  
بعضكم سريرة بعض لاستقل تشيعه ودَفَنه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اجتنبوا القعود على الطرقات إلا أن تُضمَّنوا  
أربعا : ردَّ السلام ، وعض الأَبصار ، وإرشاد الضال ، وعَوْنُ الضعيف » .

وقالت هند بنت عُتْبَةَ : « إنما النساءُ أغلال ، فَلْيَخْتَرِ الرجلُ غلا ليدَه » .

وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء ، فقالت : « ما زَيْنُ بشيء  
كأدب بارع تحته لَبُّ ظاهر » .

وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة ، أيضا : « إذا رأيتم النعم مُستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفصلوا بين حديثكم بالاستغفار » .  
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « قِيدُوا النعم بالشكر ، وقِيدُوا العلم بالكتاب » .

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : « العجب لمن يهلك والنجاة معه ! » . فقيل : « ما هي يا أمير المؤمنين ؟ » . قال : « الاستغفار » .

وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة . ففشت الكتابة بالمدينة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الفئء مغنما ، والصدقة مغرما » .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « يأتى على الناس زمان لا يُقرب فيه إلا الماحل ، ولا يُظرف فيه إلا الفاجر ، ولا يُضعف فيه إلا المنصف ، يتخذون الفئء مغنما ، والصدقة مغرما ، وصلة الرحم مئاة ، والعبادة استطالة على الناس . فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الإماء وإمارة الصبيان » .

ويقال : كان الحجاج إذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار ، وكان إذا صعد المنبر تَلَفَع بمطرفه ، ثم يتكلم زويدا فلا يكاد يُسمع ثم يتزيد فى الكلام حتى يُخرج يده من مطرفه ، ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من فى المسجد . وكان

يُطعم في كل يوم على ألف مائدة ، على كل مائدة تُريد وجنّب من شواء وسمكة  
طرية . ويُطاف به في مَحْفَة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس . وعلى كل مائدة  
عشرة، ثم يقول : « يا أهل الشام ، اكسروا الخبز لتلا يُعاد عليكم » . وكان له  
ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل ، والآخر يسقى اللبن .

ويروى أن ليلي الأخيالية قدمت عليه فأنشدته :

إذا ورد الحجاجُ أرضاً مريضَةً      تتبع أقصى دائها فشفاها  
شفاها من الداءِ العُقام الذي بها      غلامٌ إذا هزَّ القنّاة ناهها

فقال لها : « لا تقولي : غلام ، قولي همام » . ثم قال لها : « أيّ نسائي أحبّ  
إليك أن أنزلك عندها الليلة ؟ » . قالت : « ومن نساؤك أيها الأمير ؟ » . قال :  
« أمّ الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية ،  
وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتّكية » . فقالت : « القيسية أحب إلى » .  
فلما كان الغد دخلت عليه فقال : « يا غلام أعطها خمسمئة » . فقالت :  
« أيها الأمير اجعلها أذماً » . فقال قائل : « وإنما أمر لك بشاء » . قالت : « الأمير  
أكرم من ذلك » . فجعلها إبلا وإنما استحياء . وإنما كان أمر لها بشاء أولاً .  
والأذم : البيض من الإبل ، وهي أكرمها .

## الجود

قال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة :

هل الجود إلا أن نجود بأنفس  
وما خيرُ عيشٍ بعدَ قتلِ محمدٍ  
ومن هراً أطرافَ القنا خشيةَ الردى  
وما هي إلا رقدةٌ تورث العلى  
على كل ماضى الشفرتين قضيب  
وبعد يزيدَ والحجرون حبيب  
فليس مجد صالح بكسوب  
لرهطك ما حنت زوائم نيب

قوله : ومن هراً أطراف القنا خشية الردى ، يقول : من كره . قال عنترة ابن

شداد :

حلفت لهم والخيل تردى بنا معا  
عوالى زرقا من رماح رديئة  
نفارقهم حتى يهروا العواليا  
هرير الكلاب يتقين الأفاعيا

وقوله : الحرون ، فإن حبيب بن المهلب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم

مكانه ، فكان يلقب الحرون . والنيب : جمع ناب ، وهى المسنة من الإبل .

## عجوزان

نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهى عجوز ، فقال :

عجوزٌ تُرَجِّي أن تكون فتيّةً      وقد لُحِب الجنبان واخْدَوْدَبَ الظهر  
تُدسّ إلى العطار سلعةً بيتهَا      وهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر

فقلت له امرأته :

ألم تر أن التاب تُحَلِّبُ عُلْبَةً      ويُترِكُ ثَلْبًا لا ضِرَابًا ولا ظَهْرًا

ثم استعانت بالنساء ، وطلّب الرجال ، فإذا هم خلوف . فاجتمع النساء عليه فضربنه . قوله : قد لحب الجنبان ، يقول : قلّ لحمهما . وقوله : تدسّ إلى العطار سلعة بيتها ، يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك ، وكلّ عَرَضُ فالعرب تقول له سلعة بيتها . وقولها : ألم تر أن التاب تحلب علبة ، تقول : فيها منفعة على حال ، والعلبة : إناء هم من جلود يحلبون فيه . ومن أمثال العرب : « قد تحلب الضجور العلبة » . يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشيء القليل . والضجور : الناقة السيئة الخلق ، إنما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها . والثلب : الذى قد انتهى لى السن من الإبل .

## الرزق المقدر

قال ضايبى بن الحارث البرجمي :

وَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ  
وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَقِي  
وَرُبَّ أَمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ  
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ  
فَبَانِي وَقِيَارَا هَذَا لِقَرِيبُ  
نَجَاحَا وَلَا عَن رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ  
وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاقَتِنَ وَجِيبُ  
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

قوله : وما عاجلات الطير تدني من الفقي نجاحا ، يقول : إذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ، ولا إذا أبطأت خاب ، فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفعه عنه ، إنما له ما قُدِّرَ له . والعرب تَرَجُرُ على السانح وتترك به ، وتكره البارح وتتشاءم به . والسانح : ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

## على ومعاوية

وَجَّهَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيرَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ إِلَى مَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَأْخُذُهُ بِالْبَيْعَةِ لَهُ . فَقَالَ لَهُ : « إِنْ حَوْلِي مِنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَكِنِّي اخْتَرْتُكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ : خَيْرَ ذِي يَمَنِ . أَنْتَ مَعَاوِيَةُ فَخُذْهُ بِالْبَيْعَةِ » . فَقَالَ

جرير : « والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيئا وما أطمع لك في معاوية » . فقال علي رضي الله عنه : « إنما قصدى حجة أقيمها عليه » . فلما أتاه جرير دافعه معاوية ، فقال له جرير : « إن المناق لا يُصلّى حتى لا يجد من الصلاة بدا . ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدا » . فقال له معاوية : « إنما ليست بخدعة الصبي عن اللبن ، <sup>(١)</sup> إنه أمر له ما بعده ، فأبلغني ريقى » . فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما ، وألح عليه جرير . فقال له معاوية : « ألكاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله تعالى » . ثم كتب لعمر بن عبد شمس طعمة <sup>(٢)</sup> وكتب عليه : « ولا يتنقض شرط طاعة » . فقال عمرو : « يا غلام ، اكتب : ولا تنقض طاعة شرطا » . فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته <sup>(٣)</sup> بنشد لیسع جريرا :

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَاعْتَرَفَنِي وَسَاوَسِي	لَاتِ أَتَى بِالتَّرْهَاتِ السَّابِسِ <sup>(٤)</sup>
أَتَانِي جَرِيرٌ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ	بَتَلَكَ التِّي فِيهَا اجْتِدَاغُ الْمَعَاطِسِ
أُكَابِدُهُ وَالسِّيفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدُّنْيَى بِلَابِسِ
إِنَّ الشَّامَ أَعْطَتْ طَاعَةَ يَمَنِيَّةٌ	تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِي الْجَمَالِسِ
فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدَمَ عَلِيًّا بِجَهَّةٍ	تَفْتُ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسِ
وَإِنْ لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ	وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِيَانِسِ

وكتب إلى علي رضي الله عنه : « **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ، من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب ، أما بعد ، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك ، وأنت

(١) أي إعطاء الصبي شيئا يتهلئ به عن اللبن .

(٢) يريد أنه ولاء مصر بحيث يكون خراجها له .

(٣) العقيرة : الصوت .

(٤) الترهات السبابس : الأباطيل .

برىء من دم عثمان ، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ،  
ولكنك أغريتَ بعثمان المهاجرين وخذلتَ عنه الأنصار . فأطاعك الجاهل ، وقوى  
بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن  
فعلت كانت شورى بين المسلمين . ولعمري ما حُجَّتك على كحججتك على طلحة  
والزبير ، لأنهما بايعاك ولم أباعك . وما حججتك على أهل الشام كحججتك على  
أهل البصرة ، أطاعوك ولم يطعك أهل الشام . وأما شرفك فى الإسلام وقرابتك من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش ، فلست أدفعه . » .

ثم كتب إليه فى آخر الكتاب بشعر كعب بن جُعيل ، وهو :

أرى الشام تكره مُلكَ العراق	وأهلَ العراق لهم كارهينا
وكلًا لصاحبه مُبغضًا	يرى كلُّ ما كان من ذاك ديننا
إذا مارمونا رميناهم	ودناهم مثل ما يُقرضونا
فقالوا : علىَّ إمام لنا	فقلنا : رضينا ابنَ هند رضينا
وقالوا : نرى أن تدينوا له	فقلنا : ألا لا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خرطُ القَتَاد	وضربٌ وطعنٌ يُقرُّ العيوننا

وأحسن الروایتين : يُفَضُّ الشنونا . وفى آخر هذا الشعر ذمُّ لعلى بن أبى  
طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره . وقوله : ودناهم مثل ما يقرضونا ، يقول  
جزيناهم . وقال المفسرون فى قوله عز وجل : ( مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ) . قالوا : يوم  
الجزاء والحساب . ومن أمثال العرب : ( كما تدين تُدان ) . وقوله : أن تدينوا له ،  
أى أن تطيعوه وتدخلوا فى دينه أى فى طاعته . وقوله : ومن دون ذلك خرط  
القتاد ، فهذا مثل من أمثال العرب . والقتاد : شجرة شاكة غليظة أصولِ الشوك ،

فلذلك يضرب خرطه مثلاً في الأمر الشديد ، لأنه غاية الجهد . ومن قال : يفيض الشئون ، فيفيض يفرق ، والشئون : واحدها شأن وهي مجارى الدموع .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة :  
« **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** : من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر ، أما بعد ، فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابته ، وقاده فاتبعه . زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيتي في عثمان . ولعمري ما كنتُ إلا رجلاً من المهاجرين ، أوردتُ كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا ؛ وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى . وبعدُ فما أنت وعثمانُ ؟ إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه . فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلى . وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير ، وأهل الشام وأهل البصرة ، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء ، لأنها بيعة شاملة لا يُستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها النظر . وأما شرقي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من قريش ، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته » .

ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب ، فقال له : « إن ابن جَعِيل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل » . فقال : « يا أمير المؤمنين أسمعني قوله » . قال : « إذا أسمعك شعر شاعر » . فقال النجاشي يجيبه :

فقد حقق الله ما تحذروننا

وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟

دعا يا معاوي ما لن يكونا

أناكم عليّ بأهل العراق

وبعد هذا ما تمسك عنه -

## خالد بن يزيد

### وعبد الملك بن مروان

يروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا فقال : « يا أخى ، لقد همت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ! » . فقال له خالد : « بنس والله ما همت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ! » . فقال : « إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى » فقال له خالد : « أنا أكفيك » . فدخل خالد على عبد الملك ، والوليد عنده . فقال : « يا أمير المؤمنين ، الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد ، فعبث بها وأصغره ا » .

وعبد الملك مطرق . فرفع رأسه ، فقال : « **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** » فقال خالد : « **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا** . » فقال عبد الملك : « ألى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل علىّ فما أقام لسانه لنا » .

فقال له خالد : « أفعلّى الوليد تعول ؟ » . فقال عبد الملك : « إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان » . فقال خالد : « وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد » . فقال له الوليد : « اسكت يا خالد ، فوالله ما تُعدُّ فى العير ولا فى التنفير » .

فقال خالد : « اسمع يا أمير المؤمنين » . ثم أقبل عليه ، وقال : « **وَيَحْكُ ! فَمَنْ العير والتنفير غيرى ؟ جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة بن ربيعة صاحب التنفير . ولكن لو قلت : غنيمات وحبليات ، والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا : صدقت ا » . »**

أما قوله : في العير ، فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام ، فنهت إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وندب إليها المسلمين ، وقال : « لعلَّ الله يُنْفِلُكُمْوهَا » ، فكانت وقعة بدر . وأما النفير ، فَمَنْ نَفَرَ من قريش ليدفع عن العير ، فجاءوا فكانت وقعة بدر ، وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وهو جد خالد من قبل جدته هند أم معاوية بنت عتبة . ثم اتسع هذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا شر ، ولا يُحْفَلُ به : « لا في العير ولا في النفير » . وقوله : غنيمات وحبيلات ، يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرده الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، لجأ إلى الطائف . فكان يرعى غنيمات ، ويأوى إلى حُبَيْلَة وهي الكرمة . وقوله : رحم الله عثمان ، أي لرده إياه . وقولنا : أطرده أي جعله طريدا .

## العصية

قال رجل من بني أسد بن خزيمَة يمدح يحيى بن حبان :

ألا جعل الله اليمانيين كلهم	فدى لفتى الفتيان يحيى بن حبان
ولولا عُريق في من عصيبة	لقلت وألفا من معد بن عدنان
ولسكن نفسي لم تطب بعشيرتي	وطابت له نفسي بأبناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط .

وحدثني شيخ من الأزد ثقة عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت ، وهو يدعو لأبيه . فقيل له : « ألا تدعو لأمك ا . » فقال : « إنها تميمية » .

وسُمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه . فعوتب فقال :  
 « هذه ضعيفة ، وأبي رجل يحتال لنفسه » .

وحدثني المازني عن حدثه قال : رأيت رجلا يطوف بالبيت ، وأمه على عنقه ،  
 وهو يقول :

أَجْمَلِ أُمِّي وَهِيَ الْحَمَالَةُ  
 تُرَضِعُنِي الدَّرَّةَ وَالْعُلَّالَةَ  
 وَلَا يُجَاوِزِي وَالِدًا فِعَالَةَ

قوله : الدررة ، فهو اسم ما يدر من ثديها ، ابتداءً كان ذلك أو غير ذلك .  
 والعلالة : لا تكون إلا بعد ، يقال عَلَّةٌ يَغْلُهْ عَلَا ، والاسم العلالة .

### بعد العسر يسر

قال الآخر :

وَإِنْ هَوَّيْتَ مَا قَدَّ عَزَّ هَانَا	إِذَا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضَاقَ جَدَا
فَكَمْ أَمْرٍ تَصْعَبُ ثُمَّ لَا نَا	فَلَا قَلْبَكَ لَشَيْءٍ فَاتَ يَا سَا
عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهُوَانَا	سَاصِرٍ مِنْ رَفِيقِي إِنْ جَفَانِي
وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يُهَانَا	فَإِنَّ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خِلَاءِ

ذكر العتيبي أن الحجاج بن يوسف بن الحكم النخعي لما أكره عبد الله بن جعفر  
 على أن تزوجه ابنته ، استأجأه في نقلها سنة . ففكر عبد الله بن جعفر في

الانفكاك منه، فألقى في رُوعه خالد بن يزيد . فكتب إليه يُعلمه ذلك ، وكان الحجاج تزوجها بلا إذن عبد الملك . فورد على خالد كتابه ليلا ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك . فقيل له : « أفي هذا الوقت ؟ » . فقال : « إنه أمر لا يؤخّر » . فأعلم عبد الملك بذلك ، فأذن له . فلما دخل عليه ، قال له عبد الملك : « فيم السرى يا أبا هاشم ؟ » . قال : « أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتحدث على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك » . قال : « وما هو ؟ » . قال : « أتعلم أنه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان ؟ » . قال : « لا » . قال : « فإن تزويجي إلى آل الزبير حَلَّل ما كان لهم في قلبي ، فما أهل بيت أحب إلي منهم » . قال : « فإن ذلك لَيكون » . قال : « فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجاج من سلطانك بحيث علمت ؟ » . فجزأه خيرا . وكتب إلى الحجاج بعزيمة أن يطلقها فطلقها . فغدا الناس عليه يعزونه عنها ، فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة ابن أبي سفيان . فأوقع الحجاج بخالد ، فقال : « كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى اشرع منه » . فقال له عمرو بن عتبة : « لا تقل ذا أيها الأمير ، فإن لخالد قديما سبق إليه ، وحدينا لم يُغلب عليه ، ولو طلب الأمر لطلبه بحدّ وجِدّة ، ولكنه علم عِلْمًا فسَلِم العِلْم إلى أهله » . فقال الحجاج : « يا آل أبي سفيان ، أنتم تحبون أن تحلّموا ، ولا يكون الحلم إلا عن غضب ، فنحن نُغضبكم في العاجل ، ابتغاء مرضاتكم في الآجل » . ثم قال الحجاج : « والله لأتزوجن من هو أمسُّ به رحما ، ثم لا يمكنه فيه شيء » . فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد .

## مواظ

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : « عِظْنِي » . فقال : « اتَّخِذِ اللَّهَ صَاحِبًا ، وَذَرِ النَّاسَ جَانِبًا » .

وقال سعيد بن المسيَّب: كنت بين القبر والمنبر مفكرا ، فسمعت قائلا يقول ولم أره : « اللهم ، إني أسألك عملا بارا ، ورزقا دارا ، وعيشا قارا » . فلزمتهن فلم أر إلا خيرا .

وقال الأصمعي : كان من دعاء أبي المَجِيب : « اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي » . وكان يقول في دعائه : « اللهم لا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَتَعْجِزِ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَتُنْضِيعِ » .

وقال أبو زيد : وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي ، فقال : « الحمد لله كما هو أهله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . خرجنا من المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ، ممن أخرجته الحاجة ، وحُمِلَ على المكروه ، لا يُمرِّضون مريضهم ، ولا يدفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه . والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ، ولقد مَشَيْتُ حتى انتعلتُ الدم ، وحتى خرج من قدمي بَخَصْ ولحم كثير . أفلا رجلٌ يرحم ابن سبيل ، وفلَّ طريق ، ونِصْوَ سفر ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن ثواب الله عز وجل ، ولا عمل بعد الموت . وهو الذي يقول جل شأنه : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له » ، مَلَى وَفَى ، ماجد واجد ، جواد ، لا يستقرض من عوز ولكنه يَبْلُو الأخبار » . فبلغني أنه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا .

قوله : بخص ، يريد اللحم الذى يركب القدم ؛ هذا قول الأصمعى . وقال غيره : هو لحم يخلطه بياض من فساد يحل به .

وفى حديث الحجاج بن علاط السلمى ، وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وكانت له هناك أموال متفرقة ، وهو رجل غريب بينهم، إنما هو أحد بنى سليم بن منصور ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يار سول الله ، إني أحتاج أن أقول » . قال : « فقل » .

وهذا كلام حسن ومعنى حسن ، يقول : أقول على جهة الاحتيال غير الحق فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة ، وليس هو من باب الفساد . وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تَقَوْلٌ ، كما قال الله عز وجل : « يَقُولُونَ تَقَوْلَهُ » .

فصار إلى مكة فقاتلت قريش : « هذا لعمر الله عنده الخبر » . فقالوا : « بلغنا أن القاطع قد خرج إلى أهل خيبر » . فقال الحجاج : « نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسمع بمثله وأخذوه أسيرا ، وقالوا : أن نكارم به قريشا فندفعه إليهم ، فلا تزال لنا هذه اليد فى رقابهم . وإنما بادرت لجمع مالى لعلى أصيب به من قتل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى إليه التجار ويتصل بهم الحديث . فاجتهدوا فى أن جمعوا إلى مالى أسرع جمع ، وسروا أكثر السرور . وأتاني العباس وهو كالمرأة الوالة . فقال : « ويحك يا حجاج ما تقول ؟ » . فقلت : « أ كاتمٌ أنت على خبرى ؟ » . فقال : « إى والله » . فقلت : « فَأَلْبَثُ على شيئا حتى يخف موضعى » . فسرتُ إليه فقلت : « الخبر والله على خلاف ما قلتُ لهم : خلّفت رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقد فتح خيبر . وخلفته والله مُعْرِسًا بابنة ملكهم . وما جنتك إلا مُسَلِّمًا ، فَطَاطِرِ الْخَيْرِ ثَلَاثًا حَتَّى أُعْجِزَ الْقَوْمَ ، ثُمَّ أَشِعَّهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْحَقُّ . » . فقال العباس : « ونحك ، أَحَقُّ مَا تَقُولُ ؟ » . قلت : « إِي وَاللَّهِ » فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ الْعَبَّاسُ ، وَأَخَذَ عَصَاهُ ، وَخَرَجَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : « يَا أَبَا الْفَضْلِ ، هَذَا وَاللَّهِ التَّجُلُّدُ لِحَرِّ الْمِصْيَةِ » . فقال : « كَلَّا وَمَنْ حَلَقْتُمْ بِهِ ، لَقَدْ فَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْرَسَ بَابِنَةَ مَلِكِهِمْ » . فقالوا : « مِنْ أَنْتَ هَذَا الْحَدِيثُ ؟ » . فقال : « الَّذِي أَنْتَ كُمْ بِخِلَافِهِ ، وَلَقَدْ جَاءَنَا مُسَلِّمًا » . ثم أتت الْأَخْبَارَ مِنَ النَّوَاحِي بِذَلِكَ . فقالوا : « أَفَلَتْنَا الْخَبِيثَ ، أَوْلَى لَهُ » .

## الْأَعْرَابُ

قال عبد الملك بن عُمَيْرَ : استعمل عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ رَجُلًا مِنْ آلِهِ عَلَى الطَّائِفِ ، فَظَلَمَ رَجُلًا مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ . فَأَتَى الْأَزْدِيَّ عْتَبَةَ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ :  
 أَمَرْتُمْ مَنْ كَانَ مَظْلُومًا لِيَأْتِيَكُمْ فَقَدْ أَنْتُمْ غَرِيبُ الدَّارِ مَظْلُومٌ  
 ثُمَّ ذَكَرَ ظُلْمَتَهُ . فَقَالَ لَهُ عْتَبَةُ : « إِنْ أَرَاكَ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُكَ تَدْرِي كَمْ تَصَلِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ » . فقال : « أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ ذَلِكَ ، أَنْتَجْعَلَ لِي عَلَيْكَ مَسْأَلَةً » . قال : « نَعَمْ » . قال الأعرابي :

إِنْ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ  
 ثُمَّ ثَلَاثٌ بَعْدَهُنَّ أَرْبَعٌ  
 ثُمَّ صَلَاةُ الْفَجْرِ لَا تُضَيِّعُ

فقال : « صدقت فاسأل » . فقال : « كم فقار ظهرك ؟ » . فقال : « لا أدري » . فقال : « أفَعَحَّكُمْ بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟ » . قال : « رُدُّوا عليه غُنَيْمته » .

وشهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه ، فقال له معاوية « كذبت » . فقال الأعرابي : « الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ في ثيابك » . فقال معاوية وتَبَسَّم : « هذا جزاء من عَجَل » .

## السواقط

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي : كانت السَّوْاقِطُ تَرِدُ اليمامةَ في الأشهر الحُرْمِ لطلب التمر . فإن وافقت ذلك ، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه ، ثم تخرج منه في شهر حرام . فكان الرجل منهم إذا قدم يأتي رجلا من بني حنيفة ، وهم أهل اليمامة . فيكتب له على سهم أو غيره : « فلان جار فلان » . والسواقط : مَنْ ورد اليمامة من غير أهلها . وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يُجْلِيهم منها ، فأجارهم مُرارة بن سُلَيْمِ الحَنْفِي ، ثم أحد بنى ثعلبة بن الدَّوْل بن حنيفة ، فسوغه الملك ذلك . فقال أَوْس بن حَجَرٍ يحضُّ النعمان عليه :

زعم ابن سُلَيْمِ مُرارةُ أنه      مَوَّلَى السَّوْاقِطِ دُونَ آلِ المُنْذِرِ  
منع اليمامةَ حَزَنُها وسُهولُها      من كل ذى تاجٍ كريمٍ المُفَخَّرِ

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة ، ومعه أخ له . فكتب له عُمَيْرُ بن سلمى أنه له جار ، وكان أخو هذا الكلابي جميلا ، فقال له قُرَيْنُ أخو عمير : « لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا » . فرآه بعدُ بين أيامهم

فقتله . قال أبو عبيدة : وأما المولى فذكر أن قرينا أخوا عمير كان يتحدث إلى امرأة  
أخي الكلابي ، فعثر عليه زوجها ، فخافه قرين عليها ، فقتله وكان عمير غائبا ،  
فأتى الكلابي قبر سلمى أبي عمير وقرين ، فاستجار به ، وقال :

زید بن یربوعِ وآلٍ مُجمَعِ	وإذا استجرتَ من اليمامةِ فاستجرِ
وأخو الزمانةِ عائدٌ بالأمنعِ	وأنتُ سلمياً فعدتُ بقبره
بعمائتینِ إلى جوانبِ ضلفعِ	أقرینُ إنك لو رأيتَ فوارسِي
للغدرِ خائنةً مُغلٍ الإصبَعِ	حدتتَ نفسك بالوفاءِ ولم تكن

فلجأ قرين إلى قتادة بن مسleme . فحمل قتادة إلى الكلابي ديات مضاعفة  
وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك . فأبى الكلابي أن يقبل . فلما قدم عميرة ،  
قالت له أمه ، وهي أم قرين : « لا تقتل أخاك ، وسق إلى الكلابي جميع ماله » .  
فأبى الكلابي أن يقبل ، وقد لجأ قرين إلى خاله السمين بن عبد الله ، فلم يمنع  
عمير ، فمضى به ، حتى قطع الوادي ، فربطه إلى نخلة . وقال للكلابي : « أما إذ  
أبيت إلا قتله فأسهل حتى أقطع الوادي ، وارتحل عن جوارى ، فلا خير لك فيه »  
فقتله الكلابي . ففي ذلك يقول عمير :

قَتَلْنَا أَخَانَا لِلْوَفَاءِ بِجَارِنَا      وَكَانَ أَبُوْنَا قَدْ تُجِرُ مَقَابِرُهُ

وقالت أم عمير :

تَعُدُّ مَعَاذِرَا لَا عُذْرَ فِيهَا      وَمَنْ يَقْتُلُ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا

قوله : ولم تكن للغدر خائنة ، ولم يقل خائنا ، وإنما وضع هذا في موضع المصدر ، والتقدير ولم تكن ذا خيانة ، وقوله : للغدر ، أى من أجل الغدر ، وقال المفسرون والنحويون في قول الله عز وجل : « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » أى لشديد من أجل حب الخير ، والخير ههنا : المال ، ومن قوله تعالى : « إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ۝۱۰۰ » . والمُغْل : الذى عنده غُلُول ، وهو ما يُخْتَان ويُحْتَجِن ، ويستعمل مستعارا في غير المال . والإصْبَع أَفْصَح ما يقال ، وقد يقال : أَصْبَع وَأَصْبَع وَأَصْبَع ، وكلُّ جَيْد ، وإنما يعنى ههنا النعمة . وأما قولها : ومن يقتل أخاه فقد ألما ، تقول : أتى ما يلام عليه .

## أفضل الأخبار

أنشدني السعدي أبو محلم :

إننا سألنا قومنا فخيرهم  
أعطى الذى أعطى أبوه قبله  
من كان أفضلهم أبوه الأول  
وتبخلت أبناء من يتبخل

## مدح

أنشدني أيضا :

أطَّلحة بن حبيب حين تسأله  
وبيت طَّلحة في عز ومكرمة  
أئدى واكرم من فند بن هطال  
وبيت فند إلى ربي وأحمال<sup>(١)</sup>

(١) الربق : حبل فيه عدة عرى تشد به الصغار من الغنم والمعز .

وليس يحملني إلا ابنُ حَمَالٍ  
وجنت أمشى إليه مَشَى مَحْتَالٍ  
في رأسٍ ذِيَالَةٍ أو رأسٍ ذَيَالٍ

الآ فتى من بنى ذُبَيَانَ يحملني  
فقلتُ طلحةُ أُولَى من عَمَدَتُ له  
مُسْتَيْقِنَا أن حَبَلِي سوف يعلِّقُه

قوله : إلى ربق وأحمال ، إنما أراد جمع حَمَلٍ على القياس ، كما تقول في جميع باب فَعَلَ حَمَلَ وأحمال ، وصنم وأصنام ، وقوله : في رأس ذِيَالَةٍ ، يعني فرسا أنثى أو حصانا ، والذِيَالُ : الطويل الذنب ، وإنما يُحَمَدُ منه طول شعر الذنب ، وقَصَرَ العَسِيبُ .

## الفرزدق والذنب

قال الفرزدق ، ونزل به ذنب فأضافه :

رفعت لنارى مَوْهِنَا فَاتَانِي  
وإِيَاكَ في زَادِي مُشْتَرِكَانِ  
على ضوء نَارٍ مَرَّةً ودَخَانِ  
وقَائِمٌ سَيْفِي من يَدِي بِمَكَانِ  
تَكُنُّ مثل من ياذنُبُ يَصْطَحِبَانِ  
أَحْسَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانِ  
رَمَاكَ بِسَهْمٍ أو شِبَاةٍ سِنَانِ

وأطلس عَسَالٍ وما كان صاحبَا  
فلما دنا قلتُ : ادنُ ذُونُكَ إنني  
فبتُ أقد الزاد بيني وبينه  
وقلت له لما تكشُر ضاحكا  
تَعَشُّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لا تخولني  
وأنت امرؤٌ ياذنُبُ والغدرُ كنتما  
ولو غيرنا نَهَيْتُ تلتمس القرى

قوله : وأطلس عسال ، وإنما نسبه إلى مشيته ، يقال : مرَّ الذئبُ يَعْسلُ ، وهو مشى خفيف كالهروالة ، وقوله : رفعت لنارى ، من المقلوب ، إنما أراد رفعت له نارى ، والسكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار . وقوله : أو شِبَاةٍ سِنَانِ ، الشِّبَا والشِّبَاةُ واحد ، وهو الحَدَّ .

## الغد

مما يستحسن في وصف الجود ، والحث على المبادرة به ، وتعريف حَمْد العاقبة فيه ، قول التَّمْرِ بن تَوَلِّب العكلى :

<p>بعيدا نأني صاحبي وقريبى وأن الذى أنفقتُ كان نصيبى أخى نصب فى رعيها ودءوب وبُدِّل أحجارا وجمالَ قليب</p>	<p>أعاذلَ إن يُصبح صدائى بقفرة تَرَى أن ما أبقيتُ لم ألك ربُّه وذى إبلى يسعى ويحسبها له غدتْ وغدا ربُّ سواه يقودها</p>
--	--

قوله : إن يصبح صدائى بقفرة ، فالصدى : على ستة أوجه ، أحدها ما ذكره وهو ما يبقى من الميت فى قبره ، وقوله : وبُدِّل أحجارا وجمالَ قليب ، فالجمال : الناحية ، يقال لكل من البئر والقبر وما أشبه ذلك : جمالٌ وَجْولٌ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول ابن آدم مالى مالى ، ومالك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، وأعطيت فأمضيت » .

ويروى عن بعضهم أنه قال : « إني أحب البقاء ، وكالبقاء عندى حسن الثناء » .

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس : « ما كان جدك قيس بن معدى كرب أعطى الأعشى ؟ » . فقال : « أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أنسيها » فقال معاوية : « لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنة هرم بن سنان المرثى : « ما وهب أبوك لزهير ؟ » . فقالت : « أعطاه مالا وأثانا أفناه الدهر » . فقال عمر : « لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر » .

وقال المفسرون فى قول الله عز وجل عن إبراهيم صلوات الله عليه :  
 ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ أى ثناء حسنا ، وفى قوله تعالى :  
 ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أى يقال له هذا فى الآخرين .  
 والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه ، قال الله عز وجل :  
 ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أى فىقال لهم . ومثله :  
 ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أى يقولون . وكذلك : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ .

## خطبة الحجاج حين ولي الكوفة

قال عبد الملك بن عمير اللبثى : بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذور حال حسنة ، يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه ، إذ أتى آت فقال : « هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق » . فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًا بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلدا سيفا ، متنكبا قوسا ، يومئذ المنبر . فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر . فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس

بعضهم لبعض : « قَبِحَ اللهُ بِنَى أُمِيَّةَ حَيْثُ تَسْتَعْمَلُ مِثْلَ هَذَا عَلَى الْعِرَاقِ ؟ » . حتى  
 قَالَ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيِّ : « أَلَا أَحْصِيَهُ لَكُمْ ؟ » . فَقَالُوا : « أَمِهْلْ حَتَّى  
 نَنْظُرَ » . فَلَمَّا رَأَى عَيُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، حَسَرَ اللَّثَامَ عَنْ فِيهِ ، وَنَمَضَ فَقَالَ :

أنا ابن جلا وطلاغ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال : « يا أهل الكوفة ، إني لأرى رءوسا قد أينعت ، وحن قطفها ،  
 وإني لأصاحبها ، وكأنني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحمي » . ثم قال :

هذا أو أن الشد فاشتدى زيم      قد لفقها الليل بسواق حطم  
 ليس براعى إبلي ولا غنم      ولا يجزار على ظهر وضم  
 ثم قال :

قد لفقها الليل بعضلبي      أزوع خراج من الدوى  
 مهاجر ليس بأعرابي

وقال :

قد شممت عن ساقها فشداوا      وجدت الحرب بكم فجدوا  
 والقوس فيها وتر عرد      مثل ذراع البكر أو أشد

إني والله - يا أهل العراق - ما يقفَعُ لي بالشَّان ، ولا يُعْمَزُ جانبي  
 كتغماز التين . ولقد فررتُ عن ذكاء ، وفُتشتُ عن تجربة . وإن أمير المؤمنين -  
 أطال الله بقاءه - نثر كنانته بين يديه ، فعجم عيدانها . فوجدني أمرها عودا ،  
 وأصلبها مكسرا ، فرماكم بي ، إنكم طال ما أوضعتُم في الفتنة ؛ وأضجعتُم  
 في مرقاد الضلال ، والله لأحزمنكم حزم السلِّمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب

الإبل. فإنكم لكاهل قرية كانت مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وإنى والله ما أقول إلا وقيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فرّيت. وإن أمير المؤمنين امرنى بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم مخاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة. وإنى أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه. يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين.

فقرأ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**». من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين. سلام عليكم». فلم يقل أحد منهم شيئاً فقال الحجاج: «اكف يا غلام». ثم أقبل على الناس فقال: «أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً، هذا أدب ابن نهيّة. أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن. اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين». فلما بلغ إلى قوله: «سلام عليكم»، لم يبق في المسجد أحد إلا قال: «وعلى أمير المؤمنين السلام».

ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم. فجعلوا يأخذون، حتى أتاه شيخ يرعش كبراً، فقال: «أيها الأمير، إنى من الضعف على ما ترى، ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى، فتقبله بدلا منى». فقال له الحجاج: «نفعل أيها الشيخ؟». فلما ولى قال له قائل: «أتدرى من هذا أيها الأمير». قال: «لا». قال: «هذا عمير بن ضابء البرجمى الذى يقول أبوه:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عَثْمَانَ بَكَى حَلَالَتَهُ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا، فوطىء بطنه فكسر ضلعين من أضلعه». فقال: «رُدُّوه». فلما رُدَّ قال له الحجاج: «أيها الشيخ، هلا بعثت إلى أمير

المؤمنين عثمان بدلاً يوم الدار ، إن في قتلك ، أيها الشيخ ، لصالحاً للمسلمين .  
يا حرسى اضرِبْ عُنُقَهُ .

فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ، ويأمر وليه أن يلحقه بزاده . ففي  
ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تَجْهَؤُا فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِءٍ	عُمَيْرَا وَإِمَا أَنْ تَزُورَ الْمُهْلَبَا
هَمَا خُطْنَا خَسْفٌ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا	رَكُوبُكَ حَوَالِيًا مِنَ التَّلَجِ أَشْهَبَا
فَأَضْحَى لَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ دُونَهُ	رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا

قوله : أنا ابن جلا ، إنما يريد المنكشف الأمر . والشعر لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ  
الرِّيَاحِي ، وإنما قاله الحجاج متمثلاً . وقوله : وطلاع الثنايا ، الثنايا : جمع ثنية ،  
والثنية : الطريق في الجبل ، وإنما أراد به أنه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها  
وصعوبتها . وقوله : هذا أوان الشدة فاشتدى زيم ، يعني فرسا أو ناقة . والشعر  
للحطيم القيسي . وقوله : قد لفها الليل بسواق حطم ، فهو الذي لا يبقى من  
السير شيئا . وقوله : على ظهر وضم ، فالوضم : كل ما قطع عليه اللحم . وقوله :  
قد لفها الليل بعصلي ، أي شديد . وأروع : أي ذكي . وقوله : خراج من  
الدوى ، يقول : خراج من كل غمءا شديدة . وقوله : والقوس فيها وترعرد ، فهو  
الشديد . وقوله : إني والله ما يققع لي بالشنان ، واحدها شن ، وهو الجلد اليابس ،  
فإذا قُعِقِعَ به نفرت الإبل منه ، فضرب ذلك مثلا لنفسه . وقوله : ولقد  
فُرت عن ذكاء يعني تمام السن . وقوله : فعجم عيدانها ، يقول : مضغها لينظر أيها  
أصلب . وقوله : طال ما وضعت في الفتنة ، الإيضاع : ضرب من السير . وقوله :

فأضحى ولو كانت خراسان دونه ، يعنى دون السفر ، رآها مكان السوق للخوف والطاعة .

وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشمي قال : بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضّلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله . فوثب مُغضِبًا حتى صعد المنبر . فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم قال : « أيها الناس ، إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر . إنه لما تُوِّفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتلّت العرب ، ومنعتْ شاتها وبغيرها . فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة ، يمدّه الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم بيتك ومسجدك فإنه لا طاقة لك بقتال العرب . فقال أبو بكر الصديق : أوكلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا : نعم . فقال : والله لأنّ آخر من السماء فتخطفنى الطير ، أحسب إلى من أن يكون هذا رأي . ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . أيها الناس ، أنّ كثر أعدائكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب . والله ليظهرنّ الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ؛ قوله الحق ، ووعدّه الصدق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتم في الله حقّ جهاده حتى أبلى بنفسى عدرا ، أو أقتل قتلا . والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتم عليه ، واستعنت عليهم الله وهو خير معين . ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده ، حتى أدعت العرب بالحق » .

قوله : لو منعوني عقلا لجاهدتهم عليه ، فإن المصدّق (١) إذا أخذ من الصدقة ما فيها ، ولم يأخذ ثمنها قيل : أخذ عقلا ، وإذا أخذ الثمن قيل . أخذ نقدا .

وكان ارتداد من ارتد من العرب أن قالوا : نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة .  
فمن ذلك قول الحُطَيْبَة :

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا	فيألهفتا ما بالَ دينِ أبي بكرٍ
أيورثها بكرًا إذا مات بعده	فتلك بيتِ الله قاصمةُ الظهر
فقوموا ولا تعطوا اللئامَ مقادّةً	وقوموا ولو كان القيامُ على الجمر
فدئى لبنى نصرٍ طريفى وتالدى	عشيةً ذأدوا بالرماح أبا بكر

### من أشعار المولدين

هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين ، حكيمة مستحسنة ، يُحتاج إليها للتمثّل ، لأنها أشكلُ (٢) بالدهر ، ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب .

قال محمود بن حسن الوراق :

تعصى الإله وأنتَ تُظهر حُبّه	هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حُبك صادقًا لأطعته	إن الحُبَّ لمن يحب مطيع

(١) المصدق : جامع الزكاة .

(٢) أشكل : أشبه .

وقال أيضا :

إني شكرتُ لظالمى ظلمى  
ورأيتُهُ أسدى إلى يدا  
رجعتُ إساءته وإحسانى  
وغدوتُ ذا أجرٍ ومُخَمِّدَة  
فكأنما الإحسانُ كان له  
ما زال يظلمنى وأرحمهُ  
وغفرتُ ذاك له على علمى  
لما أبان بجهله حلمى  
فعداد مضاعفَ الجُرمِ  
وغدا بكَسبِ الظلم والإثم  
وأنا المُسِيءُ إليه فى الحُكم  
حقى بكيئُ له من الظلم

أخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له : « إني مرت بقوم من قريش ، من آل الزبير أو غيرهم ، يشتمونك شتما رحمتك منه » . قال : « أفسمعتنى أقول إلا خيرا » . قال : « لا » . قال : « إياهم فارحم » .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لرجل قال له : « لأشتمتك شتما يدخل معك فى قبرك » . قال : « معك والله يدخل لا معى » .

وقال ابن مسعود : « إن الرجل ليظلمنى فأرحمه » .

وقال رجل للشعبي كلاما أقدح له فيه . فقال له الشعبي : « إن كنت صادقا فغفر الله لى ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك » .

ويروى أنه أتى مسجدا ، فصادف فيه قوما يفتابونه . فأخذ بعضادتي الباب ثم قال :

هنيئا مريئا غير داءٍ مُخامرٍ  
لعزّة من أعراضنا ما استحلّت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال : دخلت المدينة فرأيت رجلا  
راكبا على بغلة ، لم أر أحسن وجهها ولا سَمَتا ولا ثوبا ولا دابة منه فسألت  
عنه . فقيل لي : « هذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما » . فامتلا  
قلبي له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله . فصرت إليه فقلت له : « أنت  
ابن أبي طالب ؟ » . فقال : « أنا ابن ابنه » . فقلت : « فبك وبأبيك أسبهما » .  
فلما انتقضى كلامي قال لي : « أحسبك غريبا ؟ » . قلت : « أجل » . قال :  
« فمِلْ بنا ، فإن احتجت إلى مِيلٍ أنزلناك ، أو إلى مال آسناك ، أو إلى حاجة  
عاوناك » . قال : فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أحب إلى منه .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إن يكن ما به أصبْتُ جليلا فذهابُ العزاء فيه أجْلُ  
كلُّ آتٍ لا شك آتٍ وذو الجهل مُعنى والغمُّ والحزن فُضْلُ  
وأنشُد مُنشِد من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مَقَالُ  
وقال آخر :

ويعرف وَجْهَ الحزم حتى كأنما وقال أشجع السلمي :

رأى سَرَى وعيون الناس راقدة ما أحرَّ الحزم رأى قدَّم الحدرا  
وقال آخر :

فلو عاب نفسي غير نفسي لسؤتُه وقال عبد الصمد بن المعدل :

أمنُّ على المُجْتَدِي وما أتبع المَنِّ مَنْ (١)

(١) المجتدى : طالب المعروف . والمن الأول : الإحسان . والمن الثانى : الفخر بالإحسان .

كَانَ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى  
أَرَى النَّاسَ أَحَدُوَّةً

وَقَالَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخِزَاعِيُّ :

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِجِبْهَتِهِمْ  
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا  
فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الْأَذْنِينَ إِنْ لَهُمْ  
لَا تَعْرِضْنِي بِمَرْحٍ لِأَمْرِي طَبِينِ  
فُرْبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٌ

وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ  
فَكُونِ حَدِيثًا حَسَنًا

قَالُوا: نَعَصَبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي بَهْتٍ  
لَا بُدَّ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصَّلَاةِ  
حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرْءِ  
مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ (١)  
مَشْتُومَةٌ لَمْ يُرَدِّ إِثْمًا وَهِيَ نَمَتْ  
وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَكَانَ نَظَرَ فِي النُّجُومِ فَبَعْدَ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَهَا فَقَالَ :

كَافِرًا بِالذِّي قَضَتْهُ الْكُوكُوبُ  
نَ بَحْتَمِ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ وَاجِبُ

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَكَانَ نَظَرَ فِي النُّجُومِ فَبَعْدَ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَهَا فَقَالَ :  
أَبْلَغَا عَنِّي الْمُتَّجِمُ أَنِّي  
عَالِمٌ أَنْ مَا يَكُونُ وَمَا كَمَا  
وَأَنْشَدَنِ الرِّيَاشِي لِغَيْرِهِ :

فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرِّسَالُ (٢)  
وَفِي الذِّي حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

قَدْ نَقَرَ النَّاسُ حَتَّى أَحَدُوا بِدَعَا  
حَقِّ اسْتِخْفَ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرَهُمْ  
وَقَالَ الْحَكَمِيُّ أَبُو نَوَاسٍ :

كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا  
أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى  
وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَشْقَى  
إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهِ سَوَاتِ تَرْقَى

أَخِي مَا بِالْ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى  
أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَنُؤَا وَبَادُوا  
وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَحْظَى  
وَلَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ زَادٌ

(١) الطين : الفصل الحاذق .

(٢) نفر : بحث .

## الصبر

كان ابن شيرمة إذا نزلت به نازلة قال : « سحابة ثم تنقشع » .

وكان يقال : « أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجد » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليتُ أيهما ركبت » .

وقال العُتبيّ محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات :

أضحتُ بِجَدَىِّ لِلدموعِ رَسومُ      أسفا عليك وفي الفؤادِ كُـلومُ  
والصبرِ يُحمَدُ في المصائبِ كلِّها      إلا عليك فإنه مذموم

وأحسب أن حبيبا الطائي سمع هذا فاسترقه في بيتين : أحدهما قوله في إدريس بن بدر الشامي :

دموعُ أجابتُ داعيَ الحزنِ هُمعُ      توصلُ منّا عن قلوبٍ تقطعُ  
وقد كان يدعى لابنُ الصبرِ حازما      فأصبحَ يُدعى حازما حين يجزعُ

والآخر قوله :

قالوا : الرحيل ، فما شككتُ بأنّها      نفسى عن الدنيا تريد رحيلًا  
الصبر أجملُ غيرَ أن تَلدُدا      في الحبِّ أخرى أن يكون جميلا

## عقل ولسان

كان الحسن يقول : « لسان العاقل من وراء قلبه . فإن عرض له القول نظر ، فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القول أمسك . ولسان الأحمق أمام قلبه ، فإذا عرض له القول قال كان عليه أوله » .

وقال إياس بن معاوية المزني أبو واللة ، وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد بن صفوان : « لا ينبغي أن لجمع في مجلس » . فقال له خالد : « وكيف يا أبا واللة ؟ » فقال : « لأنك لا تحب أن تسكت ، وأنا لا أحب أن أسمع » .

## أقضية

خاصم إلى إياس رجل رجلا في دين ، وهو قاضي البصرة . فطلب منه البيعة فلم يأت به بمقنع . فقيل للطالب : « استجزر وكيع بن أبي سؤد حتى يشهد لك فإن إياسا لا يجترئ على رد شهادته » . ففعل ، فقال وكيع : « والله لأشهدن لك فإن رد شهادتي لأعممته السيف » . فلما طلع وكيع فهم إياس عنه . فأقعدته إلى جانبه ثم سأله عن حاجته . فقال : « جئت شاهدا » . فقال له : « يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالي والعجم . أنت تجل عن هذا » . فقال : « إذن والله لا أشهد » . فقيل لو كيع بعد : « إنما خدعك » . فقال : « أوئلى لابن اللخناء » .

واختلف نصراني إلى أبي ذلامه مولى بني أسد يتطبب فوعده إن برأ على يديه أن يعطيه ألف درهم . فبرأ ابنه ، فقال للمتطبب : « إن الدراهم ليست عندي ، ولكن والله لأوصلتها إليك . ادع علي جاري فلان هذه الدراهم فإنه موسر ، وأنا

وابنى تشهد لك فليس دون أخذها شيء . فصار النصراني بالجار إلى ابن شبرمة فسأله البينة . فطلع عليه أبو دلامة وابنه ، ففهم القاضى . فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة :

إِنَّ النَّاسُ غَطُّونِي نَقَطِيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُونِي كَانَ فِيهِمْ مَبَاحٌ

فقال ابن شبرمة : « من ذا الذى يبحثك يا أبا دلامة ؟ » . ثم قال للمدعى : قد عرفت شاهدك فحلّ عن خصمك ، ورح العشيّة إلى . فراح إليه ، ففرمها من ماله .

وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبرى على شهادة ، ورجل عدل ، فقال عبيد الله للمدعى : « أما أبو عبيدة فقد عرفته ، فزدنى شاهداً » . وكان عبيد الله أحد الأدباء الفقهاء الصالحاء .

وتقدم رجل إلى سوار بن عبد الله ، وسوار ابن عم عبيد الله بن الحسن ، يدعى دارا ، وامرأة تدافعه ، وتقول لسوار : « إنما والله خطة ما وقع فيها كتاب قط » . فأتى المدعى بشاهدين يعرفهما سوار ، فشهدا له بالدار . وجعلت المرأة تنكر إنكاراً يعضده التصديق . ثم قالت : « سل عن الشهود فإن الناس يتغيرون » . فرد المسألة فحمد الشاهدان : فلم يزل يُرِيثُ أمورهم ويسأل الجيران فكل يصدق المرأة ، والشاهدان قد ثبتا . فشكا ذلك إلى عبيد الله ، فقال للشاهدين : « ليس للقاضى أن يسألكما كيف شهدتما ، ولكن أنا أسألكما » . فقالا : « أراد هذا أن يحج فادارنا على حدود الدار من خارج ، وقال : هذه دارى فإن حدث بى حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا » . قال : « فعند كما غير هذه الشهادة ؟ »

قالا : « لا » . فقال : « الله أكبر ، وكذا لو أدرتكما على دار سوار وقلت  
لكما مثل هذه المقالة أكنتما شهدان بما لي ؟ » . ففهما أنهما قد اغترا .

وحدثني أحد أصحابنا أن رجلا من الأعراب تقدم إلى سوار في أمر ، فلم  
يصادف عنده ما يجب فاجتهد فلم يظفر بحاجته . فقال الأعرابي وكانت في يده  
عصا :

رأيت رؤيا ثم عبرتُها      وكنت للأحلام عبّارا  
بأني أخط في ليلتي      كلبا فكان الكلب سؤارا

ثم انخى على سوار بالعصا فضربه حتى مُنع منه ، فما عاقبه سوار بشيء .

وحدثت أن أعرابيا من بني العنبر سار إلى سوار ، فقال : « إن أبي مات  
وتركني وأخالي » . وخط خطّين في الأرض ثم قال : « وهجينا » . وخط  
خطّا ناحية ، « فكيف نقسم المال » . فقال : « أهنا وارث غيركم ؟ » . قال :  
« لا » . قال : « المال بينكم أثلاثا » . فقال : « لا أحسبك فهمت عني ، إنه  
تركني وأخى وهجينا لنا » . فقال سوار : « المال بينكم أثلاثا » . فقال الأعرابي :  
« يأخذ الهجين كما آخذ ، وكما يأخذ أخى » . قال : « أجل » . فغضب الأعرابي  
ثم أقبل على سوار فقال : « تعلم والله أنك قليل الخالات بالدهناء <sup>(١)</sup> » . فقال  
سوار : « إذا لا يضيرني ذلك عند الله شيئا » .

(١) قيل إنه لم يكن بالدهناء إماء وإنما كل نسانها حرائر .

وكان عَقِيلُ بنِ عُثْمَانَ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْأَنْفَةَ عَلِيٌّ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَلِمَنَاهُ .  
فَخَطَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ابْنَتَهُ عَلِيٌّ أَحَدَ بَنِيهِ ، وَكَانَتْ لِعَقِيلٍ إِلَيْهِ حَاجَاتٌ .  
فَقَالَ : « أَمَا إِذْ كُنْتَ فَاعْلَمْ فَجَنَّبَنِي هُنَّكَ » .

وخطب إليه ابنته إبراهيم بن هشام ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، ووالى  
المدينة ، وكان أبيض شديد البياض . فرده عقيل وقال :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لِمَا أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إِلَّا أَحْمَرَارَا

وكانت حفصة بنت عمران قد ميت عنها . فخطبها جماعة من قريش أحدهم  
عبد الله بن حسن وأحدهم إبراهيم بن هشام . فكان أخوها محمد بن عمران إذا  
دخل إلى إبراهيم بن هشام أوسع له وأنشده :

وقالوا : يا جميل أتى أخوها  
فقلت : أتى الحبيب أخو الحبيب  
أحبك أن نزلت جبال حسمى  
وأن ناسبت بثنة من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العُدْرِي .

وكان يقال : إن أول من أظهر الجور من القضاة في الحكم بلال بن أبي بردة ،  
وكان أمير البصرة وقاضيها . وكان بلال يقول : « إن الرجلين ليتقدَّمان إلى فأجد  
أحدهما على قلبي أخف فأقضى له » .

ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخصاصة فسَدِك (١) بسارية من المسجد . فجعل يصلى إليها ويدبم الصلاة . فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار : « إن يكن سرُّ هذا كعلائيته فهو رجل أهل العراق غير مُدافع » . فقال العلاء : « أنا آتيك بخبره » . فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء فقال : « اشفع صلاتك فإن لي إليك حاجة » ففعل . فقال له العلاء : « قد عرفت حالي من أمير المؤمنين ، فإن أنا أشرتُ بك على ولاية العراق فما تجعل لي ؟ » . قال : « لك عُمالتى (٢) سنة » . وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم . قال : « فاكتب لي بذلك » . فارقت (٣) بلال إلى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك . فأتى العلاء عمر بالكتاب . فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وكان والى الكوفة : « أما بعد ؛ فإن بلالا غرنا بالله فكدنا نفتر ، فسبكناه فوجدناه خبثا كله ، والسلام » . ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد : « إذا ورد عليك كتابي هذا ، فلا تستعن على عمليك بأحد من آل أبي موسى » . وكان بلال داهية لقنا أديبا . ويقال : إن ذا الرُّمَّة لما أنشده :

سمعتُ الناسَ يتتَجِعونَ غيْثا      فقلتُ لصيْدَحَ : انتجعي بلالا  
تُناخِي عندَ خيرٍ فتي يَمَانٍ      إذا التَّكْبَاءُ نَواحتِ الشِّمالا

(١) خصاصة : بلدة من أعمال حلب . وسدك : لصق .

(٢) العمالة : أجرة العامل .

(٣) ارتعد : أسرع .

فلما سمع قوله : فقلت لصيدح انتجعي بلالا ، قال : « يا غلام ، مُرْ لها بَقْتُ ونوى » . أراد أن ذا الرمة لا يحسن المدح . وقوله : إذا النكباء فاوحت الشمال ، فإن الرياح أربع ، ونكباواتها أربع ، وهى الريح التى تأتى من بين ريحين ، فتكون بين الشمال والصبأ ، أو الشمال والدُّبور ، أو الجنوب والصبأ ، فإذا كانت النكباء تُناوِح الشمال فهى آية الشتاء . ومعنى تناوح تقابل .

## العرب والموالي والأنساب

قال المُتَشَجِّع لرجل من الأشراف : « ما عَلِمْتَ وَلَدَكَ ؟ » . قال : « الفرائض » . قال : « ذلك علم الموالى لا أبالك . عَلِمَهُم الرُّجَزُ فَإِنَّهُ يُهَرَّتْ أَشْدَاقَهُمْ » .

ومن ذلك قول الشعبيّ ، ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال : « لئن أصلحتموه إنكم لأرل من أفسده » .

وقول العرب : « ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر » يريد العربى والعجمى . وقال المختار لإبراهيم بن الأشتر يوم خازر ، وهو اليوم الذى قُتل فيه عُبيد الله بن زياد : « إن عامّة جنديك هؤلاء الحمراء ، وإن الحرب إن ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل ، وأرّجل الحمراء أمامهم » .

ومن ذلك قول الأشعث بن قيس لعلی بن أبى طالب رحمه الله ، وأتاه يتخطى رقاب الناس ، وعلیّ على المنبر ؛ فقال : « يا أمير المؤمنين ، غلبتنا هذه الحمراء على قربك » . فركض علیّ المنبر برجله . فقال صَعْصَعَةُ بن صُوحان العبديّ :

« ما لنا ولهذا ». يعنى الأشعث ، « لَيَقُولَنَّ أمير المؤمنين اليوم فى العرب قولاً لا يزال يُذكر ». فقال على : « من يَغْدِرُنِي من هذه الضيَّاطِرَة ، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرُّغ الحمار ويُهَجِّرُ قوم للذكر ، فيأمرن أن أطردهم ؟ ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين . والذي فَلَقَ الحَبَّةَ ، وبرأ التَّسْمَةَ ، ليضربنكم على الدين عَوْدًا كما ضربتموهم عليه بدءًا ». قوله : الضيَّاطِرَة ، واحدهم ضَيَّطَرٌ وضيَّطار ، وهو الأحمر العَضَلِ الفاحش .

قال يحيى بن نوفل يهجو العُريَان بن الهيثم بن الأسود النخعى ، وكان العريان تزوج زَبَادِ ، من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني ، وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها ، فتزوجها العريان . وكان ابن نوفل له هجاء ، فقال :

أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أُمِّ مِىنِ إِيَادِ	أَعْرِيَانُ مَا يَدْرِى أَمْرُ سَيْلِ عَنكُمُ
لَبِيضُ الْوَجْهِ غَيْرِ جَدِّ جَعَادِ	فَإِنْ قَلْتُمْ : مِنْ مَذْحِجٍ إِنْ مَذْحِجَا
وَجَوْهَكُمُ مَطْلِيَسَةٌ بِمَدَادِ	وَأَنْتُمْ صِغَارُ الْهَامِ خُدْلٌ كَأَنَّهَا
زَبَادٍ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبَادِ	لَعَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ يُنْكَحُونَهُ
كُمَيْرِيَةٍ عَيْرَا خِلَافِ جَوَادِ	أَبْعَدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجِ

قوله : وأنتم صغار الهام حذل ، فالأحدل : المائل العنق . وقوله : لقد ما قصرُوا ، فما : زائدة ، مثل قوله تعالى : « مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا » ، ولو قال : لَقَدِمَا قَصَّرُوا ، لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم . وقوله : كميرية عيرا خلاف جواد ، يقول : بعد جواد ، قال الله عز وجل : « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ » .

## صيغة فعال

اعلم أنه لا يُبنى شيء من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وهو في المؤنث بمثالة فُعل ، نحو عُمرَ وقُثمَ في المذكر ، وفُعل معدول في حال المعرفة عن فاعل وكان فاعل ينصرف ، فلما عُدل عنه فُعل لم ينصرف. وفَعَالٍ معدول عن فاعلة ، وفاعلة لا ينصرف في المعرفة ، فُعِدِلَ إلى البناء لأنه ليس بعد مالا ينصرف إلا المبني . وبُني على الكسر لأن في فاعلة علامة التانيث . وكان أصل هذا أن يكون إذا أردت به الأمر ساكنا كالجزوم من الفعل الذي هو في معناه ، فَكَسَرْتَهُ لا لتقاء الساكنين ، مع ما ذكرنا من علامة التانيث ، والكسر مما يؤنث به فلم يخل من العلامة ، تقول للمرأة : أنتِ فعلتِ . فالكسر علامة التانيث . وكذلك إلكِ ذاهبةٌ ، وضربتكِ يا امرأة .

فمما لا يكون إلا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نزالٍ ، ومعناه انزل ، وكذلك تراكِ زيدا أى اتركه . فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة ، وهما مؤنثان معرفتان . يدل ذلك على التانيث القياس الذي ذكرنا ، قال الشاعر تصديقا لذلك :

وَلَنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالٍ وَلُجٌّ فِي الدَّرْعِ

قال : دعيت ، لما ذكرته لك من التانيث . فهذا باب من الأربعة .

ومنها أن يكون صفة غالبية تحل محل الاسم ، نحو قولهم للضيع : جَعَارِ ،  
وللمنية: حَلَاقٍ ، لأنها حالقة . والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله :

لَحِقَتْ حَلَاقٍ بِهِمْ عَلَى أَكْسَانِهِمْ      ضَرَبَ الرِّقَابِ وَلَا يَهُمُّ الْمَغْنَمُ (١)

وتقول في النداء : يَا فَسَاقِ ، وَيَا خَبَاثَ ، وَيَا لِكَاعٍ لَأَنَّهُ فِي النَّدَاءِ فِي مَوْضِعِ  
مَعْرِفَةٍ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ : يَا فَسَقُ وَيَا خَبِيثَ وَيَا لِكَعِ ، فِهَذَا بَابُ ثَانٍ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا عُدِلَ عَنِ الْمَصْدَرِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :

جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولِي      طَوَالَ الدَّهْرِ مَا ذُكِرَتْ جَمَادٍ

يُرِيدُ قَوْلِي لَهَا : جَمُودًا وَلَا تَقُولِي لَهَا حَمْدًا هَذَا الْمَعْنَى ، وَلَكِنَّ عُدِلَ مُؤَنَّثًا .  
وَهَذَا بَابُ ثَالِثٍ .

وَالْبَابُ الرَّابِعُ أَنْ تُسَمَّى امْرَأَةٌ أَوْ شَيْئًا مُؤَنَّثًا بِاسْمِ تَصَوُّغِهِ عَلَى هَذَا الْمَثَالِ ،  
نَحْوُ رَقَاشٍ وَحَدَامٍ وَقَطَامٍ وَمَا أَشْبَهَهُ ، فِهَذَا مُؤَنَّثٌ مَعْدُولٌ عَنِ رَاقِشَةٍ وَحَازِمَةٍ  
وَقَاطِمَةٍ ، إِذَا سُمِّيَتْ بِهِ . وَأَهْلُ الْحِجَازِ يُجَرُّونَهُ عَلَى قِيَاسِ مَا ذُكِرَتْ ، لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ  
فِي الْأَصْلِ وَسُمِّيَ بِهِ ، فَتُنْقَلُ إِلَى مُؤَنَّثِ كَالْبَابِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ فَلَمْ يَغْيُرْهُ ، فَعَلَى  
ذَلِكَ قَالُوا : اسْقِ رَقَاشٍ إِنَّمَا سَقَايَةٌ ، وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا قَالَتْ حَدَامٌ فَصَدَّ قَوْلَهَا      فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَدَامٌ .

(١) الأَكْسَاءُ : الْمُتَأَخَّرُونَ .

وأما بنو تميم فإذا أزالوه من النعت فسموا به صرفوه في النكرة ، ولم يصرفوه في المعرفة . وسيبويه يختار هذا القول الآخر ، فيقول : هذه رقاشٌ قد جاءت ، وهذه غلابٌ قد جاءت ، وهذه غلابٌ أخرى . ولا اختلاف بين العرب في صرفه إذا كان نكرة ، وفي إعرابه في المعرفة ، وصرفه في النكرة إذا كان اسما للمذكر ، نحو رجل تسميه نزالٍ أو رقاشٍ أو حلاقٍ ، فهو بمنزلة رجل سميت به عناقٍ أو أتانٍ ، لأن التأنيث قد ذهب عنه . فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئا بالفعل الذي هو مأخوذ منه لأعربتته ، نحو أنزل واضرب لو سميت بهما رجلا لجرى مجرى إصبع وأحمد وإمجد ونحو ذلك . فهذا يحيط بجميع هذا الباب .

## الزواج

قالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صعصعة زوّجت في طيِّ :

لا تحمدن الدهرَ أختَ أخاها      ولا تثرين الدهرَ بنتَ لوالدِ  
هم جعلوها حيثُ ليستُ بحجرةٍ      وهم طرحوها في الأقصى الأبعدِ

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « إنما النكاح رِق . فلينظر امرؤ من يُرقُ كريمته » .

وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا : كذا في إملاك فلان ، وفي ملك فلان ، وفي ملك فلان ، وفي ملكة فلان ، وفي ملكان فلان . ويقول الرجل : ملكت المرأة وأملكيتها وثيها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بالنساء فإنهم عندكم عوان » . أى أسيرات .

وقال رجل يذكر امرأة زوّجت من غير كفاء :

لقد فرح الواشون أن نال ثعلباً      شبيهةً ظمّي مُقلتاها وجيدها  
أضربُ بها فقدُ الوليّ فأصبحتُ      بكفٍ لئيمِ الوالدين يقودُها

ولما زوّج إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصارى يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته ، على عشرين ألف درهم ، قال قائل يُعيره :

لعمري لقد جَلَلتَ نفسك خزِيّةً      وخالفتَ فِعْلَ الأكثرين الأكارم  
ولو كانَ جَدَاكَ اللذانِ تتابعَا      بيدِ لَمَّا رامَا صنيعَ الألائم

فقال إبراهيم بن النعمان يرد عليه :

ما تركتُ عشرون ألفا لقائل      مَقَالا فلا تحفلُ ملامةً لائم  
وإن ألكُ قد زوّجتُ مولى فقد مَضتُ      به سُنّة قَبلي وحبُّ الدراهم

وتزوج يحيى بن أبى حفصة ، وهو جد مروان الشاعر ، ويزعم النسابون أن أباه كان يهودياً أسلم على يدى عثمان بن عفان ، وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار فتزوج خوّلة بنت مُقاتل بن طَلبة بن قيس بن عاصم ، سيد أهل الوبر ، ومهرها خرقاً . ففى ذلك يقول القلاخ بن حزن :

لم أرَ أنواباً أجرٌ لحزِيّة      وألأمَ مكُسوا والأمَ كاسيا  
من الخرقِ اللاتى صُبِنَ عليكم      بحجرٍ فكنِ البقياتِ البواليا

فقال يحيى بن حفصة بجيبه :

تجاوزتُ حَزْناً رَغْبَةً عن بناتِهِ وأدركتُ قيساً ثانياً من عنانِنا

يقال ذلك للسابق إذا تقدم تقدماً بَيِّنًا فبلغ الغاية ، فمن شأنه أن يثنى عنانه  
فينظر إلى الخيل .

وقال القلاخ في هذه القصة :

لَبِئْتُ حَوَلةً قَالَتْ حينَ أَنْكَحَهَا :  
أَنْكَحْتَ عَبْدًا يَنْ تَرْجوُ فَضْلَ ما لِمَا  
لِلَّهِ دَرٌّ جِيسادِ أَنْتِ سائِسِها  
لَطالما كنتُ منك العارَ أَنْظُرُ  
في فيك مما رجوتِ الثَّرْبُ والحَجَرُ  
بِرُدَّتِها وبها التَّحْجِيلُ والغَرَرُ (١)

وقال الفرزدق :

ألم تَرَ أَنا بنى دارِمِ  
ومِنّا الذى منع الوائِداتِ  
أَلَسنا بأصحابِ يومِ النَّسارِ  
أَلَسنا الذينَ تَمِيمٌ بهم  
وناجيةَ الخَيرِ والأقْرعانِ  
إذا ما أتى قَبْرَهُ عائدًا  
أَيطلبُ مَجْدَ بنى دارِمِ  
ومَجْدُ بنى دارِمِ دَوْلَهُ  
زُرارةٌ مِنّا أبو مَعْبِدِ  
وأحيا الوَيْدَ فلم تُؤادِ  
وأصحابِ الويةِ المَرِيدِ  
تُسامى وتَفخرُ فى المَشْهَدِ  
وقبْرٍ بِكاظِمةِ المَوْرِدِ  
أناخَ على القَبْرِ بالأسْعَدِ  
عَظِيَّةٌ كالجَعَلِ الأسودِ  
مَكَانُ السَّمائِكَيْنِ والفرْقَدِ

(١) بردتها : جعلتها براذنين ، وهى ما ليس من نتاج العرب من الخيل . والتحجيل :  
البياض فى قوائم الفرس . الفرو : البياض فى مقدم رأسه .

زرارة الذى ذكر : هو زرارة بن عدس ، وكان زرارة يكنى أبا معبد .  
 أما قوله : وما الذى منع الوائدات ، فإنه يعنى جده صعصعة بن ناجية ،  
 وكانت العرب فى الجاهلية تند البنات . ولم يكن هذا فى جميعها ، إنما كان فى تميم  
 ابن مَرٍّ ثم استفاض فى جيرانهم . فهذا قول واحد . وقال قوم آخرون : بل كان فى  
 تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » .  
 فأجدبوا سبع سنين ، حتى أكلوا الوبر بالدم ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ،  
 ودل على ما من أجله قتلوا البنات ، فقال : « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ » ،  
 وقال : « وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ » ، فهذا خبر بين أن ذلك للحاجة .

وقد روى بعضهم أنهم إنما فعلوا ذلك أنفة . وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى  
 أن تميمًا منعت النعمان الإتاوة . فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر ، وكانت  
 للنعمان خمس كتائب : إحداها الوضائع ، وهم قوم من الفرس كان كسرى  
 يضعهم عنده عذة ومددا ، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم ، فإذا كان فى  
 رأس الخول ردّهم إلى أهلهم وبعث بمثلهم ؛ وكتيبة يقال لها الشهباء ، وهى أهل  
 بيت الملك ، وكانوا بيض الوجوه يسمون الأشاهب ؛ وكتيبة ثالثة يقال لها  
 الصنائع ، وهم صنائع الملك ، أكثرهم من بكر بن وائل ؛ وكتيبة رابعة يقال لها  
 الرهائن ، وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهنا عنده ثم يوضع  
 مكافئهم مثلهم ؛ والخامسة دوسر ، وهى كتيبة ثقيلة تجمع فرسانا وشجعانا من كل  
 قبيلة . فأغزاهم أخاه ، وجلّ من معه بكر بن وائل . فاستاق التعم وسبى الدرارى .  
 فوفدت إليه بنو تميم . فلما رآها أحب البقيا ، فأناب القوم وسألوه النساء . فقال  
 النعمان : « كل امرأة اختارت أباه ، ردت إليه ، وإن اختارت صاحبها تركت

عليه « فكلهن اختارت أباهما إلا ابنة لقيس بن عاصم ، فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المُشمَرَج . فندر قيس أن لا تولد له ابنة إلا قتلها ، فهذا شيء يعتلّ به من وأد ، ويقول : « فعلناه أنفة » . وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى في القرآن . وقال ابن عباس رحمه الله في تأويل هذه الآية : « وكانوا لا يُورثون ولا يتخذون إلا من طاعن بالرمح ومنع الحريم » ، يريد الذُّكران .

وروت الرواة أن صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، قال : « يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية أفيئفئني ذلك اليوم ؟ » . قال : « وما عملك ؟ » قال : « أضللتُ ناقينَ عَشْرَ أَوْثِن ، فركبت جملا ومضيت في بُغائِهِمَا <sup>(١)</sup> . فرُفِع لي بيت حَرِيدَة <sup>(٢)</sup> فقصدته . فإذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقين » . فقال : « مانارُهما ؟ » قلت : « ميسم بنى دارم » . فقال : « هما عندي وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك مضر » . فجلست معه لتُخرَجَ إلى ، فإذا عجوز قد خرجت من كسر البيت ، فقال لها : « ما وضعت ؟ فإن كان سَقْبَا شارَكْنَا في أموالنا ، وإن كان حائلا وَ أذْناها » . فقالت العجوز : « وضعت أنثى » ، فقلت : « أتبيعهما ؟ » قال : « وهل تبيع العرب أولادها ؟ » قلت : « إنما أشتري منك حياتها ولا أشتري رِقْها » . قال : « فبيكم ؟ » قلت : « احكمم » ، قال « يا لناقين والجمل » قلت : « ذاك لك على أن يبلغني الجمل وإياها » . ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لي سُنَّة عَلَي أن أشتري كل مَوْءودة بناقين عَشْرَ أَوْثِن وجمل . فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومثما مَوْءودة فقد أنقذتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) بغالهما : طلبهما .

(٢) حريد : منزلة عن الناس .

« لا ينفعك ذلك ، لأنك لم تتبع به وجه الله . وإن تعمل في إسلامك عملا صالحا ،  
نُثب عليه .»

وأما قوله : قبر بكازمة المورد ، فإنه يعني قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية .  
وكان الفرزدق يُجسِر من استجار بقبر أبيه ، وكان أبوه جوادا شريفا . فممن  
استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جعفر بن كلاب ، خافت لما هجا  
الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يسميها ويسبها ، فعادت بقبر أبيه . فلم يذكر لها  
اسما ولا نمبا ، ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب :

عجوزٌ تصلى الخمس عادتُ بغالبٍ      فلا والذي عادت به لا أضيرُها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولي تميم بن زيد القينى السَّند ، دخل البصرة .  
فجعل يُخرج من أهلها من شاء . فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت : « إنى  
استجرت بقبر أبيك » ، وأتت منه بخصيات . فقال لها : « وما شأنك ؟ » فقالت :  
« إن تميم بن زيد خرج باین لی معه ، ولا قرّة لعینى ولا كاسب لی غیره » . فقال  
لها : « وما اسم ابنك ؟ » فقالت : « خنيس » فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض  
من شخص :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى      بظهرٍ فلا يعيا على جوابها  
وهب لي خنيسا واحتسب فيه مئة      لغيره أم ما يسوغ شرابها  
أتنى فعادت يا تميم بغالب      وبالحفرة الساق عليها تراها  
وقد علم الأقسام أنك ماجد      وليت إذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم فقال : « أحبيش أم خنيس » ثم قال : « انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا » ، فأصيب ستة ما بين حبيش وخنيس فوجه بهم إليه .

ومنهم مكائب لبني متفرّ ظلع بمكاتبته <sup>(١)</sup> . فأتى قبر غالب فاستجار به . وأخذ منه حصيات فشدّهنّ في عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره ، وقال : « إني قد قلت شعرا » فقال : « هاته » فقال :

بَقِيرُ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٍ عُدْتُ بَعْدَهَا	خَشِيَتْ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرْدَّ عَلَى قَسْرِ
بَقِيرِ امْرِئٍ تَقْرِي الْمَيْنَ عِظَامُهُ	وَلَمْ يَكْ إِلَّا غَالِبًا مَيْتٌ يَقْرِي
فَقَالَ لِي : اسْتَقْدِمِ أَمَامَكَ إِنَّمَا	فَكَأَنَّكَ أَنْ تَلْقَى الْفِرْزَدِقَ بِالْمَصْرِ

فقال له الفرزدق : « ما اسمك ؟ » قال : « لَهْلَم » . قال : « يالهلم ، حُكْمُكَ مُسَمِّطًا » . قال : « ناقة كَوْمَاءِ سِوَاءِ الْحَدَقَةِ » قال : « يا جارية اطرحي إلينا حَبْلًا » ثم قال « يا هُلم ، اخرج بنا إلى المرید فألقه في عنق ما شئت » . فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل في عنق ناقة . وجاء صاحبها ، فقال له الفرزدق : « اغْدُ عَلَيَّ قِي ثَمْنَهَا » . فجعل هُلم يقودها والفرزدق يسوقها ، حتى إذا نفذ بها من البيوت إلى الصحراء صاح به الفرزدق : « يالهلم قَبِحَ اللهُ أَخْسَرَنَا ! » .

(١) المكاتب : العبد الذي تعهد كتابة أن يدفع لسادته مبلغا من المال نظير حريته . وظلع

بمكاتبته : عجز عنها .

## الخداع

يروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بويج له على عهده ، فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه : « يا أمير المؤمنين ، والله ما ندرى : أنخدع الناس أم يخدعوننا ؟ » فقال له معاوية : « كل من أردت خديعته فتخدع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته » .

## سفارات

لما وجّه عبد الملك الشَّعْبِيُّ إلى صاحب الروم فكلمه ، قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما : « أضمن أهل بيت المملكة أنت ؟ » قال الشعبي : « لا ولكني رجل من العرب » فكتب معي رقعة وقال لي : « إذا أديت جواب ما جئت له ، فأذ هذه الرقعة إلى صاحبك » . فلما رجعت إلى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخبرته بما دار بيننا فمضت . ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها إليه . فلما وليت دعاني فقال لي : « أتدرى ما في هذه الرقعة ؟ » . قلت : « لا » قال : « فيها : العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا أمورهم غيره » . فلما وليت دعاني فقال لي : « أتدرى ما أراد بهذا ؟ » . قلت : « لا » . قال : « حسدني عليك فأراد أن أقتلك » . فقلت : « إنما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يرك » . فرجع الكلام إلى ملك الروم ، فقال : « لله أبوه ، ما عدا ما في نفسي » .

وحدّثت أن معاوية كان إذا أتاه عن بطريقٍ من بطارقة الروم كيد للإسلام، احتال له . فأهدى إليه وكتبه حتى يُغري به ملك الروم . فكانت رسله تأتيه

فتخبره بأن هناك بطريقا يؤذى الرُّسُلَ ويطعن عليهم ويسىء عشرتهم . فقال معاوية : « أى ما فى عمل الإسلام أحبّ إليه ؟ » فقيل له : « الخفاف الحمرو وذهن البان » . فألطفه بما حتى عرفت رسله باعتياده . ثم كتب إليه كتابا كأنه جواب كتاب منه ، يعلمه فيه أنه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم ، وأمر الرسول بأن يتعرض لأن يُظَهَرَ على الكتاب . فلما ذهبت رسله فى أوقاتها ثم رجعت إليه ، قال : « ما حدث هناك ؟ » . قالوا : « فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا » . فقال : « وأنا أبو عبد الرحمن ! » .

وحُدِّثت أن ملك الروم فى ذلك الأوان وجّه إلى معاوية : « إن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ، ويجهد بعضهم فى أن يُغْرِبَ على بعض . أفتأذن فى ذلك ؟ » . فأذن له . فوجه إليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أَيْدٍ<sup>(١)</sup> . فقال معاوية لعمرو : « أما الطويل فقد أصبنا كفاه ، وهو قيس بن سعد بن عبادة وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه » . فقال : « ههنا رجلان كلاهما إليك بغىض : محمد بن الحَنْفِيَّةَ وعبد الله بن الزبير » . فقال معاوية : « من هو أقرب إلينا على كل حال » . فلما دخل الرجلان ، وجه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه . فدخل قيس فلما مَثَلَ بين يدى معاوية ، نزع سراويله فرمى بها إلى العليج فلبسها، فنالت نَنْدَوْتَهُ<sup>(٢)</sup> . ثم وجه إلى محمد بن الحنفية فدخل فخبر بما دعى له ، فقال : « قولوا له : إن شاء فليجلس وليُعْطِنِي يده حتى أقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد » . فاختر الرومى الجلوس فأقامه محمد ،

(١) الأيد : القوى .

(٢) الندوة : حلمة الثدي .

وعجز لغيره عن إقاعده ، ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد فجدبه وأقعدده ، وعجز الرومى عن إقامته . فانصرفا مغلوبين .

وحدثني أحد الهاشميين أن ملك الروم وجه إلى معاوية بقرورة ، فقال : « ابعث إلى فيها من كل شيء » . فبعث إلى ابن عباس ، فقال : « لئملأ له ماء » . فلما ورد بها على ملك الروم ، قال : « لله أبوه ، ما أدهاه » . فقيل لابن عباس : « كيف اخترت ذلك ؟ » . فقال : « لقول الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ » .

وقيل لرجل من بني هاشم ، وهو جعفر بن محمد ، وكان يقدم في معرفته : « ما طعم الماء ؟ » . فقال : « طعم الحياة » .

وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيذا . وجاءته عجوز قد كانت تألفه ، فقال لها : « كيف حالك ؟ » فقالت : « ما في بيتي جُرذ » . فقال : « ما أحسن ما سألت أ أمّا والله لأكثرن جُرذان بيتك » .

وكان سعد بن عبادة حيث توجه إلى حوران قسم ماله بين ولده . وكان له حمل لم يشعر به . فلما ولد له قال له عمر بن الخطاب يعنى قيسا : « لأنقضن ما فعل سعد » . فجاءه قيس فقال : « يا أمير المؤمنين ، نصيبى لهذا المولود ولا تنقض ما فعل سعد » .

## أولاد الإماء

قال السُّلَيْكُ بنُ السُّلُكَةِ ، وهى أمه ، وكانت سوداء حبشية ، وكان من  
غربان العرب ، وهو السُّلَيْكُ بنُ عُمَيْرِ السُّعْدِيِّ :

أَلَا عَتَبْتُ عَلَى فِصَارِ مِثْنِي	وَأَعْجَبَهَا ذُرُورَ اللَّيْمِ الطَّوَالِ
فَإِنِّي يَا بِنْتَ الْأَقْوَامِ أَرْبِي	عَلَى فِعْلِ الْوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ
فَلَا تَصَلِي بِصَعْلُوكِ نَوْمِ	إِذَا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ الرِّجَالِ
وَلَكِنْ كُلُّ صَعْلُوكِ ضُرُوبِ	بِنَصْلِ السِّيفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ
أَشَابَ الرَّأْسَ أُنَى كُلِّ يَوْمِ	أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَّ الرِّحَالِ
يَشْتَقُّ عَلَى أَنْ يَلْقَيْنَ ضَمِيمَا	وَيَعْجِزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي

قوله : وأعجبها ذور الليم الطوال ، يعنى الجُمَم . وقوله : على فعل الوضى  
من الرجال ، يريد الجميل . وقوله : تصلى بصعلوك ، يقول : لا تتصلى به . وإنما  
توجع لخالاته لأنهن كنَّ إماء .

ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمَّ لنا قال : كنت أجالس سعيد بن  
المسيب فقال لى يوما : « من أخوالك ؟ » . فقلت : « أمى فتاة » . فكأنى نقصت  
لى عينه . فأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله .  
فلما خرج من عنده ، قلت : « يا عم من هذا ؟ » فقال : « يا سبحان الله !  
أتجهل مثل هذا من قومك ؟ هذا سالم بن عبد الله » . قلت : « فمن أمه ؟ » قال :  
« فتاة » . ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رحمه الله ، فجلس  
عنده ثم هض فقلت : « يا عم من هذا ؟ » . فقال : « أتجهل من أهلك مثله ؟ ما

أعجب هذا ! هذا القاسم بن محمد . قلت : « فمن أمه ؟ » . قال : « فتاة » .  
فأمهلت شيئا حتى جاءه على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسلم  
عليه ثم هض فقلت : « يا عم من هذا ؟ » . قال : « هذا الذي لا يسع مسلما أن  
يجهله . هذا علي بن الحسين » . قلت : « فمن أمه ؟ » . قال : « فتاة » . قلت :  
« يا عم رأيتني نقصت في عينك لما علمت أنني لأمّ ولد ، أتمالي في هؤلاء  
أسوة ؟ » . فجللت في عينه جدا . وكانت أم علي بن الحسين سُلَاقَة من ولد  
يَزْدَ جرد معروفة النسب ، وكانت من خيرات النساء .

وقال رجل من ولد الحكم بن أبي العاص ، يقال له عبيد الله بن الحر ،  
وكان شاعرا متقدما ، وكان لأم ولد :

فإن تك أُمى من نساء أفاءها  
فتبًا لفضل الحرّ إن لم أكل به  
جواد القنا والمرهقات الصّفائح  
كرائم أولاد النساء الصّرائح

وإنما أخذ هذا من قول عنترة :

وأنا امرؤ من خير عبس منصبا  
شطري وأحمي سائري بالمتصل

وأنشد لبلال بن جرير ، وبلغه أن موسى بن جرير كان إذا ذكره نسبه إلى أمه  
لأنه ابن أم ولد ، فيقول : « قال ابن أمّ حكيم » . فقال بلال :

ياربّ خال لي أغرّ أبلجبا  
من آل كسرى يفتدى متوجبا  
ليس كخال لك يدعى عشنجبا

والعشنج : المتقبض الوجه السيء المنظر ، وكان سبب أم بلال عند جرير ،  
 أن جريرا في أول دخوله العراق دخل على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفى ،  
 وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة . وفي ذلك يقول جرير :

أقبلن من نهلانٍ أو وادى خيمٍ  
 على قلاصٍ مثل خيطان السلم<sup>(١)</sup>  
 إذا قطعن علما بدا علم  
 حتى أنخناها إلى باب الحكم  
 خليفة الحجاج غير المتهم  
 في ضنضىءِ انجد وبتجوح الكرم<sup>(٢)</sup>

فكتب الحكم بعد أن فاطنه<sup>(٣)</sup> إلى الحجاج ، وذلك في أول سببه : «إنه  
 قدم على أعرابي باقعة<sup>(٤)</sup> لم أر مثله » . فكتب إليه الحجاج أن يحمله معه . فلما  
 دخل عليه ، قال له : « بلغنى أنك ذو بديهة ، فقل فى هذه الجارية » ، لجارية قائمة  
 على رأسه . فقال جرير : « مالى أن أقول فيها حتى أتأملها ، ومالى أن أتأمل جارية  
 الأمير » . فقال : « بلى فتأملها واسألها » ، فقال لها : « ما اسمك يا جارية »  
 فأمسكت . فقال لها الحجاج : « خبريه يا لخناء » . فقالت : « أمامة » .  
 فقال جرير :

(١) القلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة . والخيطان : جمع خيط ، وهو الجماعة .

والسلم : نوع من الشجر يدبغ به .

(٢) ضنضىء : أصل . وبتجوح الكرم : الواسع منه الغزير .

(٣) فاطنه : اختبر لفظته وعرفها .

(٤) باقعة : داهية .

إِنَّ الْوَدَاعَ لَمَنْ يُحِبُّ قَلِيلُ  
فَالرَّيْحُ لَجَبْرُ مَتْنِهِ وَتَهْيِيلُ  
وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ  
مِثْلَ الْكَثِيبِ تَمَائِلَتْ أَعْطَافُهُ  
هَذِي الْقُلُوبُ صَوَادِيَا تَيْمِثُهَا

فقال له الحجاج : « قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها هي لك » . فضرب بيده إلى يدها فتمنعت عليه فقال :

إِنْ كَانَ طَبَعُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ  
حَسَنَ دَلَالِكَ يَا أَمَامَ جَمِيلُ

فاستضحك الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة . وخبرت أنها كانت من أهل الرى ، وكان إخوتها أحرارا ، فاتبعوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل . ففى ذلك يقول :

إِذَا عَرَضُوا عَشْرِينَ أَلْفًا تَعَرَّضْتُ  
لَقَدْ زِدْتَ أَهْلَ الرِّىِ عِنْدِي مَوْدَةَ  
لَأُمِّ حَكِيمٍ حَاجَةٌ هِيَ مَا هِيََا  
وَحَبِيبٌ أضعَافًا إِلَى المَوَالِيَا

فأولدها حكيمًا وبلالا وحزرة بنى جرير ، هؤلاء من أذكر من ولدها . ويقال : إن الحماني قائل بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر ، فقال : « يا ابن أم حكيم » . فقال له بلال : « ما تذكر من ابنة دهقان ، وأخيدة رماح وعطية ملك . ليست كاملت التي بالمروث تغدو على أثر ضأنها كأنما عبقباها حافرا حمار » . فقال له الحماني : « أنا أعلم بأمك إنما عتب عليها الحجاج في أمر ، الله أعلم به ، فحلف أن يدفعها إلى ألام العرب . فلما رأى أباك لم يشكك فيه » .

وَأُنشِدَتْ لِرَجُلٍ مِنْ رُجَّازِ بْنِ سَعْدٍ :

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمَ

فَأَنَا فِيهَا شَتَّى مِنْ خَالٍ وَعَمِّ

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ليس قوم أكيس من أولاد السُراري لأهم يجمعون عزَّ العرب ودهاء العجم » .

وكتب أمير المؤمنين المنصور إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب رحمه الله ، لما كتب إليه محمد : « واعلم أني لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللُعاء ، ولا أعرفت في الإمام ، ولا حَضَنْتِي أمهات الأولاد ولقد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني من قِبَلِ جَدِّي الحسن والحسين » . يعني أن أم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وأن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم . فكتب إليه المنصور : « أما ما ذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين ، وولادة عبد المطلب الحسن مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلد هاشم إلا مرة واحدة ، وله السبق إلى كل خير . ولقد علمت أنه بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة : فأمن به اثنان أحدهما أبي ، وكفر به اثنان أحدهما أبوك . وأما ما ذكرت أنه لم تُفرق فيك الإمام ، فقد فخرت علي بن هاشم طرا ، وأهم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم علي بن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود مثله » . وهذه رسالة للمنصور طريفة مستحسنة جدا .

وَأُنشِدُنِي الرَّيَاشِيَّ :

إِنَّ أَوْلَادَ السَّرَارِي      كَثُرُوا يَارِبُ فِينَا  
رَبِّ أَدْخِلْنِي بِلَادَا      لَا أَرَى فِيهَا هَجِينَا

والمهجين عند العرب الذى أبوه شريف وأمه وضيفة ، والأصل فى ذلك أن تكون أمة ، وإنما قيل هجين من أجل البياض . وإذا كانت الأم كريمة والأب خسيسا قيل : المذرُوع ، وإنما سمي مذرعا للرقمَتين فى ذراع البغل ، وإنما صارنا فيه من ناحية الحمار .

## مصعب وابنه

يروى عن رجل من بنى أسد بن عبد العزى أنه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان . فلما نُصِّت عليه طلقها على المنصّة . فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير فقال : «إن عمرو بن عثمان طلق ابنتى على المنصّة ، وقد ظنّ الناس أن ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل إليها» . فقال عبد الله : «أو خيرا من ذلك ، جيتونى بالمصعب» . فخطب عبد الله فزوجها من المصعب ، وأقسم عليه ليدخلن بها فى ليلته . فلا تعرف امرأة نُصِّت على رجلين فى ليلتين ولاء غيرها . فأولدها المصعب عيسى وعُكاشة . فلما كان يوم مَسْكَن ، وهرب أكثر الناس عن المصعب ، دخل إلى سَكِينة ابنة الحسين بن على ، وكانت له شديدة المحبة ، وكانت تخفى ذلك . فلبس غلالة ، وتوشح عليها ، وانتضى السيف . فلما رأت ذلك علمت أنه عزم ألا يرجع . فصاحت من ورائه : «واحرَبَاهُ» . فالتفت إليها فقال : «أو هذا لى فى قلبك ؟» . فقالت : «أى والله وأكثر من هذا» . فقال : «أما لو علمت

لكان لي ولك شأن» . ثم خرج فقال لابنه عيسى : «يا بني انجُ إلى نجائك فإن القوم لا حاجة لهم إلى غيري ، وستفلت بحيلة أو بقيا» . فقال : «يا أبتاه ، لا أحدثُ والله عنك أبدا» . فقال : «أما والله لئن قلتَ لَمَّا زلتَ أتعرف الكرم في أسراك وأنت تُقلِّب في مهديك» . فقتل بين يدي أبيه .

## الكرم

قال عبد الله بن العباس : «ما رأيت أحدا أسعفته في حاجة إلا أضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيت رجلا رددته عن حاجة إلا أظلم ما بيني وبينه» .

وقال عبد الله بن همام السُّلُوي :

فأخلف وأتلفَ إنما المال عارَةٌ      فكلُّهُ معَ الدهر الذي هو آكلُهُ  
فأهون مفقودٍ وأيسرُ هالكٍ      على الحيِّ من لا يبلغ الحيَّ نائلُهُ

وقد قيل لعلی بن الحسين ، وكان بينَ الفضل رحمه الله : «ما بالك إذا سافرت كنتم نسبك أهل الرفقة ؟» . فقال : أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أعطى مثله . وإنما يعترى هذا الباب من الظلم وقلة الإنصاف والبعد من الرقة عليهم الجهلة من أهل هذا النسب ، والله جل ذكره يقول لنيه صلى الله عليه وسلم : «بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ» ، وقال تعالى : «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» فإذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخاف من المعصية فكيف يأمنها غيره به .

وكان يقال : من عرف حق أخيه دام له إخاؤه ، ومن تكبر على الناس ،  
ورجا أن يكون له صديق فقد غرّ نفسه .

وقيل : ليس لِلْجُوجِ تدبير ، وَلَا لِسِيءِ الخلق عيش ، ولا لمتكبر صديق .

وقيل : من بسط بالخير لسانه انبسطت في القلوب محبته ، والمثمة تفسد  
الصنيعة .

ويروى أن شاعرا أتى أبا البختري وهب بن وهب ، وكان من أجود الناس ،  
وكان إذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور في جوانحه وأعطى وزاد ،  
فأتاه هذا الشاعر فأنشده :

لكل أخى فضل نصيب من العلا      ورأس الغلا طراً عقيد الندى وهب  
وماضراً وهبا قول من غمط العلا      كما لا يضمر البدر ينبحة الكلب

فثنى له الوسادة وهش إليه ورّفده وحمله وأضافه . فلما أن أراد الرجل  
الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختري ولا عقّد له ولا حلّ معه . فأنكر  
ذلك مع جميل ما فعل به ، وأنه قد تجاوز به أمله . فعاتب بعضهم فقال له الغلام :  
« إنا إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق » . فبلغ هذا  
الكلام جليلا من القرشيين فقال : « وَاللّهِ لَفِعْلُ هؤُلاءِ العبيد على هذا القصد  
أحسن من رّفد سيدهم » .

## مجلس عبد الملك بن مروان

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه ، وكان يجتنب غير الأدباء : « أي المناديل أفضل ؟ » فقال قائل منهم : « مناديل مصر كأنها غرقىء البيض » ، وقال آخر : « مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع » . فقال عبد الملك : « ما صنعتما شيئا ، أفضل المناديل ما قال أخو تميم » يعنى عبدة بن الطيب :

لما نزلنا نصبنا ظِلًّا أَخْبِيَّةِ	وفار للقوم باللحم المراجيلُ
وَرَدًّا وَأَشْقَرًا مَا يُؤْنِيهِ طابِخُهُ	ما غَيْرَ الْفَلْيُ مِنْهُ فَهُوَ مَا كَوَّلُ
ثُمَّتْ قُمْنًا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ	أَعْرَافَهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

قوله : غرقىء البيض ، يعنى القشرة الرقيقة التى تتركب البيضة دون قشرها الأعلى ، وقشرها الأعلى يقال له القَيْض . وقوله : وَرَدًّا وَأَشْقَرًا ما يؤنيه طابخه يقول : ما تغير من اللحم قبل نضجه . وقوله : ما يؤنيه طابخه ، يقول : ما يؤخره لأنه لو أناه لأنضجه ، لأن معنى أناه بلغ به إناه أى إدراكه ، قال الله عز وجل : « إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءُ » . وقوله : مسومة ، تكون على ضربين : أحدهما أن تكون مُعْلَمَةً ، والثانى أن تكون قد أُسِمَتْ فى المَرْعى ، وهى ههنا معلمة .

### كثير عزة

حدثت أن عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أتى المدينة فأقام بها . ففى ذلك يقول :

يا خليلي قد مللت فوائى  
بالمصلى وقد شئت البقيعا

فلما أراد الشخصوص شخص معه الأحوص بن محمد ، فلما نزلا ودان صار إليهما نصيب . فمضى الأحوص لبعض حاجته فرجع إلى صاحبيه ، فقال : «إني رأيت كثيراً بموضع كذا» . فقال عمر : «فابعثوا إليه ليصير إلينا» . فقال الأحوص : «أهو يصير إليكم ؟ هو والله أعظم كثيراً من ذلك» . قال : «فإذا نصير إليه» . فصاروا إليه وهو جالس على جلد كبش ، فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشى . ثم أقبل على القرشى فقال : «يا أخا قریش ، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك ، ولكن خبرني عن قولك :

قالت لها أختها تعاتبها	لا تُفسِدِن الطوافَ في عُمرِ
قومي تصدئي له ليُنصِرنا	ثم اغمِزِيه يا أختُ في خَفَر
قالت لها قد غمزته فأبى	ثم استبَطَرْتِ تشتد في أُنْرى

والله لو قلت هذا في هرة ما عدا ، أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك أهكدا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بالخفر وأما مطلوبة ممتعة . هلاً قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص :

أدورُ ولو لا أن أرى أم جعفر	بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
وما كنت زوّارا ولكن الهوى	إذا لم يُزِرْ لا بد أن سيزور
لقد منعتُ معروفها أم جعفر	وإني إلى معروفها لفقير

فامتأ الأحوص سرورا . ثم أقبل عليه فقال : يا أحوص ، خبرني عن قولك :  
 فإن تصلي أصلك وإن تعودى هُجر بعد وصلك لا أبالي

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت ، هلا قلت مثل ما قال هذا .  
وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألمِمَ قَبْلَ أَنْ يَطْعَنَ الرَّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ

فانتفخ نصيب . ثم أقبل عليه فقال : « ولكن أخبرني عن قولك يا أسود :

أهيمُ بدغدِ ما حَيِّتُ وَإِنْ أُمْتُ فواحزنا من ذا يهيمُ بها بعدى ؟

كأنك اغتممت أن لا يُفعلُ بها بعدك » . فقال بعضهم لبعض : « قوموا فقد  
استوت القرفة » . وهي لعبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها .

وحَدَّثت أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان ، وعنده الأخطل ،  
فأنشده . فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال : « كيف تـمـرى ؟ » فقال :  
« حجازي مُجَوِّعٌ مَقْرورٌ ، دعني أضغمةُ يا أمير المؤمنين » . فقال كثير : « من  
هذا يا أمير المؤمنين ؟ » . فقال له : « هذا الأخطل » . فقال له كثير : « مهلا !  
فهلا ضغمت الذي يقول :

لا تَطْلُبَنَّ خُـؤُولَةَ فِي تَغْلِبِ فَالزَّلْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوَالا  
والتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَنَحَّجَ لِلقِرَى حَكَ اسْتَهْ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثِالا

فسكت الأخطل فما أجابه بحرف » .

## نصيب

خُبِرْتُ أَنْ لُصِيًّا نَزَلَ بِامْرَأَةٍ تُكْنَى أُمَّ حَبِيبٍ مِنْ أَهْلِ مَلَلٍ ، وَكَانَتْ تُضَيِّفُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَتَقْرِي ، وَلَا يَزَالُ الشَّرِيفُ قَدْ نَزَلَ بِهَا فَأَفْضَلَ عَلَيْهَا الْفَضْلَ الْكَثِيرَ ، وَلَا يَزَالُ الشَّرِيفُ مَنْ لَمْ يَحْتَلْ بِهَا يَتَنَاوَلُهَا بِالْبِرِّ لِيَعِينَهَا عَلَى مُرُوءَتِهَا . فَتَزَلُ بِهَا نَصِيبٌ وَمَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ قَرِيشٍ . فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّحْلَةَ عَنْهَا وَصَلَهَا الْقَرَشِيَّانِ ، وَكَانَ لُصِيبٌ لَا مَالَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَقَالَ لَهَا : «إِنْ شِئْتَ فَلِكِ أَنْ أَوْجَّهَ إِلَيْكَ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاكَ أَحَدَهُمَا ، وَإِنْ شِئْتَ فَلْتُ فِيكَ شِعْرًا» . فَغَزَلَتْ أُمَّ حَبِيبٍ فَقَالَتْ : «بَلِ الشَّعْرُ» . فَقَالَ :

وَأَنَا لَمْ تَكُنْ مَنَا غَدَا بِقَرِيبٍ	أَلَا حَتَّى قَبْلَ الْبَيْنِ أُمَّ حَبِيبٍ
فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبٍ	وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَنْيَّ أَحَبُّكَ صَادِقًا
غَرِيبُ الْهَوَى وَآهَاهَا لِكُلِّ غَرِيبٍ	تَهَامٌ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ

وَحَدَّثْتُ أَنَّ نَصِيبًا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ فَأَنشَدَهُ . فَاسْتَحْسَنَ عَبْدَ الْمَلِكِ شِعْرَهُ وَسُرِّبَهُ فَوَصَلَهُ . ثُمَّ دَعَا بِالْغَدَاءِ فَطَعِمَ مَعَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : «يَا نَصِيبُ ، هَلْ لَكَ فِيمَا يُتَنَادَمُ عَلَيْهِ ؟» فَقَالَ : «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَأَمَّلْنِي» قَالَ : «قَدْ أَرَاكَ» . فَقَالَ : «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جِلْدِي أَسْوَدٌ ، وَخَلَقْتَنِي مَشْوَاهُ ، وَوَجْهِي قَبِيحٌ ، وَلَسْتُ فِي مَنْصَبٍ ، وَإِنَّمَا بَلَغْتُ بِمَجَالِسَتِكَ وَمُؤَاكَلَتِكَ عَقْلِي . وَأَنَا أَكْرَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهِ مَا يَنْقُصُهُ» . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ ، فَأَعْفَاهُ .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحِجَابِ فِي وَفْدَةٍ وَفَدَّهَا عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَكَلَا : «هَلْ لَكَ فِي الشَّرَابِ ؟» فَقَالَ : «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ بِحَرَامٍ مَا أَحَلَّتْهُ ، وَلَكِنِّي

أمنع أهل عملى منه وأكره أن أخالف قولَ العبدِ الصالح : وما أريد أن أخالفكم إلى ما أمركم عنه . فاعفاه .

وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب : « أمدحتَ فلانا ؟ » لرجل من أهله . فقال : « قد فعلت » . قال : « أو حرمك ؟ » قال : « قد فعل » . قال : « فهلاً هجوته » . قال : « لم أفعل » . قال : « ولم ؟ » قال : « لأنى كنتُ أحق بالهجاء منه ، إذ رأيتَه موضعاً لمدحى » . فأعجب به مسلمة . فقال : « اسألنى » قال : « لا أفعل » قال : « ولم ؟ » فقال : « لأن كفك بالعطية أجود من لسانى بالمسألة » فوهب له ألف دينار .

وحُدث أن الكميت بن زيد أنشد نصيباً فاستمع له . فكان فيما أنشده :

وقد رأينا بها حورا مُنعمَةً      بيضا تكاملَ فيها الدُّلُ والشَّنْبُ<sup>(١)</sup>

فثنى نصيب خنصره . فقال له الكميت : « ما تصنع ؟ » فقال : « أحصى خطأك » . تباعدتَ في قولك : تكاملَ فيها الدل والشنب ، هلا قلتَ كما قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوّة لَعَسَ      وفي اللثاتِ وفي أنيابها شَنبُ<sup>(٢)</sup>

ثم أنشده في أخرى :

كَأَنَّ القَطَامِطَ من جَرِيهَا      أَرَجِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارَا<sup>(٣)</sup>

(١) الدل : الدلال . والشنب : عدوبة الأسنان وركتها .

(٢) لمياء : سوداء الشفة . والحوة واللّس : حمرة تضرب إلى مواد قليلا .

(٣) الغطامط : جمع غطمطة ، وهى اضطراب أمواج البحر .

فقال له نصيب : « ما هجت أسلم غفارا قط » . فاستحيا الكميت فسكت .  
والذى عابه نصيب من قوله تكامل فيها الدل والشنب قبيح جدا ، وذلك أن  
الكلام لم يجر على نظم ، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها . وأول ما يُحتاج  
إليه القول أن يُنظَّم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة .

وخبّرت أن عمر بن لَجَأ قال لابن عم له : « أنا أشعر منك » . قال له :  
« وكيف ؟ » قال : « لأنى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه » .

وأشُد عمرو بن بحر :

وشِعْر كَبِعْرِ الكَبِشِ فَرَقٌ بَيْنَهُ      لِسَانُ دَعِيٍّ فِي القَرِيضِ دَخِيلِ

وبعير الكبش يقع متفرقا . فمن ذلك قول ابنة الخطينة له لما نزل في بني  
كليب بن يربوع : « تركت الثروة والعدد ونزلت في بني كليب : بعير الكبش » .

## أَقْوَالٌ سَيَّارَةٌ

يروى أن عائشة رجمها الله نظرت إلى رجل مُتماوت ، فقالت : « ما هذا ؟ » .  
فقالوا : « أحد القراء » . فقالت : « قد كان عمر بن الخطاب قارئنا ، فكان إذا  
قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع » .

ويروى أن عمر بن الخطاب رجمه الله نظر إلى رجل مُظهر للنسك متماوت ،  
فخفقه بالدرّة وقال : « لا تُمت علينا ديننا أمانك الله » .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْحَسَنَ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : « إِنْ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ  
لَجَدِيرٍ بَأَن يُزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنْ أَمْرًا هَذَا أَوَّلُهُ لَجَدِيرٍ أَن يُخَافَ آخِرُهُ » .

وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَجَمِ فِي عِلْتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا : « مَا بَكَ ؟ » قَالَ :  
« فَكَّرْتُ عَجِيبًا ، وَحَسْرَةً طَوِيلَةً » . فَقِيلَ : « مِمَّ ذَاكَ ؟ » فَقَالَ : « مَا ظَنَنْتُمْ  
بِمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا قَفْرًا بِلَا زَادٍ ، وَيَسْكُنُ قَبْرًا مَوْحِشًا بِلَا مَوْسٍ ، وَيَقْدُمُ عَلَى حَكْمِ  
عَادِلٍ بِلَا حِجَّةٍ » .

## الإخوان

قِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : « أَيُّ إِخْوَانِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ » فَقَالَ : « الَّذِي يَسُدُّ  
خَلْلِي ، وَيَغْفِرُ زَلْلِي ، وَيَقْبَلُ عَلْلِي » .

وَاتَّفَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَدِيقًا لَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ :  
« أَيْنَ كَانَتْ غَيْبَتُكَ ؟ » فَقَالَ : « خَرَجْتُ إِلَى غُرُضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ مَعَ  
صَدِيقٍ لِي » . فَقَالَ لَهُ : « إِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ صَحْبَةِ الرِّجَالِ بُدًّا ، فَعَلَيْكَ بِصَحْبَةٍ مِنْ  
إِنْ صَحْبَتَهُ زَانِكٌ ، وَإِنْ خَفَقَتْ لَهُ صَانِكٌ ، وَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَيْهِ مَانِكٌ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ  
رَأَى مِنْكَ خَلَّةً سَدَّهَا أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وَإِنْ وَعَدَكَ لَمْ يُجْرِضْكَ <sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ كَثُرَتْ  
عَلَيْهِ لَمْ يَرْفُضْكَ ، وَإِنْ سَأَلَتْهُ أَعْطَاكَ ، وَإِنْ أَمْسَكَتْ عَنْهُ ابْتَدَاكَ » .

(١) مَانِكٌ : احتمال متونتك .

(٢) يَجْرِضُكَ : يَجْهَدُكَ بِكَثْرَةِ الْوَعُودِ .

## الجود

امتدح نصيب عبد الله بن جعفر فأمر له بجئيل وإبل و أثاث و دنانير و ذراهم .  
فقال له رجل : «أمثل هذا الأسود يعطى مثل هذا المال ؟ ا» . فقال له عبد الله  
ابن جعفر : «إن كان أسود فإن شعره لأبيض ، و إن ثناء لعربي ، و لقد استحق  
بما قال أكثر مما نال . و هل أعطياته إلا ثيابا تبلى ، و مالا يفنى ، و مطايا تُنضى<sup>(١)</sup> ،  
و أعطانا مدحا يُروى ، و ثناء يبقى » .

وقيل لعبد الله بن جعفر : «إنك لتبذل الكثير إذا سُئلت ، و تضيّق في القليل  
إذا تُوجرت » . فقال : «إني أبذل مالي و أضنّ بعقلي » .

وقيل ليزيد بن معاوية : «ما الجور ؟» فقال : «إعطاءُ المال من لا تعرف فإنه  
لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف » .

وقيل لخُرَيم المُرَيّ ، وهو المنبئُ بخُرَيم الناعم : «ما النعمة ؟» فقال : «الأمن  
فإنه ليس لخائف عيش ، والغنى فإنه ليس لفقير عيش ، والصحة فإنه ليس لسقيم  
عيش » ، قيل : «ثم ماذا ؟» قال : «لا مزيد بعد هذا » .

وقال سَلَمُ بن قُتَيْبَةَ : «الشباب الصحة ، والسلطان الغنى ، والمروءة الصبر  
على الرجال » .

(١) تنضى : تزل من كثرة ركوبها .

وقال المهلب بن أبي صفرة : «العجب لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه» .

وقال خالد بن عبد الله القسري : «محض الجود ما لم تسبقه مسألة ، وما لم يتبعه مَنْ ، ولم يُزْرَ به قِصْرٌ ، ووافق موضع الحاجة» .

وقال بعض المُخَدِّثِينَ ، وهو الطائي :

أسأَلْ نُصْرَ لَا تَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ      أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّقْدِ

ودخل النَّخَارُ الْعُدْرِيَّ عَلَى معاوية في عِبَاءة فاحتقره . فرأى ذلك النَّخَارُ في وجهه ، فقال له : «يا أمير المؤمنين ، ليست العِبَاءة تكلمك ، إنما يكلمك من فيها» ثم تكلم فملاً سَمَعَهُ ثم نُهَضَ ولم يسأله ، فقال معاوية : «ما رأيت رجلاً أَحَقَرَ أَوْلَا ولا أَجَلَ آخِرًا مِنْهُ» .

ودخل محمد بن كعب الْقُرْظِيُّ عَلَى سليمان بن عبد الملك في ثياب رَثَّة . فقال له سليمان : «ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب ؟» فقال : «أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسي ، أو أقول الفقر فأشكروني» .

ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكُدْنة <sup>(١)</sup> فقال : «يا هذا ، إني لأرى عليك قَطِيفَةً مُحْكَمَةً من كَسَجِ أَضْرَاسِكَ» .

(١) ضخامة الجسم .

## الجود والبخل

قال رجل من المتقدمين ، وهو قيس بن عاصم المنقري :

أيا أبنة عبد الله وأبنة مالك      ويابنة ذى البردين والفرس الوردي  
إذا ما أصبت الزاد فالتمسى له      أكيلا فإني لست أكله وحدي  
قصيا كريما أو قريبا فإني      أخاف مذقات الأحاديث من بعدي  
وإني لعبد الضيف ما دام ثاويها      وما من خلالي غيرها شيمة العبد

## الصدق

يروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقام رجل منهم فقال: «أصلح الله الأمير ، إن لي عليك حقاً». قال: «وما حَقُّك ؟» . قال : «سبَّك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه» . قال : «من يعلم ذاك ؟» . قال : «أنشد الله رجلاً سمع ذاك إلا شهد به» . فقام رجل من الأسراء فقال : «قد كان ذاك أيها الأمير» . قال : «خلوا عنه» . ثم قال للشاهد : «فما منعك أن تنكر كما أنكروا» . قال : «لقد يم بغضى إياك» . . قال : «ويخلى عنه لصدقه» .

## البغض

قال عمر بن الخطاب لرجل ، وهو أبو مریم السُّلُويّ : « والله لا أحبك حتى تحبّ الأرض الدم » . قال : « أقتنعني حقا ؟ » قال : « لا » . قال : « فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء » .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : « والله إني لأبغضكم » . فقال له الخارجي : « أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة » .

## جواب

دخل يزيد بن أبي مُسلم على سليمان بن عبد الملك ، وكان دميما . فلما رآه قال : « قَبِحَ اللهُ رجلا أَجْرَكَ رَسَنَهُ وأشْرَكَكَ في أمانته » . فقال له يزيد : « يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمرُ لك ، وهو عنى مدبر ، ولو رأيتني والأمر على مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت ، واستعظمت مني ما استحققت » . فقال : « أتسرى الحجاج استقرّ في قعر الجحيم بعد ؟ » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، لا تقل ذلك ، فإن الحجاج وطأ لكم المنابر ، وأذل لكم الجبابر ، وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك ، فحيث كانا كان » .

## كذب الأعراب

حدثني أبو عمر الجرمي قال : سألت أبا عبيدة عن قول الراجز :

أهدموا بيتك لا أبالكَا      وأنا أمشي الدألي حوالكا

فقلت : « لمن هذا الشعر ؟ » . فقال : « هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الأشياء تتكلم » . الدألي : مشى كمشى الذئب ، يقال : هو يدأل في مشيه ، إذا مشى كمشية الذئب .

وحدثني غير واحد من أصحابنا قال : قيل لرؤية : « ما قولك :

لو أنني عُمَرْتُ سِنَّ الحِسلِ      أو عمرْتُ نوحَ زمنِ الفِطْحَلِ  
والصخر مُبتَلٌ كَمِثْلِ الوَحْلِ

ما زمن الفطحل ؟ » قال : « أيام كانت السّلام<sup>(١)</sup> رطابا » . قوله :

سن الحسل مثل تضر به العرب في طول العمر .

وحدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العميثل مولى العباس بن محمد ، قال :

تكاذب أعرابيان ، فقال أحدهما : « خرجت مرة على فرس لي فإذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت إليها . فإذا قطعة من الليل لم تنتبه . فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها فأنجابت » . فقال الآخر : « لقد رميت ظبيا مرة بسهم ، فعدل الظبي يئمة فعدل السهم خلفه ، فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ، ثم علا الظبي ، فعلا السهم خلفه ، فأنحدر عليه حتى أخذه » .

(١) السلام : جمع سلمة ، وهي الحجارة الصلبة .

وتزعم الرواة أن عروة بن عتبة قال لابني الجون الكنديين يوم جيلة :  
 «إن لي عليكم حقا لرحلتى ووفادتى، فدعوني أندرك قومي من موضعي هذا» .  
 فقالوا : «شأنك» . فصرخ بقومه ، فاسمعهم على مسيرة ليلة .

ويروى عن حماد الراوية قال : قالت ليلي بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها :  
 أرأيت قول أبيك :

ابو مكنف قد شدَّ عقدَ الدوائر	بني عامر هل تعرفون إذا غدا
تري الأكم منه سجدًا للحوافر	بجيش تفضلُ البلقُ في حجراته
كثير تواليه سريع البوادر	وجع كمثل الليل مُرتجس الوغى
وحاجة رُمحى في ثمير بن عامر	أبت عادةً للورد أن يكره الوغى

فقلت لأبي : «أحضرت هذه الواقعة ؟» فقال : «نعم ؟» قلت : «فكم كانت خيلكم ؟» . قال : «ثلاثة أفراس أحدها فرسه» . فذكرت هذا لابن أبي بكر الهذلي ، فحدثني عن أبيه ، قال : «حضرت يوم جيلة» . وكان قد بلغ مئة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج ، قال : «فكانت الخيل في الفريقين مع ما كان مع ابني الجون ثلاثين فرسا» . فحدثت بهذا الحديث الخنعمي ، وكان راوية أهل الكوفة ، فحدثني أن خنعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور ، فقالت أخته تربيته :

لنعم الفتي غادرتم آل خنعمنا	لعمري وما عمري على هين
إلى جنب أشراج أناخ فألجمنا	وكان إذا ما أورد الخيل بيثنة
جراذ زهته ريح نجد فأنهما	فأرسلها رهوا رعالا كأنها

فَقِيلَ لَهَا : « كَم كَانَتْ خَيْلَ أَخِيكَ ؟ » فَقَالَتْ : « اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعْرِفُ إِلَّا فَرَسَهُ » .

قوله : قد شد عقد الدوائر ، يريد عقد دوائر الدرع ، فإن الفارس إذا همى فعل ذلك . وقوله : تضل البلق في حجراته ، يقول : لكثرت لا يرى فيه الأبلق والأبلق مشهور المنظر لاختلاف لونه . وحجراته : نواحيه . وقوله : ترى الأكم منه سجدا للحوافر ، يقول : لكثرة الجيش يطحن الأكم حتى يلصقها بالأرض . وقوله : كمثل الليل ، يقول : كثرة فيكاد يسد سواده الأفق . والمرتجس : الذي يسمع صوته ولا يبين كلامه . وقوله : فأرسلها رهوا ، يقول : ساكنة . ورعال : جمع رعيل ، وهو ما تقدم من الخيل . وقوله : زهته ريح نجد فأقما ، يقول : رفعته واستخفته ، ومعنى أقما أتى تمامة .

وحدثني التوزي قال : سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الأخبار من أخبار العرب . فقال لي : إن العجم تكذب فتقول : كان رجل ثلثه من نحاس ، وثلثه من رصاص ، وثلثه تلج ، فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه . ومن ذلك قول مُهَلِّهْلِ بْنِ رَبِيعَةَ :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مِنْ بَحْجَرٍ      صَلِيلِ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

وحدثني عمرو بن بحر قال : أتيت أبا الربيع العنوي ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعنى رجل من بني هاشم : فقلت : « أبو الربيع ههنا ؟ » . فخرج إلي وهو يقول : « خرج إليك رجل كريم » . فلما رأى الهاشمي استحيا من فخره ، فقال : « أكرمُ الناسِ رديفا ، وأشرفهم خَلِيفَا » . فتحدثنا مليا ، ثم فضض الهاشمي . فقلت لأبي الربيع : « يا أبا الربيع ، مَنْ خَيْرُ الخَلْقِ ؟ » فقال : « الناس والله » .

فقلت : « من خير الناس ؟ » قال : « العرب والله » قلت : « فمن خير العرب ؟ » قال : « مضر والله » قلت : « فمن خير مضر ؟ » قال : « قيس والله » قلت : « فمن خير قيس ؟ » قال : « يَعْصُرُ والله » قلت : « فمن خير يعصر ؟ » قال : « غَنَى والله » قلت : « فمن خير غنى ؟ » قال : « المخاطب لك والله » قلت : « أفأنت خير الناس ؟ » قال : « نعم إى والله » قلت : « أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب ؟ » قال : « لا والله » قلت : « ولك ألف دينار ؟ » قال : « لا والله » قلت : « فألفا دينار ؟ » قال : « لا والله » قلت : « ولك الجنة » فاطرق ثم قال : « على أن لا تلد منى » .

قوله : أكرم الناس رديفا ، فإن أبا مرثد الغنوي كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله : وأشرفهم حليفا ، كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب .

ومن ذلك ما يَحْكُون في خبر لُقْمَان بن عَاد . فإنهم يصفون أن جارية له سئلت عما بَقِيَ من بصره لدخوله في السن ، فقالت : « والله لقد ضعف بصره ، ولقد بقيت منه بقية : إنه ليفصل بين أثر الأثني والذكر من الدر إذا دب على الصفا » . في أشياء تشاكل هذا من الكذب .

وَحَدَّثت أن امرأة عِمْرَان بن حَطَّان السُّدُوسِي قالت : « أمأ حلفت أنك لا تكذب في شعر ؟ » فقال لها : « أو كان ذلك ؟ » قالت « نعم ، قلت : فكذلك مَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ كان أشجع من أسامه أيكون رجل أشجع من أسد ؟ » . فقال لها : « ما رأيت أسدا فتح مدينة قطاً ، ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة » .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي كنت أعرفه بالكذب : «أصدقت قط ؟»  
قال : «لو لا أبنى أخاف أن أصدق في هذا لقلت لك » .

وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدى كُرب كان معروفا بالكذب ،  
وقيل خَلَفَ الأَحر ، وكان شديد التعصب لليمن : «أكان عمرو بن مَعْدَى  
كُرب يكذب ؟» فقال : «كان يكذب في المقال ، وَيَصْدُقُ في الفِعال » .

وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الأشراف كانوا يظهرون بالكناسة،  
فيحدثون على دواهم إلى أن يطردهم حرّ الشمس . فوقف عمرو بن معدى  
كُرب . وخالد بن الصَّقْعَب النهدي . فأقبل عمرو يحدثه ، فقال : «أغرنا مرة على  
بني مُد فخرجوا مُسْتَرَعْفِين بخالد بن الصقعب . فحملتُ عليه فطعنته فأرديته . ثم  
مَلتُ عليه بالصمّصامة فأخذت رأسه» . فقال له خالد : «حلا أبا ثور ، إن قتيلك  
هو الخُدَّثُ» . فقال : «يا هذا ، إذا خُدَّثت فاستمع ، فإنما نتحدث بمثل ما تسمع  
لثُرهَب به هذه المَعْدِيَّة » .

قوله : مسترعفين ، يقول : مُقَدَّمِين .

وخبّرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هَرَمِ بن حيان . فاتفق هَرَمِ معه في  
مسجدٍ ، وهو يقول : «حدثنا هَرَمِ بن حيان » . مرة بعد مرة ، بأشياء لا يعرفها  
هَرَمِ . فقال له : «يا هذا ، أتعرفني ؟ أنا هَرَمِ بن حيان ، ما حدثتك من هذا بشيء  
قط » . فقال له القاص : «وهذا أيضا من عجائبك ، إنه ليصلي معنا في مسجدنا  
خمسة عشر رجلا ، اسم كل رجل منهم هَرَمِ بن حيان ، كيف توهمت أنه ليس في  
الدنيا هَرَمِ بن حيان غيرك ؟ » .

وكان بالرقة قاص يكتى أبا عقيل يكثر التحدث عن بني إسرائيل ، فيُظن به الكذب ، فقال له يوما الحجاج بن خنتمة : « ما كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟ » قال : « خنتمة » . فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : « في أى الكتب وجدت هذا ؟ » قال : « في كتاب عمرو بن العاص » .

ويُروى أن رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسألك فتكذبني ؟ لولا سخاء فيك ومقك الله عليه ، لشرذت بك من وفد قوم » . معنى ومقك أحبك .

ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « يا رسول الله ، إنما أؤخذ من الذنوب بما ظهر . وأنا أستسر بخلال أربع : الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب ، فأيهن أحببت تركت لك سرا » . فقال رسول الله : « دع الكذب » . فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم همّ بالزنا فقال : يسألني رسول الله فإن جحدتُ نقضتُ ما جعلت له ، وإن أقررت خددتُ فلم يزن . ثم همّ بالسرق ثم همّ بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، قد تركتهن جمع » .

## اللسان

قال ابن المقفع : « إذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذبتة » . وقال العتابي : « إذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف » .

وحدثني من لا أحصى من أصحابنا . قال معاوية يوما : « من أفصح الناس ؟ »  
فقام رجل من السَّماط فقال : « قوم تَباعدوا عن فُرَاتِيَةِ العراق ، وِيَامَنُوا عن  
كشكشة تميم ، وِيَاسَرُوا عن كَسْكَسَةِ بكر ، ليس فيهم غَمَمَةٌ قُضَاعَةٌ ، ولا  
طُمُطُمَائِيَةٌ حِمِيرٌ » . فقال له معاوية : « من أولئك ؟ » فقال : « قومي يا أمير  
المؤمنين » . فقال له معاوية : « من أنت ؟ » قال : « أنا رجل من جَرَمٍ » . قال  
الأصمعي : وجرم من فصحاء الناس . قوله : يامنوا عن كشكشة تميم ، فإن بنى  
عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئا لقرب الشين  
من الكاف في المخرج ، وأما مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان في الوقف لأن في  
الشين تفشيا فيقولون للمرأة : جعل الله لك البركة في دارش ، ويحك مالش ، والتي  
يُدْرِجُونَهَا يَدْعُونَهَا كَافًا ، والتي يقفون عليها يُبدِلُونَهَا شِينًا . وأما بكر فتختلف في  
الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون في الشين ،  
وهم أقلهم ، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها  
فيقولون : أعطيْتُكِس .

## غزل وهو وغناء

قال محمد بن عبد الله بن نُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ :

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سَرَبٍ رَأَيْتَهُ	خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَجِرَاتٍ <sup>(١)</sup>
مَرَزْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً	يُلَبِّينَ لِلرَّحْنِ مُؤْتَجِرَاتٍ
تَضُوعٍ مِسْكَ بَطْنِ لَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ	بِهِ زَيْنَبٌ فِي نَسْوَةِ عَطِرَاتٍ

(١) معتجرات : قد لوين على رؤوسهن أثوابا من غير إدارة تحت الخنك .

وقامت تراءى يومَ جَمَعِ فألقتُ  
ولما رأت ركبَ الثُميرىَ عرضت  
دعتِ نسوةَ شَمِّ العرانيِّ بُدنا  
فأذنين لما قمن يَحْجُبْنَ دوهنا  
أحلّ الذى فوقَ السمواتِ عرشه  
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من الثقى  
برؤيتها من راح من عَرفات  
وكنّ من أن يَلْقَيْنه حدرات  
لوعامٍ لا شعثا ولا غَيرات  
حجابا من القسّى والحيرات  
أوانسَ بالبطحاءِ مُعتمرات  
ويخرُجنَ جُنْحَ الليلِ مُختمرات

قوله : مثل سرب رأيته ، هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر  
أو من الطير ، فهذا يعنى نساء . والبدن : واحدها بادن ، وهو العظيم البدن .  
والأشعث والشعثاء : الخاليان من الدهن .

وقال عمر بن أبى ربيعة ، ونظر إلى أم عمر بنت مروان بن الحكم ، وكانت  
صارت إليه متنكرة ، فرأته وقضت من محادثته وطرا ، ثم انصرفت . فلما رجعت  
من منى عرفها ، فعلمت ذلك فبعثت إليه : « لا ترفع بى صوتا » وأهدت له ألف  
دينار فاشترى بها عطرا وبزاً وأهداه لها ، فأبت أن تقبله . فقال : « إذا والله أنهبه  
فيكون أذيع له » . فقبلته ولى ذلك يقول :

وكم من قتيلٍ لا يُسَاءُ به دمٌ  
وكم مالىء عينيه من شىءٍ غيرِه  
يجرون أذيالَ المروطِ بأسوق  
أوانسُ يسئلبنَ الحليمِ فـؤاده  
فلم أر كالتَّجميرِ منظرَ ناظر  
ومن غلِقِ رَهْنا إذا ضمَّه منى  
إذ اراح نحو الجُمرةِ البيضُ كالدمى  
خِداد إذا ولَّينَ أعجازها روى  
فيأطول ما حزن ويا حُسنَ مُجتلى  
ولا كليالى الحجِّ أفننَ ذا هوى

وفيها أيضا يقول :

أيها الرائحُ المُجدُّ ابتكارا      قد قَضَى من قمامة الأوطارِ  
ليت ذا الحجِّ كان حتما علينا      كلُّ شهرين حَجَّةً واعتمارا

قوله : وكم من قتيل لا يباء به دم ، يقول : لا يُقاد به قاتله .

وكان ابن أبي عتيق من نُسَّاك قريش وظرفائهم ، بل قد بَدَّهم ظرفا ، وله أخبار كثيرة . فمن طريف أخباره أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة :

لما نلتُ منها مَحْرَمًا غيرَ أنسا      كلانا من الثوبِ المطرفِ لا بسُ

فقال : «أبنا يلعب ابن أبي ربيعة ؟ فأى مُحْرَمٍ بقي ؟» فركب بغلته متوجها إلى مكة . فلما دخل أنصاب الحرم قيل له : «أحرمٌ» . قال : «إن ذا الحاجة لا يحرم» . فلقي ابن أبي ربيعة ، فقال : «أما زعمت أنك لم تركب حراما قط ؟» . قال : «بلى» . قال : «فما قولك : كلانا من الثوب المطرف لا بس ؟» فقال له : «إذا أخبرك . خرجتُ بعِلة المسجد فصرنا إلى بعض الشعاب فأخذتنا السماء . فأمرتُ بِمُطَرِّفٍ فسترنا الغلمان به لتلا يروا بمأبلة ، فيقولوا : هلا استرت بسقائف المسجد ؟» . فقال له ابن أبي عتيق : «يا عاهر ، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة» .

وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رسولِي إلى الثريا بأني      ضقتُ ذُرْعًا هَجْرَها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا . فاستأذن عليها ، فقالت : « والله ما كنت لنا زوّارا » . فقال : « أجل ولكني جئت برسالة ، يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة : ضقت ذرعا بمجرك والكتاب » . فلامه عمر فقال له ابن أبي عتيق : « إنما رأيتك متلدا لتلمس رسولا فخففت في حاجتك ، وإنما كان ثوابي أن أشكر » .

ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته . فقال مصعب : « هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني » فقال له ابن أبي عتيق : « عدّل المائل » ثم صار إلى عائشة فجعل يستعجبها لمصعب . فقالت : « والله ما عزّمت أن أكلمه أبدا » . فلما رأى جدّها قال لها : « أيا بنت عم إنه قد ضمن لي إن كلمته عشرة آلاف درهم ، فكلّميه حتى آخذها ثم عودى إلى ما عودك الله من سوء الخلق » .

ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما : « إني لمشغوف ببغلة الحسن ابن علي رحهما الله » . فقال له ابن أبي عتيق : « إن دفعتها إليك أتقضى لي ثلاثين حاجة ؟ » قال : « نعم » . قال : « إذا اجتمع الناس عنك العشية فإني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمنّي على ذلك » . فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثر قريش . فقال له مروان : « ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد » . فقال : « إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد » . فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم : « ألك حاجة ؟ » فقال : « ذكرت البغلة » فترل الحسن ودفعها إليه .

ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المرّي لما دخل المدينة واليا عليها ، اجتمع الأشراف عليه من قريش والأنصار . فقالوا له : « إنك لا تعمل عملا أجدي ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء » . ففعل وأجلهم ثلاثا . فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة ، فحط رَحْله بباب سلامة الزرقاء . وقال لها : « بدأت بك قبل أن أصير إلى مري » . فقالت : « أو ماتدري ما حدث ؟ » وأخبرته الخبر . فقال : « أقيمي إلى السحر حتى ألقاه » . فقالت : « إننا نخاف أن لا تغني شيئا وننكظ<sup>(١)</sup> » فقال : « إنه لا بأس عليك » ، ثم مضى إلى عثمان فاستأذن عليه . فأخبره أن أحد<sup>(٢)</sup> ما أقدمه عليه حبّ التسليم عليه . وقال له : « إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء » . قال : « إن أهلك أشاروا علىّ بذلك » ، قال : « فإنك قد وُفقت ، ولسكني رسول امرأة إليك ، تقول : قد كانت هذه صناعتى فتسبت إلى الله منها ، وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم » . فقال عثمان : « إذن أدعها لك » . قال : « إذن لا يدعها الناس ولكن تدعو بها فننظر إليها ، فإن كانت ممن يُترك تركتها » . قال : « فاذعُ بها » . فأمرها ابن أبي عتيق فتقشفت وأخذت سُبحة في يدها وصارت إليه . وحدثته عن مآثر آبائه ، ففكّه لها ، فقال لها ابن أبي عتيق : « أقرّني للأمير » . ففعلت فأعجب بذاك . فقال لها : « فاحدي للأمير » . فحركه حداؤها . ثم قال لها : « عبّري للأمير » . فجعل يعجب بذلك عثمان . فقال له ابن أبي عتيق : « فكيف لو سمعتها في صناعتها ؟ » فقال : « قل لها فلتنقل » فأمرها فتغنت :

سَدَدُنْ خِصَاصَ الحَيِّمِ لِمَا دَخَلْنَهُ      بِكُلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ وَجِييِنِ

(١) نكظ : تناكشدة .

(٢) أحد : أسرع .

فزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها . ثم قال : « لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة » فقال له ابن أبي عتيق : « إذا يقول الناس : أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها » . فقال له عثمان : « قد أذنت لهم جميعا » .

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي	أثحب القبول أخت الرباب ؟
قلت : وجدى ها كوجدك بالماء	إذا ما منعت برد الشراب
من رسولى إلى الثريا بأنى	ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتى مجاجة المسك عقالى	فسلوها بما لجل اغتصابى
أزهقت أم نوفل إذ دعتهها	مُهجتي ، ما لقاتلى من متاب
حين قالت لها : أجيى ، فقالت :	من دعانى ؟ قالت : أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما لبى	بى رجال يرجون حسن الثواب
أبرزوها مثل المهاة قهادى	بين خمس كواعب أثراب
وهى مكنونة تحير منها	فى أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا : ثحبها ؟ قلت : بهرا	عدد النجم والحصى والتراب
دمية عند راهب ذى اجتهاد	صوروها فى جانب المخراب

قوله : قلت وجدى ها كوجدك بالماء ، معنى صحيح . وقد اعتوره الشعراء وكلهم أجاد فيه . وقوله : إذا ما منعت برد الشراب ، يريد عند الحاجة ، وبذلك صح المعنى . ويروى عن على بن أبي طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال : « كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقال : « كان والله أحب إلينا من

أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ» وقال آخر ،  
وأحسبه قيس بن ذريح :

حلفتُ لها بالمشعرَيْنِ وزم—زم  
وذو العرشِ فوقِ المقسمينَ رقيبُ  
لئنْ كانَ برْدُ الماءِ حَرًّا أنْ صادِيا  
إلى حَبِيبا إنَّمَا حَبِيب

والمكورة : المكترة . وقوله : قلت بهرا ، يكون على وجهين : أحدهما حُبًا  
يَهْرِنِي بَهْرًا ، أى يملؤني ؛ والوجه الآخر أن يكون أراد بَهْرًا لكم ، أى تَبًا  
لكم حيث تلموننى على هذا .

وَحَدَّثْتُ أَنْ عَمَرَ الْوَادِى قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ مَكَّةَ أُرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَجَعَلْتُ أُسِيرُ فِي  
صَرْدٍ (١) مِنَ الْأَرْضِ . فَسَمِعْتُ غَنَاءَ مِنَ الْقَرَارِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ . فَقُلْتُ : « وَاللَّهِ  
لَأَتَوَصَّلَنَّ إِلَيْهِ وَلَوْ بَدَّهَابَ نَفْسِي » فَأَنحَدَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَبْدُ أَسْوَدَ . فَقُلْتُ لَهُ : « أَعِدُّ  
عَلَيَّ مَا سَمِعْتُ » . فَقَالَ لِي : « وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عِنْدِي قَرْمَى أَقْرَبِكَ مَا فَعَلْتُ وَلَكِنِّي  
أَجْعَلُهُ قِرَاكَ ، فَإِنِّي رُبَّمَا غَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَأَنَا جَائِعٌ فَأَشْبِعُ ، وَرُبَّمَا غَنَيْتُهُ وَأَنَا  
كَسْلَانٌ فَأَنْشِطُ ، وَرُبَّمَا غَنَيْتُهُ وَأَنَا عَطْشَانٌ فَأُرْوِي » . ثُمَّ انْبَرَى يَغْنِيئِي .

وَكُنْتُ إِذَا مَازَرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا  
أَرَى الْأَرْضَ تُطْوَى لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا  
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا  
إِذَا مَا قَضَتْ أَحْدُوثةً لَوْ تُعِيدُهَا

فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصف ، فإذا هو كما ذكر .

(١) الصرد : المكان المرتفع .

وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وإليها كان يُنسب ، قال يوما : «يقال : إن الدنيا لم تُصَفْ لأحد قط يوما ، فإذا خلوتُ يومي هذا فاطوروا عني الأخبار، ودعوني ولذتي ، وما خلوت له» . ثم دعا بِحَبَابَةِ فقال : «اسقيني وغبيني» فخلوا في أطيب عيش . فتناولت حباة حبة رمان فوضعتها في فيها ففصتُ بها فماتت . فجزع يزيد جزعا أذهله ، ومَنع من دفنها حتى قال له مشايخ بني أمية : «إن هذا عيب لا يستقال ، وإنما هذه جيفة» فأذن في دفنها وتبع جنازتها . فلما واروها ، قال : «أمسيت والله فيك كما قال كثير :

فإن تَسَلُ عنك النفسُ أو تَدَعِ الهوى      فبالياس تسلو عنك لا بالتجُدِ  
وكلُّ خليلٍ رَأَىني فهو قائلٌ      من أجلكِ هذا هامة اليوم أو غدِ

فَعُدَّ بينهما خمسة عشر يوما . وقوله : راعى ، يريد رآنى ، ولكنه قلب فأخر الهمزة . وقوله . هذا هامة اليوم أو غد ، يقول : مَيّت في يومه أو في غده .

وحدثني عبد الصمد بن المعدّل قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حججتُ مع أمير المؤمنين الرشيد ، فلما قَفَلْنَا فرلنا المدينة آخيتُ بها رجلا كان له سِنٌ ومعرفة وأدب فكان يمتعني . فإني ذات ليلة في منزلي إذا أنا بصوته يستأذن عليّ . فظننتُ أمرا قد فَدَحَه ففرع فيه إليّ . فأسرعت نحو الباب ، فقلت : «ما جاء لك ؟» فقال : «إذن أخبرك . دعاني صديق لي إلى طعام عتيد<sup>(١)</sup> وشراب قد التقى طرفاه ، وشواء رَشْرَاش<sup>(٢)</sup> ، وحديث ممتع ، وغداء مطرب ، فأجبتة .

(١) عتيد : معد حاضر .

(٢) رشراش : يقطر دمه .

وأقمت معه إلى هذا الوقت. فأخذت مني حُمَيَّا الكأس ماخذها ثم غَنَّيت بقول  
نصيب :

بزينب أَلَمِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبَ      وَقُلُّ إِن تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ القَلْبَ  
فكذت أطير طربا ، ثم وجدت في الطرب نقصا إذا لم يكن معي من يفهم هذا كما  
فهمته . ففزعت إليك أصف لك هذه الحال ، ثم أرجع إلى صاحبي . وضرب  
نعليه موكبا عنى فقلت : « قف أكلمك » . فقال : « ما بي إلى الوقوف إليك من  
حاجة » .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ اسْتَمَعَ عَلَى يَزِيدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَسَمِعَ مِنْ عِنْدِهِ غِنَاءً أَعْجَبَهُ .  
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِيَزِيدَ : « مَنْ كَانَ مَلْهِيكَ الْبَارِحَةَ ؟ » فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : « ذَاكَ سَائِبُ  
خَائِرٍ » . قَالَ : « إِذَا فَاخْتَرُ (١) لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ » .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِعَمْرُو : « امض بنا إلى هذا الذي قد تشاغل باللهو  
وسعى في هدم مروءته حتى ننعي عليه - أي نعيب عليه - فعله » ، يريد عبد الله  
ابن جعفر بن أبي طالب . فدخلا إليه ، وعنده سائب خائِر ، وهو يلقي على جوارٍ  
لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية . وثبت سائر مكانه ، وتنحى  
عبد الله عن سريره لمعاوية . فرفع معاوية عمرا فأجلسه إلى جانبه ثم قال لعبد الله :  
« أعد ما كنت فيه » . فأمر بالكراسى فألقيت وأخرج الجوارى . فتغنى سائب  
بقول قيس بن الخطيم :

تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا كَجَاءِ الرِّكَائِبِ (٢)  
وَلَا جَارَةَ وَلَا حَلِيلَةَ صَاحِبِ (٣)

ديارُ التي كادتُ ونحن على مني  
ومثلك قد أصببتُ ليست بكثة

(١) أي أجزل له العطاء .

(٢) تحل بنا : تجعلننا محل .

(٣) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

ورَدَّه الجوارى عليه . فحرك معاوية يديه وتحرك في مجلسه . ثم مدّ رجله فجعل يضرب بهما وجه السرير . فقال له عمرو : « اتُّدِّ يا أمير المؤمنين ، فإن الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة » . فقال معاوية : « اسكت لا أبالك ، فإن كل كريم طروب » .

وحدثت من غير وجه أن سفيان بن عُيَيْنَةَ قال لجلسائه يوما : « إني أرى جارنا هذا السُّهْمِيَّ قد أثرى ، وانفسحت له نعمة ، وصار ذا جاه عند الأمراء ، ووافدا إلى الخلفاء ، فمم ذاك ؟ » يعنى يحيى بن جامع ، فقال له جلساؤه : « إنه يصير على الخليفة فيتغنى له » . فقال سفيان : « فيقول ماذا ؟ » فقال أحد جلسائه : يقول :

أطوفُ نهارى مع الطائفين وأرفعُ من منزرى المُستَبَلِّ

فقال سفيان : « ما أحسن ما قال ! » فقال الرجل : ويقول :

وأسهر ليلى مع العاكفين وأتلو من المُحكَمِ المُزَلِّ

قال : « حسن والله جميل » . قال : « إنَّ بعد هذا شيئا » . قال سفيان : « وما هو ؟ » قال :

عسى فارحُ الكُربِ عن يوسف بُسخر لى رئةَ المُحمَلِّ

فزوى سفيان وجهه ، وأوما بيده أن كُفَّ ، وقال : « حللا حللا » . وحدثت أن الفرزدق قدم المدينة فزل على الأحوص بن محمد فقال له الأحوص : « ألا أسمعك غناء من غناء القرى ؟ » فاتاه بُمغْنٍ فجعل يغنيه ، فكان مما غناه :

أَتَسَى إِذْ تُودِّعُنَا سَلِيمِي      بَفَرْعِ بَشَامَةِ سُقَيِّ الْبِشَامِ (١)  
لَوْ وَجَدَ الْحَمَامَ كَمَا وَجَدْنَا      بَسَلْمَانَيْنِ لَا كِتَابَ الْحَمَامِ

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : « لِمَنْ هَذَا ؟ » فَقَالُوا : « لَجُرَيْرٍ » ثُمَّ غَنَاهُ :

أَسْرَى لِحَالِدَةَ الْخِيَالُ وَلَا أَرَى      شَيْئًا أَلَدَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ  
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حَدِيثَهُ      فَأَنْقَعُ فِرَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ

فَقَالَ : « لِمَنْ هَذَا ؟ » فَقِيلَ : « لَجُرَيْرٍ » ثُمَّ غَنَاهُ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَّوْا بَلْبُكَ غَادَرُوا      وَشَلَا بَعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا (٢)  
غَيْضَنْ مِنْ عَبْرَاتِهِمْ وَقَلْبِنِ لِي      مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

فَقَالَ : « لِمَنْ هَذَا ؟ » فَقَالُوا : « لَجُرَيْرٍ » فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : « مَا أَحْوَجُهُ مَعَ

عِفَافِهِ إِلَى خَشُونَةِ شِعْرِي ، وَأَحْوَجَنِي مَعَ فَسُوقِي إِلَى رَقَّةِ شِعْرِهِ » .

وَحَدَّثْتُ أَنْ مَدِينَا كَانَ يَصَلِي مِنْذُ طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ قَارَبَ النَّهَارُ أَنْ  
يَنْتَصِفَ ، وَمَنْ وَرَاتِهِ رَجُلٌ يَتَغَنَّى ، وَهُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الشُّرَطِ قَدْ قَبِضَ عَلَى الْمَغْنَى فَقَالَ : « أَتَرَفَعُ عَقِيرَتِكَ بِالْغِنَاءِ فِي مَسْجِدِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ » . فَأَخَذَهُ فَأَنْقَلَتِ الْمَدِينُ مِنْ صَلَاتِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ  
يَطْلُبُ إِلَيْهِ فِيهِ حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « أَتَدْرِي لِمَ شَفَعْتُ فِيكَ ؟ » .  
قَالَ : « لَا ، وَلَكِنِّي أَخَالُكَ رَحْمَتِي » . قَالَ « إِذَا فَلَا رَحْمَتِي اللَّهُ » . قَالَ :  
« فَأَحْسَبُكَ عَرَفْتَ قَرَابَةَ بَيْنِنَا » . قَالَ : « إِذَا فَقَطَعَهَا اللَّهُ » قَالَ : « فَلَيْدٍ تَقَدَّمْتُ  
مَنْى إِلَيْكَ » . قَالَ : « لَا وَاللَّهِ وَلَا عَرَفْتُكَ قَبْلَهَا » ، قَالَ : « فَخَبِّرْنِي » . قَالَ :  
« لِأَنِّي سَمِعْتُكَ أَنْفًا فَأَقَمْتَ وَأَوَاتَ مَعْبُدَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَسَاتِ التَّأْدِيَةَ  
لَكُنْتُ أَحَدَ الْأَعْوَانِ عَلَيْكَ » .

(١) البشام : شجر طيب الريح يستاك به .

(٢) الوشل : الماء الكثير . والمعين : الماء الذى لا ينقطع .

## الجد والهزل

نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئا لتكون فيه استراحة للقارئ ، وانتقال ينفي الملل ، لحسن موقع الاستطراف ؛ ولخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ، ليستريح إليه القلب وتسكن إليه النفس .

قال أبو الدرداء رحمه الله : «إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق» . وقال علي بن أبي طالب رحمه الله: «القلب إذا أكره عمي» وقال ابن مسعود رحمه الله : «القلوب تَمَل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة» . وقال أردشير بن بابك : «إن للأذان حجة ، وللقلوب ملا ، ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجماما» . وكان أنو شروان يقول : «القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة احتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء» . وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوما : «يا أبت ، إنك تنام نوم القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم» . فقال له : «يا بني ، إن نفسي مطيق فإن هملت عليها في التعب حَسَرْتُمَا» . تأويل قوله حَسَرْتُمَا : بلغت بما أقصى غاية الإعياء .

## ضروب الكلام والكتابة

الكلام يجري على ضروب : فمنه ما يكون في الأصل لنفسه ، ومنه ما يُكْنى عنه بغيره ، وما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف . والكناية تقع على ثلاثة أضرب : أحدها التعمية والتفطية كقول النابغة الجعدي :

أَكْفَى بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لَهُ خَفِيَّاتٍ كُلَّ مَكْتَمٍ

وقال ذو الرمة استراحة إلى التصريح من الكناية :

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتلفى باسمها غير معجم<sup>(١)</sup>

ويكون من الكناية ، وذلك أحسنها ، الرغبة عن اللفظ الحسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره . قال الله ، وله المثل الأعلى : ﴿ أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ والملازمة في قول أهل المدينة ، مالك وأصحابه ، غير كناية ، إنما هو اللمس بعينه ، يقولون في الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريتته بشهوة : إن وضوءه قد انتقض . وقال الله جل وعز في المسيح ابن مريم وأمه صلى الله عليهما : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة . وقال : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهَدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ وإنما هي كناية عن الفروج . وهذا كثير .

والضرب الثالث من الكناية التفضيم والتعظيم ، ومنه اشتقت الكنية ، وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه . ووقعت في الكلام على ضربين : وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه ، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه .

(١) المعجم : المههم .

## حب وغزل

قال مروان بن أبي حفصة :

إن الغواني طالما قتلنا	بعيوفهن ولا يدين قتيلا
من كل أنسة كان حجالها	ضمّن أخور في الكناس كحبالا
أردن عروة والمرقش قبله	كل أصيب وما أطاق ذهولا
ولقد تركن أباذؤيب هائما	ولقد تلبن كثيرا وجهيلا
وتركن لابن أبي ربيعة منطقا	فيهن أصبح سائرا محمولا
إلا أكن من قتلن فإني	من تركن فواده مخبولا

يقال : ضمن القبرُ زيدا ، وضمن القبرُ زيد ، كل صحيح فمن قال : ضمن القبرُ زيدا ، فإلما أراد جعل القبرِ ضمين زيد ، ومن قال : ضمن زيدُ القبر ، فإلما أراد جعل زيد في ضمن القبر . وقوله : أحور يعني ظبيا ، وأهل الغريب يذهبون إلى أن الحور في العين شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها ، والذي عليه العرب إنما هو نقاء البياض ، فعند ذلك يتضح السواد . والكناس : حيث تكنس البقرة والظبية ، وهو أن تتخذ في الشجرة العادية كالبيت تآوى إليه وتبر فيه ، فيقال إن رائحته أطيب رائحة لطيب ما ترتعى . فيقول : ضمن ظبيا أحور العين أكحل ، وجعل الحجال كالكناس . وقال ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ \* الْجَوَارِي الْكُنُوسِ ﴾ . قال : أقسم بقر الوحش لأنها خنس الأنوف ، والكنس التي تلزم الكناس : وقال غيره : أقسم بالنجوم التي تجرى بالليل وتمنس بالنهار وهو الأكثر . وقوله : أردن : يقول أهلسكن ، والردى : الهلاك .

وقوله : ولقد تبلى كثيرا وجميلا أصل التبل الترة <sup>(١)</sup> يقال : تبلى عند فلان .  
قال حسان بن ثابت :

تبلى فزادك في المنام خريدة تشفى الضجيع يبارد بسام  
وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ، ولم يكن يحسن مما يتوصل به إلى النساء  
شيئا إلا أنه كان يحفظ القرآن ، فكان يتوصل إليها بالآية بعد الآية . فكان إن  
وعدته فأخلفته تحين وقت مرورها فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا  
تَفْعَلُونَ » . وإن خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر ، تحينها في أخرى فتلا :  
« وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْرَهْتُ مِنَ الْخَيْرِ » . وإن وشى به واش ، كتب إليها :  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ » .  
وذكروا أن أبا القمام بن بحر السقاء عشق جارية مدينية ، بعث إليها :  
« إن إخواننا لي زاروني فابعثي إلى برؤوس حتى نأكلها ونصطحح على ذكرك » .  
ففعلت . فلما كان اليوم الثاني بعث إليها : « إن القوم مقيمون لم نفترق فابعثي إلى  
بقلية جزورية وبقرية قديمة حتى نتغذاها ونصطحح على ذكرك » . فلما كان في اليوم  
الثالث بعث إليها : « إنا لم نفترق ، فابعثي إلى بسنبوسك حتى نصطحح اليوم على  
ذكرك » . فقالت لرسوله : « إن رأيت الحب يحمل في القلب ويفيض إلى الكبد  
والأحشاء وإن حب صاحبتنا هذا ليس يجاوز المعدة » .

ودعت أبا الحارث جُمَيْرَ واحدة كان يحبها ، فجعلت تحادثه ولا تذكر  
الطعام . فلما طال ذلك به ، قال : « جعلني الله فداك ، لا أسمع للغداء ذكرا » .  
فقالت : « أما تستحي ، أما في وجهي ما يشغلك عن ذا ؟ » قال لها : « جعلني الله  
فداك ، ولو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئا ليزق كل واحد منهما في  
وجه صاحبه وافترقا » .

(١) الترة : الثمار .

## صيانة السر

قال عمرو بن العاص : « إذا أنا أوشيت سرى إلى صديقى فأذاعه فهو في حل » . ف قيل له : « وكيف ذاك ؟ » قال : « أنا كنت أحق بصيانته » . وقال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزُن عليه لسانه      فليس على شيء سواه بخزان

وأحسن ما سُمع في هذا ما يُعزى <sup>(٢)</sup> إلى علي بن أبي طالب رضی الله عنه ، فقال يقول : هو له ، ويقول آخرون : قاله متمثلاً ، ولم يُختلف في أنه كان يكثر إنشاده :

فلا تُفشي سرِّك إلا إليـك      فإن لكل نصيح نصيحا  
وإني رأيت غواة الرجـا      ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبي أن معاوية أسراً إلى عثمان بن عتبسة بن أبي سفيان حديثاً . قال عثمان : فجئت إلى أبي ، فقلت : « إن أمير المؤمنين أسراً إلى حديثاً ، أفأحدثك به ؟ » قال : « لا ، إنه من كتم حديثه كان الخيار إليه ، ومن أظهره كان الخيار عليه . فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكا » . فقلت له : « أو يدخل هذا بين الرجل وأبيه ؟ » فقال : « لا ، ولكني أكره أن تذلل لـ . . . لك يا فشاء السر » . قال : فرجعت إلى معاوية فذكرت ذلك له ، فقال معاوية : « أعتقك أخى من رق الخطأ » .

(٢) يعزى : ينسب .

وقال معاوية : «أعنت على عليّ رحمه الله بأربع : كنت رجلا أكرم سري وكان رجلا ظُهُرة ؛ وكنت في أطوع جند وأصلحه ، وكان في أخبث جند وأعصاه؛ وتركته وأصحاب الجمل ، وقلت : إن ظفروا به كانوا أهون عليّ منه ، فيالك من جامع إليّ ومُفرِّق عنه ، وعون لي وعون عليه .»

وقال جميل :

ولا يَسْمَعُنْ سَري وَسِرِّكَ ثَالِثٌ      أَلَا كَلُّ سِرِّ جَاوِزِ اثْنَيْنِ شَائِعٌ

وكان يقال : «أصبر الناس من صبر عليّ كتمان سره ، ولم يُبْدِه لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيديعه» . وقال آخر :

ولى صاحبَ سَريِّ المَكْتَمِ عنده	مَخَارِيقُ نيرانِ بَلْبَلٍ تُحَرِّقُ
عظفت على أسراره فكسوتها	ثيابا من الكتمان لا تتحرق
فمن تكن الأسرار تطفو بصدرة	فأسرار صدرى بالأحاديث تُفَرِّقُ
فلا تودعن الدهرَ سِرِّكَ أحقما	فإنك إن أودعتة منه أحق
وحسبك في ستر الأحاديث واعظا	من القول ما قال الأريب الموفق
إذا ضاق صدرُ المرء عن سر نفسه	فصدر الذى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أضيق

وقيل : «النمام سهم قاتل» . ويقال للنمام القَتَات . وفي الحديث : «لا يروح القتات رائحة الجنة» . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : «لعن الله المثلث» . فليل : «يا رسول الله ، ومن المثلث ؟» فقال : «الذى يسعى بصاحبه إلى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه» .

وقال معاوية للأحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فأنكر ذلك الأحنف .  
فقال له معاوية : « بلغني عنك الثقة » . فقال له الأحنف « يا أمير المؤمنين إن الثقة  
لا يبلغ » .

وقال المهلب بن أبي صفرة : « أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلى  
أخلاقه نسيان ما أسر إليه » .

### باب مختلط

وهذا الباب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهل <sup>(١)</sup> ، ومن جد إلى هزل  
ليستريح إليه القارئ ، ويدفع عن مستمعه الملل . قال بكر بن النطاح في كلمة له  
يمدح فيها مالك بن علي الخزاعي :

لترضى، فقالت قم فجننا بكوكب	عَرَضْتُ عليها ما أرادت من المني
كمن يتشهى لحم عُنُقَاء مُعْرَب	فقلت لها هذا التعتت كله
وعزته ما نال ذلك مطلي	فلو أننى أصبحت في جود مالك
كما شقيت قيساً بأرماح تغلب	ففى شقيت أمواله بسماحه

### سعيد بن مسلم

قال عبد الصمد بن المعدل يرثى سعيد بن سلم :

وفقير لعشته بعد غُذْم	كم صغير جبرته بعد يُثْم
رَضِيَ اللهُ عن سعيد بن سلم	كلما عضت الحوادث نَـاَدَى

(١) الحزن : المرتفع . والسهل : المنخفض .

وقال سعيد بن سلم : عرض لي أعرابي فمدحتي فبلغ ، فقال :

الأقل لساري الليل لا تخش ضلّة      سعيد بن سلم ضوء كل بلاد  
لنا سيد أرتبي على كل سيد      جواد حنا في وجه كل جواد

قال : فتأخرت عن بره قليلا فهجان فبلغ ، فقال :

لكل أخي مدح ثواب يُعده      وليس لمدح الباهلي ثواب  
مدحت ابن سلم والمديح مهزة      فكان كصفوان عليه تراب

وكان سعيد بن سلم إذا استقبل السنة التي يستأنف فيها عدد سنه أعتق نسمة ، وتصدق بعشرة آلاف درهم . ف قيل لمديني : « إن سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم » . فقال : « إذن لا يبيعه » .

## البدل والالتفات

للحارث بن وعلّة يقول الأعشى ، وكان قصده فلم يحمده وعرج عنه إلى هُوذة بن علي ذي التاج ، وهوذة من بني حنيفة بن لجم ، والحارث بن وعلّة من بني رقاش ، وهي امرأة ، وأبوهم مالك بن شيان بن بكر بن وائل . فقال الأعشى يذكر الحارث بن وعلّة وهوذة بن علي :

أتيت حريثا زائرا عن جنابة      فكان حريث عن عطائي جامدا  
إذا ما رأيت ذا حاجة فكأنا      يرى أسدا في بيته وأسودا

شَمَائِلُهُ وَلَا أَبَاهُ مُجَالِدًا  
 بِجَوِّ لَخَيْرٍ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدًا  
 وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدًا  
 فَأَبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هُوَذَا حَامِدًا  
 أَوْ الْقَمَرَ السَّارَى لِأَلْقَى الْمُقَالِدًا  
 وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا

لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةٌ فِي النَّدَى  
 وَإِنْ أَمْرًا قَدْ زَرْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ  
 تَضَيَّفْتَهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي  
 وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعِشَاءِ يَوْلِيدَةَ  
 فَتَى لَوْ يُبَارَى الشَّمْسُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا  
 يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةَ

قوله : آتيت حريثا ، يريد الحارث ، وتصغيره على لفظه حُوَيْرِث ، وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم ، وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الأصلية فتقول في تصغير أحمد : حَمِيد ، لأنه من الحمد ، وفي الحارث : حُرَيْث ، لأنه من الحرث ، وفي غضبان : غَضِيب ، لأنه من الغضب ، لأن الألف والنون زائدتان . وكذلك ذوات الأربعة ، تقول في تصغير قنديل على لفظه قنيديل ، فإن صغرتة مرها حذفت الياء فقلت : قُنَيْدِل . فعلى هذا مَجْرَى الباب . وقوله : عن جنابة : يقول عن غربة وبعده ، يقال رجل جُنُب ، ورجل جانب ، أى غريب . قال الله عز وجل : « وَالْجَارِ الْجُنُبِ » . وقوله : يرى أسدا في بيته وأساودا : يريد جمع أسود ساخ . وأسود ههنا نعت ، ولكنه غالب . فلذلك جرى ههنا مجرى الأسماء ، لأنه يدل على الحية . وأفعل إذا كان نعتا بنفسه فجمعه ففعل نحو أحمروا وحُمروا وأسود وأسود ، وإذا كان نعتا فأجرى مجرى الأسماء فجمعه فأفعل نحو أساود وأجادل وأداهم إذا أردت القيد لأنه نعت غالب يجرى مجرى الأسماء ، وإن أردت أدهم الذى هو نعت محض قلت دهم . قال الأشهب بن رُميلة :

أسود شَرَى لَأَقْتِ أَسْوَدَ خَفِيَّةً      تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسْوَادِ  
 فأجراه مجرى الأسماء نحو الأصاغر والأكابر والأحامد .

وقوله لعمر ك ما أشبهت وعلة في الندى شمائله ، فإنه جعل شمائله بدلا من وعلة ، والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة . والبدل على أربعة أضرب : فواحد منها أن يُبدل أحد الاسمين من الآخر إذا رجعا إلى واحد ، ولا تبالي أ معرفتين كانا أم معرفة ونكرة ، وتقول مررت بأخيك زيد ، لأن زيدا هو الأخ ، وكذلك مررت برجل عبد الله . فهذا واحد . وآخر أن يُبدل بعض الشيء منه ، نحو ضربت زيدا رأسه ، لما قلت ضربت زيدا أردت أن تبين موضع الضرب . فمثل الأول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت ﴾ . ومثل البدل الثاني قوله ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ . من في موضع خفض لأنها بدل من « الناس » . والبدل الثالث مثل ما ذكرنا في البيت ، أبدل شمائله منه وهي غيره ، لاشتغال المعنى عليها . ونظير ذلك من القرآن ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ لأن المسألة إنما كانت عن القتال هل يكون في الشهر الحرام . وبدل رابع لا يكون مثله في القرآن ولا في الشعر ، وهو أن يغلط المتكلم فيدرك غلظه أو ينسى فيذكر ، فيرجع إلى حقيقة ما يقصد له وذلك قولك مررت بالمسجد دار زيد ، أراد أن يقول مررت بدار زيد ، فإما نسي وإما غلط ، فاستدرك فوضع الذي قصد له في موضع الذي غلط فيه .

وقوله : بجو : فهي قصبة <sup>(١)</sup> اليمامة . وقوله : تضيفته يوما : إنما هو تفعلته من الضيافة ، يقال : ضفت الرجل أي نزلت به ، وأضافني أي أنزلني . وقوله : أصفدني ، يقول : أعطاني وهو الإصفاد ، والصفد الاسم ، والإصفاد المصدر ، ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ، ولا يقال في القيد أصفدت ولكن

(١) القصبة : العاصمة .

صفدته صفدا ، واسم القيد الصفد . وقوله : فتى لو يبارى الشمس ، يقول : يعارض ، يقال : انبرى لى فلان أى اعترض لى .  
وأما قوله :

وأمتعى على العشا بوليـدة فأبت بخير منك يا هوذ حامد  
فإنه كان يتحدث عنه ، ثم أقبل عليه يخاطبه ، وترك تلك المخاطبة ، والعرب  
تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب . قال  
الله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، كانت  
المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخبارا عنهم . وقال عنترة:  
شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحْتُ عَسِرًا عَلَى طِلَابِكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ  
فكان يتحدث عنها ثم خاطبها . ومثل ذلك قول جرير :  
وترى العواذل يتدرن ملامتى فإن أردن سوى هواك عُصِينَا  
وهذا كثير جدا .

وقوله : يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة ، أى قليلا ، من الاقتصار . ويروى  
يغدو ، ويعدو جميعا .

وكان هوذة بن على ذا قدر عال ، وكانت له خرزات تنظم فتجعل على  
رأسه تشبها بالملوك . وحدثني الثوزى عن أبي عبيدة قال : « ما تتوج معدى قط  
إنما كانت التيجان لليمن » . قال : فسألته عن قول الأعشى :

من يرَ هوذة يسجدُ غير مُتَّئِبٍ إِذَا لَعَمَّمِ فَوْقَ النَّجَاجِ أَوْ وَضَعَا  
قال : « إنما كانت خرزات تنظم له » . وكتب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى هوذة كما كتب إلى الملوك ، وكانت بنو حنيفة بن لجم أصحاب اليمامة .  
ويقول بعض النسابين إن عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة ، وهى صحراء ، فاختطها  
فجعل يركض حوالها ويخط برمحه فى الأرض على ما أصاب من النخل ، وأثم

أكلوا ما أصابوا تحته من التمر . فلما طلع لهم التمر بعدُ لم يهتدوا لصعود النخل فأقبلوا يجدونه حتى فكروا فأعدوا له السلام . فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العزيز منهم . وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء «السواقط» ممن كانوا . ويقال إن اليمامة والبحرين والقرينين ومواقع هناك كانت لطسم وجديس ، والخبر في ذلك مشهور بزرقاء اليمامة .

## التشبهات المختارة

هذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه ، وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم . فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر ، أي بيت واحد ، من تشبيه شيء في حالتين مختلفين يشيئين مختلفين ، وهو قوله :

كان قلوب الطير رطبا ويابسا      لدى وكبرها العنابُ والحشْفُ البالي<sup>(١)</sup>

فهذا مفهوم المعنى . فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف ؟ قيل له : العربي الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا . قال الله جل وعز ، وله المثل الأعلى ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . علما بأن المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب . ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله :

(١) العناب : ثمر أحمر حلو شبيه بالزيتون . والحشف : الرديء من التمر .

كان عيون الوحش حولَ خبائنا وأرْخُلنا الجَزْعُ الذي لم يُتَقَبْ (١)  
ومن ذلك قوله :

إذا ما الثُريا في السماء تعرَّضت تعرُّضَ أثناء الوشاح المُفصَّل

وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة  
هذه الألفاظ . ومن أعجب التشبيه قول النابغة :

فإنك شمس والمملوك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكب

ومن عجيب التشبيه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافا والثريا كأنه على قمة الرأس ابن ماءٍ مُحلَّق

وقال ذو الرمة في وصف الماء فقرن بتغييره بُعَدَ مطلبه :

فأدلى غلامى دلوه يتغى بها شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبِرِق

---

(١) الجزع : خرز فيه سواد وبياض .

يريد أن الفجر قد نَجَمَ فيه ، فجاءت يعنى الدلو بنسج العنكبوت كأنه على  
عصوبها سابرى مشبرق . والسابرى : الرقيق من الثياب والدروع. والمشبرق :  
الممزق .

ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة :

قَرَحَاءُ حَوَاءِ أَشْرَاطِيَّةٍ وَكَفَّتْ      فِيهَا الدَّهَابُ وَحَقَّتْهَا البرَاعِيمُ

قرحاء : يريد الأنوار . وقوله : حواء يقول تضرب إلى السواد لشدة ريبها  
وخضرتها ، وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز : ( مُدْهَامَاتٍ )  
تضربان إلى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما . وقوله : أشراطية : ليس مما قصدنا له  
ولكنه مما يجرى فيفسر ، ومعناه أنها مطرت بنوء الشرطين . وأما قوله : الدهاب :  
فهى الأمطار اللينة الدائمة ، ويقال إنما أنجع المطر فى النبت ، وكذلك العهد .

ومن ذلك قول الآخر ، أحبه توبة بن الحُمير :

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى      بِلَيْلى العَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ  
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ      تَعَالَجُهُ وَقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ

ويروى : تجاذبه . فهذا غاية الاضطراب . وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم  
يبلغوا هذا المقدار .

ومن التشبيه المحمود قول الشاعر :

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمُنَّنْ عَلَيْهِ      أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرٍ  
وَلَا الحَجَّاجُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ      تُقَلِّبُ طَرْفَهَا حَدَرَ الصَّقُورِ

وهذا غاية في صفة الجبان . ولذى الرمة من التشبيه المصيب قوله :

بيضاء في دَعَج ، صفراء في نَعَج كأنها فضة قد مسها ذهب

وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي :

وكأنما انتطحت على ألباجها فُدُرُّ بشابة قد قمنَ وُعسولا (١)

الفادر : المُسن من الوعول . وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المُثَقَّب العبدى :

إذا ما قمتُ أرخلها بليلى تَأوُّهُ آهة الرجل الخزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة :

كانَ إبريقهم ظبيَّ على شرف مُفدَمٌ بسبا الكتان ملثوم (٢)

وقال عروة بن حزام العذري :

كان قِطاةً علقت بمناحها على كبدى من شدة الخفقان

ومن التشبيه الحسن قول جرير في صفة الخيل :

يشتفن للنظر البعيد كأنما إرئأها بيوائن الأشطان (٣)

(١) شابة : موضع . والألباج : جمع لبج ، وهو وسط كل شيء ومعظمه .

(٢) الشرف : الأرض المرتفعة . ومفدم : وضع على فمه لثام . وسبا الكتان : يريد

سباب ، وهي الشقة من الثياب الرقيقة .

(٣) الأشطان : جمع شطن ، وهو جبل البئر .

الأشطان : أراد شدة صهيلها ، يقول كأنما يصهلن في آبار واسعة تبين أشطانها  
عن نواحيها . ونظير ذلك قول النابغة الجعدي :

ويصهل في مثل جوف الطوى صهيلا بين للمغرب

المغرب : العالم بالخيال العراب . ومن حسن التشبيه قول عنترة :

غادرن نضلة في مَعْرَك يجر الأسنة كالمختطب

يقول : طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب . ومن  
التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتم الهدأة به كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدى يأت به <sup>(١)</sup> وجعلته كنار في رأس علم . والعلم : الجبل .  
ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج : تَقَضَّى البازي إذا البازي  
كسر . والنقضي : الانقضاض ، وإنما أراد سرعتها . والعرب تبدل كثيرا الياء من  
أحد التضعيفين ، فيقولون : تظنيت ، والأصل تظننت ، لأنه تفعلت من الظن .  
وكذلك تقضيت من الانقضاض أي تقضضت ، وكذلك كسريت . ومثل هذا  
كثير . ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار :

كان فؤاده كرة تبرى حذارَ البين إن نفع الحذارُ <sup>(٢)</sup>

(١) يأت : يهتدى .

(٢) تبرى : تشب .

وقال الحسن بن هانئ في صفة الخمر :

فإذا ما لمستهما فهبَاءً      تمنع المسَ ما تُبيح العيونَا  
دَرس الدهرُ ما تجسم منها      وتبقى لبأها المكنونَا  
في كؤوس كأنهن لجموم      جارياتٌ بروجها أيدينا  
طالعاتٌ مع السقاة علينا      فإذا ما غرَبنَ يغربنَ فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سخر كلام المحدثين . وقال الحنفى ،  
وهو إسحاق بن خلف في صفة السيف :

ألقى بجانب خصره      أمضى من الأجل المتاح  
فكأنما ذرَّ الهبَاءَ      ءَ عليه أنفاسُ الرياح

وقال دُعبل بن على في صفة مصلوب :

لم أرَ صفًا مثلَ صفِ الزُّطِّ      تسعين منهم صلبوا في خَطِّ  
من كل عالٍ جذعه بالشطِّ      كأنه في جـذعه المشتطِّ  
أخو نعاسٍ جدُّ في التَّمطِّي      قد خامر النومَ ولم يقبَطِّ  
ومن إفراط التشبيه قول أبي خراش الهدلي يصف سرعة ابنه في العدو :  
كأنهم يسعون في إثرِ طائر      خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض<sup>(١)</sup>  
يُبادر جنحَ الليل فهو مُهابذ      يحثُّ الجناحَ بالتبسط والقبض<sup>(٢)</sup>

(١) المشاش : جمع مشاشة ، وهى رأس العظم اللين . والنحض : اللحم المكتنر .

(٢) المهابذ : المسرع في جريه .

واعلم أن للتشبيه حدا . فالأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه . فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع . فإذا شبه الوجه بالشمس فإنما يراد الضياء والرويق ، ولا يراد العظم والإحراق . قال الله عز وجل : « كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ » . والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ونعمة لونه قال الراعي :

كَانَ بَيْضُ نَعَامٍ فِي مَلَاخِهَا إِذَا اجْتَلَاهُنَّ قَيْظٌ لَيْلُهُ وَمَدِّ

وقيل للأوسية ، وهي امرأة حكيمة من العرب ، بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله : « أى منظر أحسن ؟ » فقالت : « قصور بيض في حدائق خضر » . وأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد :

كَذُمَى الْعَاجِ فِي الْمَخَارِبِ أَوْ كَالْبَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنْبِرٌ  
وَقَالَ جَرِيرٌ :  
مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا رَأَوْا أُمَّ نُوْحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا  
كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءُ رَانِحَةٌ أَوْ ذُرَّةٌ لَا يُوَارِي لَوْكَهَا الصَّدْفُ

المزنة : السحابة البيضاء خاصة ، وجمعها مزن ، فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مَرَّها . قال الأعشى :

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ

الريث : الإبطاء . فهذا ما تلحقه العين منها . فأما الخفة فهي كأسرع ما رَ وإن خفى ذلك على البصر . والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال

والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرّة والبيضة . وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء . قال ذو الرمة :

وَمَيَّةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيْدًا      وسالفةٌ وأحْسَنُهُمْ قَدْ ذَلَا  
فلم أرَ مثلها نظراً وعينا      ولا أمَّ الغزالِ ولا الغزالا  
تُرِيكَ بياضَ غُرْقَمَا ووجهها      كقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثم زالا  
أصابَ خِصاصةً فبدأ كَلِيلا      كلا وانقَلَّ سائِرةً انغلالا (١)

الجيد : العنق . والسالفة : ناحية العنق . والقذالان : ناحيتا القفا من الرأس .  
وقوله : أفثق ثم زالا : يقال أفثق السحاب ، إذا انكشف انكشافاً فكانت فيه  
فرجة يسيرة بين السحابتين ، تقول العرب : دام علينا الغيم ثم أفثقنا ، وإذا نُظر  
إلى الشمس والقمر من فثق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشدّه استتارة .  
وقوله : كلا ، يريد في سرعة ما بدأ ثم غاب . وقال عز وجل :  
﴿ كَأَكْهَنُ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ ﴾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ .  
وقال ذو الرمة :

فيا ظبيةَ الوَعساءِ بين جُلاجلِ      وبين النقا أنتِ أم أمِ سالمِ (٢)  
وقال ابن أبي ربيعة :

أبصرُها ليلةً ونِسوتُها      يَمْشِينَ بين المَقامِ والحجرِ  
يَرُفْلَنَ في الرِّيطِ والمُرُوطِ كما      تَمْشِي الهَوَينا سواكنُ البقرِ (٣)

- (١) الثقلان : الإنس والجن . والخصاصة : كل خلل أو فرج . وانغل : دخل وخفى .  
(٢) الوعساء : الرمل الذي يصعب المشى فيه وتغيب فيه الأقدام .  
(٣) يرفلن : يتبخترن ويجرون أذيالهن . والريط : الملاء إذا كانت قطعة واحدة . والمرط :  
الثوب غير المخيط .

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة . وقال أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ :

قد رأينا الغزال والغصن والنجم	مين شمس الضحى وبدر الظلام
فَوَحَقَّ الْبَيَانَ يَعْضُدُهُ الْبِر	هان في مَاقِطِ أَلَدِّ الْخِصَامِ
ما رأينا سوى المليحة شيئا	جمع الحُسْنِ كُلِّهِ فِي نِظَامِ
فهى تجرى مَجْرَى الْأَصَالَةِ فِي الرَّأ	ى ومجرى الأرواح فى الأجسام

المأقط : موضع الحرب ، فضربه مثلا لموضع المناظرة والحاجة . والألد :  
الشديد الخصومة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ .

## الرياح

الرياح أربع ، وما بين كل ريحين كُتُبَاءُ ، فهى ثمان فى المعنى . فما بين مَطْلِعِ  
سهيل إلى مطلع الفجر جنوب . وإنما تأتى الجنوب من قِبَلِ الْيَمَنِ . قال جرير :

وَحَبْدًا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَّةٍ      تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا

وإذا هبت من تلقاء الفجر فهى الصبا ، تقابل القبلة ، فالعرب تسميها  
القَبُولُ قال الشاعر :

إذا قلتُ هذا حين أسلو يهيجُنِي      نسيم الصبا من حيث يطلُعُ الفجر

وإذا أتت من قِبَلِ الشَّامِ فهى شمال قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا      بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ القَطَنِ مَشُورِ

وإذا جاءت من دُبُر البيت الحرام فهي الدُّبُور ، وهي تهب بشدة ، والعرب تسميها مَحْوَةٌ ، عن أبي زيد ، لأنها تمحو السحاب .  
فأما الأصمعي فزعم أن محوة من أسماء الشمال . وأنشدا جميعا :

قد بَكَرَتْ محوَةٌ بالعَجَاج      فدمرتُ بقية الرُّجَاج <sup>(١)</sup>

الرجاج : حاشية الإبل وضعافها .

ولهذه الرياح أسماء كثيرة ، وأحكام كثيرة ، وأحكام في العربية ، لأن بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء ، وكذلك مصادرها تحتاج إلى الشرح والتفسير . يقال جَنَتْ الرِّيحُ جنوبا ، وشَمَلتْ شُمولا ، ودَبَرَتْ دُبورا ، وصَبَتْ صُبوا ، وَسَمَّتْ سُموما ، وحرَّتْ حُرورا ، مضمومات الأوائل . فإذا أردت الأسماء فتحت أوائلها ، فقلت : جَنوب ، وشَمول ، وسَموم ، ودَبور ، وحرور . ولم يأت من المصادر شيء مفتوح الأول إلا أشياء يسيرة ، قالوا تَوَضَّأت وَضوءا حسنا ، وتَطَهَّرتْ طهورا . ويقال الشمال على لغات ست ، يقال : شَمال ، وشامل ، وشَمال ، وشَمَل وشَمَلٌ وشامل غير مهموز . ويقال للشمال الجَرِيَاء .

ويقال للجنوب الأَرَب ، ويقال للصبا القَبول ، وبعضهم يجعله للجنوب ، وهو في الصِّبَا أشهر بل هو القول الصحيح ، والهَيْر والأَيْر والهَيْر . وقال الشاعر :

\* مَطاعيم أيسار إذا الهَيْرُ هَبَّتِ \*

(١) العجاج : الفجار .

فهذا يدل على أنه الصبا ، وذاك أنهم يتمدحون بالإطعام في المشتاة وشدة  
الزمان كما قال طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقِرُ

الجفلى : العامة . والتقري : الخاصة . والآدب : صاحب المأدبة ، يقال  
مأدبة ومأذبه للدعوة .

يقول أكثر العرب : هذه ريح لمجنوب ، وريح شمال ، وريح دبور . فتجعل  
جنوبا وشمالا ودبوراً وسائر الرياح نعوتاً . قال الأعشى :

لها زَجَلٌ كحفيف الحصا دِ صادف بالليل ريحا دهوراً<sup>(١)</sup>

وقال جرير : \* ريح خريق شمال أو يمانية \* فهذا يكون على النعت أجود  
لأنه أوضحه بيمانية ولا تكون اليمانية إلا نعنا لأنها منسوبة . فأما الخريق فهي  
الشديدة من كل ريح .

والليل : الباردة من كل الرياح ، وأصل ذلك الشمال . قال جرير يعبر بنى  
مجاشع بخذلائهم الزبير بن العوام في كلمة يقول فيها :

إني تُدكرني الزبيرَ حمامةً      تدعو بأعلى الأيكتين هديلاً  
يا لهفَ نفسي إذ يُفركُ حبلهم      هلا اتخذتَ على القيون كفيلاً  
قالت قريش ما أذلَّ مجاشعاً      جاراً وأكرمَ ذا القليل قتيلاً

(١) الزجل : الصوت .

أفبعدَ مَثْرَككم خليلَ محمد  
ترجو القيونُ مع الرسول سبيلا ؟  
أففى الندى وفق الطَّعان غررثم  
وأخا الشمال إذا قَب بليلا ؟

وكان لبيد بن ربيعة شريفا في الجاهلية والإسلام ، وكان قد نذر أن لا قَب الصبا إلا لحر وأطعم حتى تنقضى . فهبت بالإسلام وهو بالكوفة مقتر مملق . فعلم بذلك الوليد بن عقبة . فخطب الناس ، وقال : « إنكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكد على نفسه ، فأعينوا أخاكم » . ثم نزل فبعث إليه بمئة ناقة ، وبعث الناس ، فقضى ندره . ففي ذلك تقول ابنة لبيد :

إذا هبت رياح أبي عقيـل  
دعونا عند هبَّتها الوليدا

وتقول في أكثر الكلام : هبت جنوبا ، وهبت شمالا ، فتستغنى عن ذكر الريح . وهذا مما يؤكد أنها نعوت ، لأن الحال إنما باها أن تقع فيما يكون نعنا . قال جرير :

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتكم  
عند الصفاة إلى شرقى حوراننا

وقال أوس بن حجر في شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كَلْدَة الأسدي :

والحافظ الناسَ في تحوِّطٍ  
لم يُرسلوا تحت عائدٍ رُبعا  
وعزَّتِ الشَّمَالُ الرياحَ وقَد  
أمسى كَميعِ الفِئاةِ مُلتفعا (١)  
وكانت الكاعب المنعمة الـ  
حسنا في زاد أهلها سُبعا

(١) عزت : غلبت . والكميع : الضجيع .

تحوط وقحوط وكخل وحجرة أسماء للسنة المجدبة . والعائد : الحديث النتاج  
فتنحر أولادها في السنة المجدبة إبقاء على ألبانها وشحومها . والربع : الذي ينتج في  
الربيع . والمبع : الذي ينتج في الصيف . يقال : ماله هبع ولا ربع ، وإنما سمى هبعا  
لأن الربع أسن منه فيمشى مع أمهاتها ولا يلحقهن المبع إلا باجتهاد ، فيستعين  
بعنقه في المشى يقال إذا فعل ذلك هبع يهبع . ويقال للريح الشمال : نشع ومسنع  
قال الهذلي :

قد حال دون دريسيه مؤوبية نسع لها بعضاه الأرض تهزير

الدريسان : ثوبان خلقتان . ومؤوبية : مفعلة من التأويب ، وهو سير النهار  
لا تعريج فيه . قال أبو عبيدة : هو سير النهار . والإسآد : سير الليل لا تعريس فيه .  
وإنما يعنى ريحا . وقوله نسع : أى شمال . والعضاه : شجرة ضخمة ، فبعض العرب  
يقول للواحدة : عضة ، فيقول فى الجمع : عضوات وعضهات .

ويقال للريح الجنوب الثعامى . قال أبو ذؤيب :

مرته الثعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشام ريحا

ومعنى مرته : استدرته <sup>(١)</sup> . وفى الحديث : « ماهيت الريح الجنوب إلا  
أسأل الله بها واديا » . وقال رجل يمدح رجلا :

فنى خلقت أخلاقه مطمئنة له كفحات ريحهن جنود

(١) أى حلبته .

يريد أن الجنوب تأتي بالمطر والندى . والعرب تكره الدبور . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور» . وقلما يكون بالدبور المطر لأنها تجفل السحاب . ويكون فيها الرهج والغبرة ، ولا تهب إلا أقل ذلك إلا بشدة فتقلع البيوت وتأتي على الزرع . وقال رجل يهجو رجلا :

لو كنت ريحا كانت الدُّبورا      أو كنت غيما لم تكن مطيرا  
أو كنت ماء لم تكن طهورا      أو كنت مُخا كنت مخاريرا  
أو كنت بردا كنت زمهيرا

الريز : المخ الرقيق ، يقال مخ ريز ورار ، في معنى واحد .

فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» فإن العرب تقول : لا تُلَقِّح السحاب إلا من رياح . وتصديق ذلك قول الله عز وجل : «الذي يُرسل الرياح فُثِّير سحابا» . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا هبت بخرية ثم تداءبت» . قال الشاعر : \* تَسُحَّ إذا تدابت الرياح \* يقول إذا تقابلت ، يقال تداابت الرياح وتناوحت أى تقابلت . فإذا خلصت الريح عندهم دبورا فهي من جنس السوار ، وإذا خلصت شمالا شتوية فهي من آيات الجذب ، ومن ثم تقول العرب : فلان يطعم في الشمال ، كما تقول يطعم في الخُل .

## أقبح العيوب

كان زياد يقول ، وهو الغاية في السياسة : « أوصيكم بثلاثة : بالعلم والشريف ، والشيخ . فوالله لا أوتى بوضع سب شريفاً أو شاب وثب بشيخ أو جاهل امتهن عالماً ، إلا عاقبت وبالغت » . وقال عمارة لبني أسد بن خزيمة :

يا أيها السائل عموماً لأخبره	بدايات نفسي وأيدي الله فوق يدي
إن تستقم أسدٌ ترشُد وإن شُغبت	فلا يلمُ لائم إلا بني أسد
إني رأيتكم يُغصى كبيركم	وئكنعون إلى ذى الفجرة النكد
فباعد الله كلَّ البعد داركم	ولا شفاكم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضاً . والوضع ينقلب إلى الشريف لأنه يرى مقاولته فخراً ، والاجترأ عليه ربماً ، كما أن مقاولة الشريف للثيم ذل وضعه . وقال الشاعر :

إذا أنتَ قاوت اللثيم فإثمًا	يكون عليك العتبُ حين تُقاوله
ولست كمن يرضى بما غيرهُ الرضا	ويعسح رأس الذئب والذئبُ آكله

وقد امتنع قوم من الجواب تنبلاً ومواضعهم تبيء عن ذلك . وامتنع قوم عياً بلا اعتلال . وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكرامة السفه ، وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه ، وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسبب سيد قومه . وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذحول<sup>(١)</sup> . قال الراجز :

(١) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثمار .

مَلْتُ عَلَى الْأَغْطَشِ أَوْ أَبَانَ  
أَوْلَاكَ قَوْمَ شَأْنِهِمْ كَشَانِ  
وَإِنْ سَكَتُ عَرَفُوا إِحْسَانِي

وَالْمَدْحَ عَنكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلَ  
عَرَضَ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتِ ذَلِيلَ

يَبْحَثُ مِنْ مَوْضِعِ نَائِي  
لَوْ نَلْتِ لِلشَّاعِرِ وَالرَّائِي  
حَلَمْنِي قَلِيلَةَ أَكْفَانِي

إِنْ بَجِيلًا كَلِمًا هَجَانِي  
أَوْ طَلْحَةَ الْخَيْرِ فَتَى الْفَتِيَانِ  
مَا نَلْتِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ كَفَانِي  
وَقَالَ أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ :

أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَذَقُّ عَرَضُكَ دُونَهُ  
فَإِذْ هَبْ فَأَنْتِ عَتِيقُ عَرَضِكَ إِنَّهُ  
وَقَالَ آخَرُ :

كُنْتُ كَلْبًا هَابَ رَمِي لَهُ  
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ هَجُونَاكَ أَوْ  
فَعَجَّ عَنْ شَتْمِي فَإِنِّي أَمْرُؤُ

ووقف رجل عليه مقطعات<sup>(١)</sup> على الأحنف بن قيس يسبه ، وكان عمرو بن  
الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف فجعل لا يالو<sup>(٢)</sup> أن يسبه سبا  
يغضب ، والأحنف مطرق صامت . فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعص إهاميه  
ويقول : « يا سو أتاه ، والله ما يمنعه من جوابي إلا هواني عليه » .

وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الأحنف ، فأكثر الرجل إلى أن أراد الأحنف  
القيام للغداء . فأقبل على الرجل فقال له « يا هذا ، إن غداءنا قد حضر ، فانهض  
بنا إليه إن شئت ، فإنك منذ اليوم تحددو بجمل ثقال » والثقال من الإبل : البطيء  
الثقيل الذي لا يكاد يبعث .

(١) المقطعات : كل ما قطع وخيط من الثياب .

(٢) يالو : يقصر .

وَعُدَّتْ عَلَى الْأَحْنَفِ سَقَطَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَهُوَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْأَهْتَمِ دَسَّ إِلَيْهِ رَجُلًا لَيْسَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : « أبا بَجْر ، مَا كَانَ أَبُوكَ فِي قَوْمِهِ ؟ » قَالَ : « كَانَ مِنْ أَوْسَطِهِمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ » . فَرَجَعَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً . فَظَنَّ الْأَحْنَفُ أَنَّهُ مِنْ قَبْلِ عَمْرُو فَقَالَ : « مَا كَانَ مَالُ أَبِيكَ ؟ » فَقَالَ : « كَانَتْ لَهُ صِرْمَةٌ يَمْنَحُ مِنْهَا وَيَقْرِي ، وَلَمْ يَكْ أَهْتَمُ سَلَاحًا » .

فَأَمَّا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ لِلرَّجُلِ مَا قَالَ فَمِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ ، وَإِنَّمَا مَخْرَجُهُ الدِّيَانَةَ . وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا سَبَّ الشَّعْبِيَّ بِأُمُورٍ قَبِيحَةٍ نَسَبَهُ إِلَيْهَا . فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : « إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي » . وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « لِأَسْبَابِكَ سَبَا يَدْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ » . فَقَالَ : « مَعَكَ وَاللَّهِ يَدْخُلُ لَا مَعِي » .

وَيَتَّصِلُ بِهَذَا الْبَابِ ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ بِرَجُلٍ عَنْ إِزْثِ رَجُلٍ لَا يَشَاكِلُهُ وَوَلَايَةِ رَجُلٍ لَا يَشَاهُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

بَكَتْ دَارُ بَشْرِ شَجْوَهَا أَنْ تَبَدَّلَتْ      هَلَالَ بِنِ قَعْقَاعٍ بِبَشْرِ بَنِ غَالِبِ  
وَمَا هِيَ إِلَّا كَالْعُرُوسِ تَنْقُلَتْ      عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مَحَارِبِ

### التشبيهات المستحسنة

ثم نرجع إلى التشبيه المصيب . قال امرؤ القيس في طول الليل :

كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِقِهَا      بِأَمْرَاسِ كَتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

فهذا في ثبات الليل وإقامته . والمصام : المقام ، وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك . والأمراس : جمع مَرَس وهو الحبل .

وقال في ثبات الليل :

فِيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ تَجْوَمَهُ      بكلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيذْبُلِ

المغار : الشديد القتل ، يقال أَعْرَتُ الحبل إذا شددت قتله . ويذبل : حبل بعينه . وقال أيضا :

كَأَنَّ أَبَانَ فِي أَفَانِينَ وَدَقِّهِ      كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلِ

أبان : جبل ، وهما أبانان : أبان الأسود ، وأبان الأبيض . وقوله : في أفانين ودقه : يريد ضروبا من ودقه . والودق : المطر . وقوله : كبير أناس في بجاد مزمل : يريد مزملا بشيابه . قال تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . وهو المتزمل ، والتاء مدغمة في الزاي . وإنما وصف امرؤ القيس الغيث ، فقال قوم : أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل ، وقال آخرون : إنما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت ، وكلاهما حسن . وذكر الودق لأن تلك الخضرة من عمله .

وقال زهير :

كَأَنَّ فُتَاتِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَزَلِ      نَزَلْنَ بِهِ حَبَّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ

الفناء : شجر ينثر ثمرا أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار . فهذا من أحسن التشبيه . وإنما وصف ما يسقط من أعماطهن إذا نزلن . والعهن : الصوف

الملون في قول أكثر أهل اللغة ، وأما الأصمعي فقال : كل صوف عهن . وكذلك قال أهل اللغة : الحنتم : الخزف الأخضر ، وقال الأصمعي : كل خزف حنتم .

والتشبيه جار كثير في كلام العرب ، حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم ، لم يبعد . قال الله عز وجل وله المثل الأعلى : ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ وقال : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ . وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين في هذه الآية ، فقال : « إنما يمثل الغائب بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها ، فكيف يقع التمثيل بها ؟ » وهؤلاء في هذا القول كما قال الله عز وجل : ﴿ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ وهذه الآية قد جاء تفسيرها في ضربين : أحدهما أن شجرا يقال له الأستن منكر الصورة يقال لثمره رؤوس الشياطين ، وهو الذي ذكره النابغة في قوله : \* تحيد من أستن سود أسافله \* وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم . والقول الآخر ، وهو الذي يسبق إلى القلوب ، أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد ، وكان ذلك أبلغ من المعاينة . ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس .

وحدثت في إسناده متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشام بن عبد الملك \* والشمس قد صارت كعين الأحول \* لما ذهب به الرؤى عن الفكر في عين هشام . فأغضبه فأمر بطرده . فأمل أبو النجم رجعته وكان يأوى المساجد . فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه : « أبغني رجلا فصيحاً يحادثني وينشدني » . فطلب له ما طلب فوقف على أبي النجم فأتى به . فلما دخل به إليه قال : « أين تكون منذ أقصيناك ؟ » قال : « بحيث ألفتني رسلك » . قال : « فمن كان أبا مثواك ؟ » قال : « رجلين كلبيا وتغلبيا ، أتغدى عند أحدهما وأنعشى عند الآخر » . فقال له :

«مالك من الولد؟» قال : «ابتان» . قال : «أزوجتهما؟» قال : «زوجت  
إحداهما» . قال : «فيم أوصيتها» قال : «قلت لها ليلة أهديتها :

سُبِي الحِمْيَاءَ وَابْتَهَى عَلَيْهَا      وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا  
ثُمَّ اقْرَعِي بِالرَّوْدِ مَرْفَقَيْهَا      وَجَدَدِي الحِلْفَ بِهِ عَلَيْهَا  
لا تخبرى الدهرَ بذاك ابنيها

قال : «أفاوصيتها بغير هذا؟» قال : «نعم قلت :

أوصيتُ من بَرَّةٍ قلباً حِمْيَراً      بالكلبِ خيراً والحِمْيَاءَ شِمْراً  
لا تَسَامِي كَهَكَاهَا وَضَمَّراً      والحَيُّ عُمَيْهِمْ بِشَرِّ طَمَّراً  
وَإِنْ كَسَبُوا ذَهَباً وَدُرّاً      حَتَّى يَرَوْا حُلُومَ الحَيَاةِ مَرّاً

فقال هشام : «ما هكذا أوصى يعقوب ولده» قال أبو النجم : «ولا أنا  
كيعقوب ولا بنتى كولده» . قال : «فما حال الأخرى؟» قال : «قد درجت  
بين بيوت الحى ، ونفعتنا فى الرسالة والحاجة» قال : «فما قلت فيها؟» قال :  
قلت :

كَانَ ظَلَامَةٌ أُخْتُ شَبِيَّانِ      يَتِيمَةٌ وَوَالِدَاهَا حَيَّانِ  
الرَّاسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصَبَّانِ      وَلَيْسَ فِي الرَّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانِ  
فَهِيَ الَّتِي يُدْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانِ

فقال هشام لحاجبه : «ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها؟» قال :  
«هاهى عندى ووزنُها خمسمئة» . قال : «فادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجل  
ظلامه مكان الخيطين» . أفلا تراه قال : \* فهى التى يدعر منها الشيطان \*  
وإن لم يره ، لما قرّر فى القلوب من نكارتة وشناعته . وقال آخر :

وفى البقل إن لم يدفع الله شره      شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرّد من جن أو إنس يقال له شيطان ، وأن قولهم :  
تشيطان ، إنما معناه تحبّث وتنكر . وقد قال الله جل وعز : ﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ  
وَالْجِنِّ ﴾ . قال الراجز :

أبصرها تلتهم الثعبانا      شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس :

أتو عدني والمشرقي مضاجعي      ومسنونة زرق كأياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها .

ومن التشبيه المطرد على السنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها  
قال الراجز :

كأنها ليلة غب الأزرق      وقد مددنا باعها للسوق  
خرقاء بين السلمين ترتقي

قوله : ليلة غب الأزرق ، إنما يعني موضعاً ، وأحسبه ماء لأنهم يقولون  
نطفة زرقاء ، وهي الصافية . وقوله : وقد مددنا باعها للسوق ، يقول استفرغنا ما  
عندها من السير . يقال : تبوعت وانباعت ، إذا مدت باعها . وقوله : خرقاء بين  
السلمين ترتقي ، يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود .

وقال الشماخ :

كَأَنَّ ذُرَاعِيهَا ذُرَاعَا مُدَلَّةٌ      بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلْتُ أَنْ تَعَدَّرَا  
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَا فَا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ

فِرَاسَ بِنِ عَنُومٍ أَوْ لَقِيظَ بِنِ يَعْمُرَا  
بِمَا شَرَّقَ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبِرٍ      أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءَ الْمُخْبِرَا  
تَقُولُ وَقَدْ بَلَ الدَّمُوعَ خِمَارَهَا      أَبِي عَفْقَى وَمَنْصَبِي أَنْ أَعْبِرَا  
كَأَنَّ بَدْفِرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ      أَكْفُ رِجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبِرَا  
كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوْتَقٌ تَحْتَ غَرَضِهَا  
إِذَا هُوَ لَمْ يَكَلِّمْ بِنَايِيهِ ظَفْرَا

شبه يديها يدي مدلة بجمال ومنصب قد سأبت وأقبلت تعتذر وتشير يديها ،  
فوصف جهاتها الذي به تُدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته . وقوله : أطارت من  
الحسن الرداء المخبرا ، يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر لأنها  
تتهج بكل ما في وجهها ورأسها . وقوله :

كَأَنَّ بَدْفِرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ      أَكْفُ رِجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبِرَا

يقول : لسواد الذفرى وهذا من كرمها . وأما قوله :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوْتَقٌ تَحْتَ غَرَضِهَا      إِذَا هُوَ لَمْ يَكَلِّمْ بِنَايِيهِ ظَفْرَا

يقول : ليست تستقر فكان ابن آوى يكلمها بناييه أو يخلبها بظفره فهي لا  
تستقر . والغرض والغرضة : واحد ، وهو حزام الرُّحْلِ . وقال آخر :

كَانَ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعًا بَدِيئَةً      مَفْجَعَةٌ لَاقَتْ خَلَائِلَ عَنِّ غُفْرٍ  
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَفْرَغَتْ فِي حَدِيثِهَا      فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدِينِ كَمَا تَفْرِي

ولو قيل : إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ، ما كان ذلك بعيدا .  
وصفها بأنها بديئة ، وقد فُجعت بما أسمعته ونيل منها ، ولقيت خلائلها بعد زمان ،  
وتلك الشكوى كامنة فيها ، وأصغين إليها يتسمعن . والفري : الشق .

وقال امرئ القيس :

كَانَ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا      إِذَا نَجَلَّتْهُ رِجْلُهَا خَذَفُ أَعْسَرَا  
كَانَ صَلِيلَ الْمَرُوِّ حِينَ تُشَادُّهُ      صَلِيلَ زَيْوْفٍ يُنْتَقَدْنَ بَعْقَرَا (١)

قوله : خذف أعسرا : يريد أنه يذهب على غير قصد . وقوله : صليل زيوف  
يقال إن الزيف شديد الصوت صافيه .  
وقد أكثروا في هذا . فمن الإفراط في السرعة قول ذى الرمة :

كَانَهُ كَوَكَبٍ فِي إِثْرِ عَفْرِيَّةٍ      مُسَوِّمٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٍ (٢)

يقال : عفريت وعفرية في معنى واحد .

ومن الإفراط قول له :

بَارِضٌ تَرَى فَرَخَ الْجَبَارِيِّ كَانِهِ      بِمَا رَاكِبٌ مَوْفٍ عَلَى ظَهْرِ قَرْدَدٍ (٣)

(١) نجلته : رمته . والمرؤ : حجر الصوان . وتشده : تنحيه وتقصيه . وعقر : موضع .

(٢) مسوم : معلم . منقضب : منتقل من مكان إلى آخر .

(٣) القردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .

ومن ذلك قوله :

وكادت على الأطواء أطواء ضارج  
وقال آخر :

مروحٌ برجليها إذا هي هجرت  
ويعنها من أن تطير زمامها (٢)

وكذلك الأعرابي الذي يقول \* لو ترسل الريح لجئنا قبلها \* وأملح ما قيل  
في هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس :

وقد اغتدي والطيرو في وكناها  
بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٣)

فجعله للوحش كالقيد . ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذى  
الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته  
وقد جَلَلته المظلماتُ الحنادس

الحنادس : اشتداد الظلمة وهو توكيد لها . وقال الشماح في صفة الفرس :

مُفجُّ الحوامي عن نسور كأنها  
نوى القسبِ ثرتُ عن جرِيمِ مُلجَلج (٤)

(١) الأطواء : جمع طوى ، وهي البئر المطوية . وضارج : موضع .

(٢) هجرت : سارت في الهجرة ، وهي حر منتصف النهار .

(٣) الوكنات : جمع وكنة ، وهي عش الطائر . والمنجرد : القصير الشعر من الخيل .  
والهيكل : العظيم .

(٤) القسب : النمر اليابس . والجرِيم : المخصود المقطوع .



كَأَنَّ حَدِيثَهَا قَطَعَ الْجِنَان  
كَانَ عَظَامُهَا مِنْ خَيْرِ زَرَان

وَبَيْضَاءِ الْمَخَاجِرِ مِنْ مَعَد  
إِذَا قَامَتْ لَسُبَّحَتَهَا تَنْت

والخيزران : كل غصن لين يتثنى .

وقد عاب بعض الناس قول كثير :

يَمِجُ النَّدَى جَنَاجِلَهَا وَعَرَارُهَا  
تَلَاقَتْ بِهِ عَطَارَةَ وَتَجَارُهَا  
وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى  
بِمَنْخَرٍ مِنْ بَطْنِ وَادِ كَأَنَّهَا  
بِاطْيَبٍ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةٌ مَوْهِنَا

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير ، فقالت : « أنت القائل هذين البيتين ؟ » قال : « نعم » . قالت : « فض الله فاك ! أرايت لو أن زنجية بجرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنِي كَلِمًا جِئْتُ طَارِقًا  
وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تُطَيِّبِ

الجنجاث : ريحانة طيبة الريح بريئة من أحرار البقل . والعرار : البهار البري ، وهو حسن الصفرة طيب الريح . وقوله : موهنا : يريد بعد هده ، يقال أتانا بعد هده من الليل ، وبعد وهن ، أى بعد دخولنا فى الليل . والمندل : العود ، يقال له المندل والمندلى .

قال الراجز :

جَنِيَّةٌ فِي رَأْسِهَا أَمْرَاسُ  
يَخْرُجُ مِنْهَا الْحَجَرُ الْكُبَّاسُ (١)  
لَا نَافِلَ الطَّعْنِ وَلَا تَرَّاسِ

كَأَنَّهَا حِينَ تَنَاهَى الْبَنَاسُ  
بِهَا سَكُونٌ وَهِيَ شِمَاسُ  
يَمْرٌ لَا يَجْبَسُهُ حَبَّاسُ

(١) الشماس : الامتناع والإبساء .

يصف المنجنيق . والأمراس : الحبال ، الواحدة مَرَسَة . والكباس : الضخم .  
والحباس : الذى من شأنه أن يجبس ، يقال : رجل ضارب للذى يضرب ، كثيرا  
كان منه ذلك أو قليلا . فإذا قلت : ضَراب وقاتل ، فإنما يكثر الفعل ولا يكون  
للقليل .

والعرب تشبه على أربعة أضرب : فتشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه  
مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه ، وهو أخشن الكلام .  
فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخى : هو كالبحر ، وللشجاع : هو  
كالأسد، وللشريف : سما حتى بلغ النجم ، ثم زادوا فوق ذلك . فمن ذلك قول  
بعضهم :

له همم لا منتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها	على البر صار أندى من البحر
ولو أن خلق الله مسك فإرس	وبارزه كان الخلى من العمر <sup>(١)</sup>

وقد قيل إن امرأة عمران بن حطان قالت له : «أما زعمت أنك لم تكذب  
في شعر قط ؟» قال : «أو فعلت» قالت: أنت القائل :

فهناك مجزأة بن ثور      ر كان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الأسد ؟ ، فقال : «أنا رأيت مجزأة فتح مدينة ،  
والأسد لا يفتح مدينة» .

(١) المسك : المجلد .

ومن عجيب التشبيه في إفراط غير أنه خرج في كلام جيد ، وعن به رجل  
 جليل فخرج من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان ، ثم جعل لجودة ألفاظه  
 وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن ، قول النابغة يعني حصن ابن  
 حديفة :

يقولون حصن ثم تآبى نفوسهم      وكيف بحصن والجبال جُنُوحُ  
 ولم تلفظ الموتى القبورُ ولم تزل      نجومُ السماء والأديم صحيح  
 فعَمَّا قليلٍ ثم جاء أَيْبُـهُ      فظل ندى الحى وهو ينسوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم قول أبي الطمّحان :

أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم      دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه

ويروى عن الأصمعي أنه رأى رجلا يختال في أزيّر في يوم قرّ في مشيته ، فقال  
 له : «من أنت يا مقررور ؟» فقال : «أنا ابن الوحيد ، أمشى الخيزلي ويدفنى  
 حسي<sup>(١)</sup> .»

وقيل لآخر في هذا الحال : «أما يوجعك البرد ؟» فقال : «بلى والله ، ولكني  
 أذكر حسي فأدفا» . وأصوب منهما قول العريان الذي سنل في يوم قر عما يجبد .  
 فقال : «ما علىّ منه كبير مؤنة» . وقيل : «وكيف ؟» فقال : «دام بي العرى  
 فاعتاد بدن ما تعتاده وجوهكم» .

(١) أزيّر : تصغير إزار ، وهي الملحفة . والقر : البرد . والخيزلي : مشية فيها تفكك  
 وتناقل .

ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة :

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ      أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضُّوَاجِعُ  
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَنْيَلَةً      مِنْ الرُّقْشِ فِي أُنْيَاهَا السَّمِ نَاعِ  
يُسْهَدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا      لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعِ  
تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا      تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ (١)

فهذه صفة الخائف المهموم . ومثل ذلك قول الآخر :

تَبَيْتَ الْمَهْمُومَ الطَّارِقَاتِ يَعْذَنِي      كَمَا تَعْتَرِي الْأَوْصَابَ رَأْسَ الْمَطْلُوقِ

والمطلق : هو الذي ذكره النابغة في قوله \* تطلقه طورا وطورا تراجع \* وذلك أن النهوش إذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة ، فقد قارب أن يواس من برئه . وإنما ذكر خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة في إثر لوعة والفترة بينهما . والخائف لا ينام إلا غرارا ، فلذلك شبهه بالمدوغ المسهد . وقوله : حلّى النساء في يديه قعاقع ، لأنهم كانوا يعلقون حلّى النساء على المدوغ ، ويزعمون أن ذلك من أسباب البرء ، لأنه يسمع تقعقعا فيمنعه النوم ، فلا ينام فيدب فيه السم ويسهد لذلك .

وقال الآخر :

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ      عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كُفَّةٌ حَابِلٌ  
يُؤْتِي إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ      تَيْمَّمُهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلِ

(١) راكس والضواجع : موضعان . والرّقش : جمع رقصاء ، وهي الحية المنقطة بسواد

وبياض .

يقال لكل مستطيل كفة ، ويقال لكل شيء مستدير كفة . وكفة الحابل :  
يعنى صاحب الحباله التى ينصبها للصيد .

وأما التشبيه البعيد الذى لا يقوم بنفسه فكقوله :

بل لو رأيتى أختُ جيراننا — إذ أنا فى الدار كـأنى حمار

فإنما أراد الصحة . فهذا بعيد لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره . وقال الله  
جل وعز ، وهذا البين الواضح : « كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا » . والسفر :  
الكتاب . وقال : « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ » فى  
أهم قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها، حتى صاروا كالحمار  
الذى يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها .

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس . وقد وقع على ألسن الناس من  
التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين  
الظبي أو البقرة الوحشية ، والأنف بحد السيف، والفم بالخاتم ، والشعر بالعناقيد،  
والعنق بإبريق فضة ، والساق بالجُمَار<sup>(١)</sup> . فهذا كلام جارٍ على الألسن . وقد قال  
سراقة بن مالك : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان فى غرزه  
كأنهما جمارتان ، فأردته فوقعت فى مقنّب من خيل الأنصار ، ففزعوني بالرماح ،  
وقالوا : « أين تريد ؟ » .

(١) الجمار : شحم النخلة .

وقال كعب بن مالك الأنصاري : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُر تبلج وجهه فصار كأنه البدر » . وعين الإنسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور وشعرهم المنظوم من جرى ما تكلمت به العرب وكثر في أشعارها . قال :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها  
ولكن عظم الساق منك دقيق  
وقال الآخر :

فلم ترعيني مثل سرب رأيتـه  
طلعن بأعناق الظبا وأعين الـ  
خرجن علينا من زقاق ابن واقف  
جآذر وامتدت بمن الروادف

ويقال للخطيب : كان لسانه مبرد . فهذا الجارى في الكلام . كما يقال لسطويل : كأنه رمح ، ويقال للمهتز للكرم : كأنه غصن تحت بارح <sup>(١)</sup> . ومن مליح التشبيه قول القائل :

لعينيك يومَ البين أسرعُ واكفـا  
من الفَنِّن الممطـورِ وهو مَروح

وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقة فيصير منها في مثل المداهن ، فإذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره .

ثم نذكر بعد هذا طوائف من تشبيه المحدثين وملاحقهم ، ومن أكثرهم تشبيها لا تساعه في القول ، وكثرة تفننه واتساع ملاحبه الحسن بن هانئ . قال في مديحه الفضل بن يحيى :

(١) البارح : الريح الحارة .

وكننا إذا ما الحائنُ الجَدَّ غَرَّةُ  
تردَّى له الفضلُ بن يحيى بن خالد  
أمام خميس أرجوان كأنه  
فما هو إلا الدهرُ يأتي بصره  
سنًا برقٍ غارٍ أو ضجيجٍ رِعَادٍ  
بماضى الظبي أزهاه طولُ نِجَادٍ  
قميصٌ مَحوِكٌ من قنا وجياد  
على كل من يشقى به ويعادى

قوله : الحائن الجَد ، يقال حان الرجل ، إذا دنا موته ، والجَد : الحظ . والسنا  
من الضياء ، مقصور ، قال الله عز وجل : « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ »  
وجمع الرعد فقال : رعاد ، ، كقولك كلب و كلاب . وقوله : بماضى الظبي ، ظبة  
كل شيء : حده . والنجاد : هائل السيف . وأزهاه : رفعه وأعلاه ، والرجل  
يُمدح بالطول ، فلذلك يذكر طول حمائله . والخميس : ههنا الجيش . والأرجوان :  
الأحمر . ومن تشبيهه الجيد في هذا الشعر الذى ذكرنا قوله :

ترى الناس أفواجا إلى باب داره  
فيومٍ لإلحاق الفقير بـلدى الغنى  
ومن التشبيه الجيد قوله :  
فكانى بما أزيّن منها  
كأنهم رِجلا ذبا وجراد<sup>(١)</sup>  
ويومٌ رقاب بوكرت لخصّاد  
فَعَدَى يزين التحكيما<sup>(٢)</sup>

وكان سبب هذا الشعر أن الخليفة تشدد عليه في شرب الخمر وحبس من  
أجل ذلك حبسا طويلا فقال :

(١) الدها : الجراد قبل أن يطير .

(٢) القعدى الذى يستحل القعود عن الحرب من الخوارج . والتحكيم : أحد مبادئ  
الخوارج ، وهو قولهم لا حكم إلا الله .

أيها الرانحان باللوم لومًا  
 نالني بالملام فيها إمــام  
 فاصرفاها إلى ســواى فإني  
 كُـبُرُ حظى منها إذا هى دارت  
 فكأنى بما أزين منها  
 لم يطق حَمَلَه السلاح إلى الحر  
 لهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد .

وحدثت أن العُماني الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس :

كَانَ أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلما محرّفاً (١)

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لإصلاح البيت إلا الرشيد ،  
 فإنه قال له : « \* تحال أذنيه إذا تشوفا \* » . والراجز وإن كان لحن فقد أحسن  
 التشبية .

ويروى أن جريرا دخل إلى الوليد وابن الرّقاع العاملى عنده ينشده القصيدة  
 التى يقول فيها :

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلات وسادها

(١) تشوف : تطلع . والقادمة : الريش الذى فى مقدم الجناح .

قال جرير : « فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية \* تَزْجِي  
 أَعْنُ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقَه (١) \* فقلت في نفسي : وقع والله ، ما يقدر أن يقول  
 أو يشبهه به ، فقال : قلم أصاب من الدواة مداها ، فما قدرت حسداله أن أقيم  
 حتى انصرفت » .

ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله :

تُعَاطِيكَهَا كَفٌّ كَأَنَّ بِنَاهَا	إذا اعترضتها العينُ صفٌ مَدَارِي (٢)
ومن التشبيه المليح قوله :	
وَكَانَ سُعْدَى إِذْ تودَعْنَا	وقد اشرب الدمع أن يكفا
رَشًا تَوَاصِيْنَ الْقِيَانُ بِهِ	حتى عَقَدْنَ بِأُذُنِهِ شُنْفَا (٣)
وفي هذا الشعر من التشبيه :	
خَيْرٌ فـُـؤَادِكَ أَوْ سَتَخِرُهُ	قَسَمَا لِيَنْتَهِيَنَّ أَوْ حَلَفَا
الحب ظهر أنت راكبه	فإذا صرفت عنانه انصرفنا
ومن التشبيه الجيد قوله :	
إِلَيْكَ رَمْتٌ بِالْقَوْمِ خَوْصٌ كَأَنَّما	جَمَاجِمُهَا فَوْقَ الْحِجَاجِ قَبُور (٤)
وله أيضا :	
سَارِحَلٌ مِنْ قُودِ الْمَهَارِي سِمْلَةٌ	مُسَخَّرَةٌ مَا تُسْتَحَثُّ بِحَادِي

(١) تزجي : تسوق . وأغن : ولد الظبية ذو الغنة . والروق : القرن .

(٢) المداري : الأمشاط .

(٣) يكف : يهطل . والرشاء : ولد الظبية الذي مشى . والشنف : القرط .

(٤) الخوص : النوق التي غارت عيونها . والحجاج : العظام التي يثبت عليها الحواجب .

مع الريح مــــا راحتُ فإن هي أعصفتُ

نهورٌ برأسٍ كالقلاةِ وهــــادى<sup>(١)</sup>

العلاة : السندان .

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة :

بُنيت على قَدَرٍ ولاءم بينها  
فكأنها والماء ينطح صدرها  
طَبَقانِ من قيرةٍ ومن السواح  
والخيزرانةُ في يــــد الملاح  
جَوْنٌ من العقبانِ يبتدر الدُّجى  
يَهْوَى بصوتٍ واصطفاقٍ جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقنتها وضيائها وإشراقها :

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خَلْتَهُ  
يُقْبَلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا

فأما قوله :

بَتَيْنا على كسرى سماءَ مُدامةٍ  
فلورُودٌ في كسرى بن ساسانِ روْحُهُ  
جوانبها محفوفةٌ بنجوم  
إذا لا صطفاني دون كــــل نديم

(١) القود : الذليلة المنقادة ، والمهاري : جمع مهريّة ، وهي إبل لا يعدل لها شيء في السرعة . والشملة : الناقة السريعة . وأعصفت الريح : اشتدت . والنهور : التي تمد عنقها ورأسها . والهــــادى : العنق .

فإنما كانت صورة كسرى في الإناء . وقوله : جوانبها محفوفة بنجوم ، فإنما يريد ما تطوق به من الزبد .

ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار :

وكانت تحت لسانها      هاروتَ ينفث فيه سحرا  
وتخال ما جمعت عليه      به بناتها ذهباً وعطرا  
وهذا التشبيه الجامع .

ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس بن الأحنف :

أحرم منكم بما أقول وقد      نال به العاشقون من عشقوا  
صرتُ كأنى دُبالة نصبت      تضىء للناس وهى تحترق  
فهذا حسن في هذا جدا .

ومن حسن ما قالوا في التشبيه قول إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد:

أمينَ الله أمثك خيرُ أمين      عليك من التقى فيه لباسُ  
تُساس من السماء بكل فضل      وأنت به تسوس كما تساس  
كانَ الخلقُ رُكب فيه روح      له جسد وأنت عليه رأس

والعرب تختصر في التشبيه وربما أو مات به إيماء . قال أحد الرجاز:

بشاً بحسان ومغزاه تَنط      ما زلتُ أسعى بينهم وألتبط  
حتى إذا كان الظلام يختلط      جاءوا بمذقٍ هل رأيت الذئب قط

يقول : في لون الذئب ، واللبن إذا جهد وخلط بالماء ضرب إلى الغبرة .

ومن أحسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلاً برثائة الحال :

يأتيك في جبةٍ مخزقة      أطولُ أعمار مثلها يوماً  
وطيلسان كالآل يلبسه      على قميص كأنه غنم

والتشبيه كثير ، وهو باب كأنه لا آخر له وإنما ذكرنا منه شيئا لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني .

## خفة بعد ثقل

كان الحجاج بن يوسف يستقل زيادة بن عمرو العتكي . فلما أئنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر ، قال زيادة بن عمرو : « يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج سيفك الذي لا يَبُو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم » . فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه .

## البخل والحدود

قال أسماء بن خارجة الفزاري : « لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا ، وإنما هو كريم أسدٌ خلته ، أو لثيم اشترى عرضي منه » .

وقال آخر يذم :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم      واستوثقوا من رِجاج الباب والدار  
لا يقبس الجار منهم فُضْلَ نارهم      ولا تكف يد عن حرمة الجار  
وقال زياد : « كفى بالبخیل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجواد مَجْدا أن اسمه لم يقع في ذم قط » .

وقال آخر :

الأثرين وقد قَطَعْتَنِي عَدَلًا      ماذا من الفضل بين البخل والجود  
لا يعدم السائلون الخيرَ أفعله      إما نوالاً وإما حسنَ مردود  
إلا يكن ورق يوماً أراحُ به      للخابطين فإن لين العود

إلا يكن ورق : يريد المال ، وضربه مثلاً . ويقال : أتى فلان فلانا يختبئ ما عنده ، والاختبئ ضرب الشجر ليسقط الورق ، فجعل الخابئ الطالب ، والورق المال .

ويروى أن ضيفاً نزل بالخطيئة ، وهو يرعى غنماً له وفي يده عصا . فقال الضيف : « ياراعى الغنم » . فأوماً إليه الخطيئة بعصاه . وقال : « عَجْرَاء من سَلَم » فقال الرجل : « إني ضيف » . فقال الخطيئة : « للضيفان » .

## أخبار الخوارج

ذكر أهل العلم من الصُّفْرِيَّة أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله ابن وهب الراسبي من الأزدي تَكَرَّه ذلك . فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره . فلما رأى ذلك منهم ، قال : « يا قوم ، استيتوا الرأي » . أى دعوه يَغِبُّ يقول : دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه .

وكان عبد الله بن وهب ذا رأى وفهم ولسان وشجاعة ، وإنما جئوا إليه وخلعوا معدان الإيادى لقول معدان :

سلامٌ على من بايع الله شـارياً      وليس على الحزب المقيم سلام

فبرئت منه الصفرية وقالوا : « خالفتَ لأنك برئت من القَعْد » . والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ، ومن ذى المعصية الظاهرة .

وَحَدَّثْتُ أَنْ وَاصِلَ بْنِ عَطَاءٍ أَبَا حَلِيفَةَ أَقْبَلَ فِي رِفْقَةٍ فَأَحْسَوْا الْخَوَارِجَ . فَقَالَ وَاصِلٌ لِأَهْلِ الرِّفْقَةِ : « إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ فَاعْتَزَلُوا وَدَعُونِي وَإِيَاهُمْ » وَكَانُوا قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْعُطْبِ . فَقَالُوا : « شَأْنُكَ » . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : « مَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ؟ » . قَالَ : « مُشْرِكُونَ مُسْتَجِيرُونَ لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ وَيَعْرِفُوا حُدُودَهُ » . فَقَالُوا : « قَدْ أَجْرْنَاكُمْ » . قَالَ : « فَعَلِمُونَا » . فَجَعَلُوا يَعْلَمُونَهُ أَحْكَامَهُمْ . وَجَعَلَ يَقُولُ : « قَدْ قَبِلْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ » . قَالُوا : « فَاْمَضُوا مَصَاحِبِينَ فَإِنَّكُمْ إِخْوَانُنَا » . قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ لَكُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ فَاْبْلِغُونَا مَأْمَنًا » . فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ قَالُوا : « ذَاكَ لَكُمْ » فَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ حَتَّى بَلَغُوهُمْ الْمَأْمَنَ .

وذكر أهل العلم من غير وجه أن علياً رضي الله تعالى عنه لما وجه إليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم ، قال لهم : « ما الذى نقتم على أمير المؤمنين ؟ » قالوا : « قد كان للمؤمنين أميراً . فلما حَكَمَ في دين الله خرج من الإيمان . فليتبع بعد إقراره بالكفر نُعْدُ له » . فقال ابن عباس : « لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر » . قالوا : « إنه قد حَكَمَ » . قال : « إن الله عز وجل قد أمر بالتحكيم في قتل صيد فقال عز وجل ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين ؟ » . فقالوا : « إنه قد حَكَمَ عليه فلم يرض » فقال : « إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاريلهما » . فقال بعضهم

لبعض : « لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ، فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ . »

ومن طريف أخبار الخوارج قول قطري بن الفجاءة المازني لأبي خالد القناني وكان من قعد الخوارج :

أبا خالد يا انفِرْ فلستَ بخالد	وما جعل الرحمن عدرا لقاءد
أتزعم أن الخارجي على المهدي	وأنت مقيم بين لص وجاحد
فكتب إليه أبو خالد :	
لقد زاد الحياة إلى حبا	بناتي إهن من الضعفاء
أحاذر أن يرزق الفقر بعدي	وأن يشربن رنقا بعد صاف
وأن يعرين إن كسى الجوارى	فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سوّمت مهري	وفي الرحمن للضعفاء كاف (1)

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان أحد بني عمرو بن شيبان . وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم . قال لما قتل أبو بلال ، وهو مرداس بن أديسة :

لقد زاد الحياة إلى بفضا	وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراش	وأرجو الموت تحت ذرا العوالي
ولو أني علمت بأن حنفي	كحتف أبي بلال لم أبال
فمن يك همّه الدنيا فإني	لها والله رب البيت قال

(1) الرق : الماء الكدر . وسومت : علمت .

وكان من حديث عمران بن حطان أنه لما أطرده الحجاج كان ينتقل في القبائل . فكان إذا نزل في حى انتسب نسباً يقرب منه . ففي ذلك يقول :

نزلنا في بني سعد بن زيــــــــــــد      وفي عك وعامر عوْبــــــــــــان  
وفي لَنخم وفي أدد بن عمرو      وفي بكر وحى بني العِــــــــــــدان

ثم خرج حتى نزل عند رُوح بن زُبَاع الجُدَامِي ، وكان يقري الأضياف وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً عنده ، فانتفى له من الأزدي . وكان روح ابن زُبَاع لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك ، فيسأل عنه عمران بن حطان إلا عرفه وزاد فيه . فذكر ذلك لعبد الملك فقال : « إن لي جاراً من الأزدي ما أسمع من أمير المؤمنين خيراً ولا شعراً إلا عرفه وزاد فيه » . فقال : « خَبِّرني ببعض أخباره » . فخبره وأنشده . فقال : « إن اللغة عدنانية وإني لأحسبه عمران بن حطان » . حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله :

ياضربةً من تقى ما أراد هــــــــــــا      إلا لِيُتْلَغَ من ذى العرش رضوانا  
إنى لأذكره حينــــــــــــا فأحسبه      أوَفَى البرية عند الله ميزاننا

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح إلى عمران بن حطان فسأله عنه . فقال عمران : « هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي ابن أبي طالب » . فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره . فقال له عبد الملك : « ضيفك عمران بن حطان ، اذهب فجنني به » . فرجع إليه فقال : « إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك » . قال عمران : « قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت

منك ، فامض فإني بالأثر» . فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره . فقال عبد الملك :  
«أما إنك سترجع فلا تجده» . فرجع وقد ارتحل عمران ، وخلف رقعة فيها :

قد ظنَّ ظَنُّكَ من لحمٍ وغسَّان	ياروحُ كم من أخى منوَى نزلتُ به
من بعد ما قيل عمران بن حطان	حتى إذا خفَّته فإرقتُ مرله
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جان	قد كنت جاركَ حَولًا ما تُروِّعني
ما أدرك النَّاسَ من خوف ابن مروان	حتى أردتَ بي العُظْمَى فأدركني

ثم ارتحل حتى نزل بزُفر بن الحارث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب ،  
فانتسب له أوزاعيا . وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلمان من بني عامر  
يضحكون منه . فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زباع فسلم عليه . فدعاه  
زفر فقال : «من هذا ؟» فقال : «رجل من الأزدي رأيتُه ضيفا لروح بن زباع»  
فقال له زفر : «يا هذا ، أزد يا مرة وأوزاعيا مرة ؟ إن كنت خائفا آمناك ؛ وإن  
كنت فقيرا جبرناك» . فلما أمسى هرب وخلف في مرله رقعة فيها :

أعيتَ عيَاءَ علي روح بن زباع	إن التي أصبحتَ يعنى بها زفر
والناس من بين مخدوع وخداع	ما زال يسألني حولا لأخبره
كفَّ السؤالَ ولم يُولع ياهلاع	حتى إذا انقطعت عنى وسائله
إما صَمِيمٌ وإما فقعة القاع	فاكفف كما كف عنى إني رجل

ثم ارتحل حتى أتى عُمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال ويُظهرونه ، فأظهر  
أمره فيهم . فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى أهل عمان . فارتحل عمران هاربا  
حتى أتى قوما من الأزدي فلم يزل فيهم حتى مات . وفي نزوله بهم يقول :

نزلنا بما فيه من الإنس والجن  
 وليس لهم عود سوى المجد يعصّر  
 يمانية طابوا إذا نسب البشر  
 أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر

نزلنا بحمد الله في خير منزل  
 نزلنا بقوم يجمع الله شملهم  
 من الأزدي إن الأزدي أكرم معشر  
 فأصبحت فيهم أمنا لا كمعشر

يقال : هذا أبو مثنوى ، والأنثى هذه أم مثنوى ، ومثل الضيافة وما أشبهها  
 المثنوى . وكذلك قال المفسرون في الله عز وجل : « أَكْرَمِي مَثْوَاهُ » أى إضافته .  
 ويقال من هذا : نَوَى يَنْوِي نُويًا . وقوله : ولم يولع باهلاعى ، أى يافزاعى  
 وترويعى ، والهلع من الجبن عند ملاقاتة الأقران . وقوله : \* إما صميم وإما فقعة  
 القاع \* الصميم : الخالص من كل شىء . وقوله : وإما فقعة القاع : يقال لمن لا  
 أصل له : هو فقعة بقاع ، وذلك لأن الفقعة لا عروق لها ولا أعصان . والفقعة :  
 الكمأة البيضاء .

ويقال فيما يروى من الأخبار إن أول من حَكَمَ عُرْوَةَ بن أَدِيَةَ . وقال قوم :  
 بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بنى محارب بن خصفة . ولم يختلفوا في  
 إجماعهم على عبد الله بن وهب الراسي ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ إلى غيره ، فلم  
 يقنعوا إلا به . فكان إمام القوم ، وكان يوصف بالرأى . فأما أول سيف سُلِّ من  
 سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية ؛ وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال :  
 « ما هذه الدنية يا أشعث ؟ وما هذا التحكيم ؟ أشرط أوثق من شرط الله عز  
 وجل ؟ » . ثم شهر عليه السيف والأشعث مَوَّلَ فضرب به عجز البغلة ، فشبت  
 البغلة . فنفرت اليمانية ، وكانوا جلُّ أصحاب على صلوات الله عليه . فلما رأى  
 ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ، ومسعود بن فدكي ، وشبت بن ربيعي  
 الرياحي إلى الأشعث . فسألوه الصفع ففعل . وكان عروة بن أدية نجبا من حرب

النهروان . فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية . ثم أتى به زياد ومعه مولى . فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا . ثم سأله فقال : « ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب ؟ » . فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر ، وفعل في أمر علي مثل ذلك إلى أن حكم ، ثم شهد عليه بالكفر . ثم سأله عن معاوية ، فسبه سبا قبيحا . ثم سأله عن نفسه فقال : « أولك لزيئة وآخرك لدعوة ، وأنت بعدُ عاصٍ لربك » . ثم أمر به فضربت عنقه . ثم دعا مولاه فقال : « صف لى أموره » . فقال : « أأظن أم أختصر ؟ » فقال : « بل أختصر » . فقال : « ما أتيت به بطعام بنهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط » .

وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم ، فكان مما قال لهم : « ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : إن هذه مكيدة ووهن ، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم ، أفعلتم أنه كان منكم أحد أكره لذلك منى ؟ » . قالوا : « اللهم نعم » . قال : « فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتمكم إليه ، فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل ، فإن خالفاه فأنا وأنتم من ذلك برآء ؟ أو أنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني ؟ » . قالوا : « اللهم نعم » . فقالوا : « حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بأننا قد كفرنا ونحن تائبون ، فاقرر بمثل ما أقررنا وتب نهض معك إلى الشام » . فقال : « أما تعلمون أن الله عز وجل لناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأة ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ فَابْتَئُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ، وفي صيد أصيب في الحرم كآرنب يساوى ربع دينار ، فقال عز وجل : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ؟ ﴾ » . فقالوا : « إن عمرا لما أبي عليك أن تقول في

كتابك : هذا ما كتبه عبد الله على أمير المؤمنين ، محوت اسمك من الخلافة وكتبت .  
 على بن أبي طالب ؟ . فقال لهم رضى الله عنه : « لى برسول الله صلى الله عليه  
 وسلم أسوة ، حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب : هذا كتاب كتبه محمد  
 رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال : لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ،  
 ولكن أقدمك لفضلك . ثم قال اكتب : محمد بن عبد الله ، فقال لى : يا على  
 امح رسول الله ، فقلت : يارسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة . فقال  
 عليه السلام : قفى عليه . فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم . ثم قال : اكتب محمد  
 ابن عبد الله . ثم تبسم إلى فقال : يا على ، أما إنك ستسام مثلها فتعطى . فرجع  
 معه منهم ألفان من حروراء ، وقد كانوا تجمعوا بها . فقال لهم على صلوات الله  
 عليه : « ما نسميكم ؟ » ثم قال : « أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء » . وقال  
 الصلتان العبدى فى كلمة له :

أرى أمة شهت سيفها	وقد زيد فى سوطها الأصبحت
بنجدية وحرورية	وأزرق يدعو إلى أزرقى
فلمتنا أننا المسلمون	على دين صديقنا والنبي

قوله : وقد زيد فى سوطها الأصبحت ، فإنه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها  
 السلطان الأصبحية ، وتنسب إلى ذى أصبح الحميرى ، وكان ملكا من ملوك  
 حمير ، وهو أول من اتخذها ، وهو جد مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه .  
 والنجدية : تنسب إلى نجدة بن عويمر ، وهو عامر الحنفى ، وكان رأسا ذا مقالة  
 منفردة من مقالات الخوارج . وقد بقى من أهلها قوم كثير . وكان نجدة يضى  
 بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير فى جمعه فى كل جمعة ، وعبد الله يطلب الخلافة ،  
 فيمسكان عن القتال من أجل الحرم . قال الراعى يخاطب عبد الملك :

إني حلفتُ على يمينِ برةٍ	لا أكذبُ اليومَ الخليفةَ قِيلا
ما إن أتيت أبا حُبيبٍ والفادا	يوما أريدُ بيعتي تبيديلا
ولا أتيتُ نجيدةَ بنِ عويمِر	أبغى الهدى فيزيدني تضليلا
من نعمةِ الرحمنِ لا من حيلتي	إني أعدهُ له على فضولا
أخذوا العريفَ فقطعوا حيزومه	بالأصبحيةِ قائما معلولا

قوله : وأزرق يدعو إلى أزرقى : يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الخنفي، وكان نافع شجاعا مقدما في فقه الخوارج ، وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة . وأصحاب نافع بن الأزرق هم ذوو الحَدِّ والجد ، وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها . وكان الباقر على الترحل فقلد المهلب حربهم فهزمهم إلى الفرات ، ثم هزمهم إلى الأهواز ، ثم أخرجهم عنها إلى فارس ثم أخرجهم إلى كِرمَان . وفي ذلك يقول شاعر منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثى البلد ، ويذكر المنقبة التي كانت لهم :

سقى الله مصرا خفَ أهلوه من مصر	وما الذي يبقى على عُقبِ الدهر
ولو كنتُ فيه إذ أبيع حريمه	لمتُ كريما أو صدرت على عذر
أبيع فلم أملك له غير عبيرة	تُهببُ بما أن حارَدتُ لوعةَ الصدر
ولحن رددنا أهلها إذ ترحلوا	وقد نُظمت خيل الأزارق بالجسر
ومن يَخش أطراف المنايا فإننا	لبسنا هن السابغات من الصبر
فإن كربه الموتِ عذبٌ مذاقه	إذا ما مزجناه بطيبٍ من الذكر
وما رُزق الإنسان مثل منيةٍ	أراحت من الدنيا ولم تُخز في القبر <sup>(١)</sup>

(١) حارَدت : قلت أو انقطعت . والسابغات : الواسعة الطويلة .

وكان مقدار من أصاب على صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثمان مئة في أسح الأقاويل . وكان عددهم ستة آلاف . وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يُسِرُّ أمره ولم يشهد الحرب . فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضوان الله عليه : «ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب» . فقالوا : «كلنا قَتَله وشَرِك في دمه» . ثم حمل منهم رجل على صف على ، وقد قال على : «لا تبدءوهم بقتال» . فقتل من أصحاب على ثلاثة ، وهو يقول :

أقتلهم ولا أرى عليا      ولو بدأ أوجرتَه الخطيا (١)

فخرج إليه على صلوات الله عليه فقتله . فلما خالطه السيف قال : «حبذا الرّوحة إلى الجنة» . فقال عبد الله بن وهب : «ما أدري إلى الجنة أم إلى النار ؟» . فقال رجل من سعد : «إنما حضرت اغترارا بهذا ، وأراه قد شك» . فانخزل بجماعة من أصحابه . ومال ألف إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري ، وكان رحمه الله على ميمنة على . وجعل الناس يتسللون . ثم خرج إليهم على في أصحابه وقد قال لهم : «إنه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة» . فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية .

وقيل : أول من حَكَّم ولفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بني سعد بن زيد مناة يقال له الحجّاج بن عبد الله ويعرف بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على أليته ؛ فإنه لما سمع بذكر الحكمين ، قال : «أيجكم في دين الله ؟ لا حكم إلا الله» . فسمعه سامع فقال : «طعن والله فأنفذ» . وأول من حكم بين الصنفين

(١) أوجرتَه : طعنته في لومه . والخطي : الرمح الجيد المنسوب إلى الخط .

رجل من بني يشكر بن بكر ، فإنه كان في أصحاب علي ، فحمل علي رجل منهم فقتله غيلة ، ثم مرق بين الصفين فحكّم . وحمل علي أصحاب معاوية فكثروه فرجع إلى ناحية علي صلوات الله عليه . فحمل علي رجل منهم . فخرج إليه رجل من همدان فقتله .

وجاء في الحديث أن عليا رضي الله عنه ثلثي بحضرته : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ . فقال علي : « أهل حروراء منهم » .

وروى عن علي صلوات الله عليه أنه خرج في غداة يوقظ الناس للصلاة في المسجد . فمر بجماعة تتحدث فسلم وسلموا عليه . فقال ، وقبض علي لحيته : « ظننت أن فيكم أشقاها الذي يخضب هذه من هذه » . وأوما بيده إلى هامته ولحيته .

ومن شعر علي بن أبي طالب الذي لا اختلاف فيه أنه قال : وأنه كان يردده ، أنهم لما ساموه أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسروا معه إلى الشام ، فقال : « أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه في الدين أرجع كافرا ؟ » .

يا شاهد الله علي فاشهد  
أني علي دين النبي أحمد  
من شك في الله فإني مهتدي

ويروى \* توأيت ولي أحمد \*

فلما قتل علي أهل النهروان ، وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب ، وقوم ممن استأمن إلى أبي أيوب الأنصاري تجمعوا

وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ طَيْءٍ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ رَجُلًا ، وَهُمْ بِالْثَّخَيْلَةِ . فَدَعَاهُمْ وَرَفَقَ بِهِمْ فَأَبَوْا . فَعَاوَدَهُمْ فَأَبَوْا . فُقْتِلُوا جَمِيعًا . فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ نَحْوَ مَكَّةَ . فَوَجَّهَ مَعَاوِيَةَ مِنْ يَقِيمُ لِلنَّاسِ حِجَّتَهُمْ ، فَنَاوَشَهُ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ فَوَجَّهَ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى . فَتَوَاقَفُوا وَتَرَاوَعُوا بَعْدَ الْحَرْبِ بَأَنٍ يَصَلِي بِالنَّاسِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ لِنَلَا يَفُوتُ النَّاسَ الْحَجَّ . فَلَمَّا انْقَضَى ، نَظَرَتْ الْخَوَارِجُ فِي أَمْرِهَا ، فَقَالُوا : «إِنَّ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ قَدْ أَفْسَدَا أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَوْ قَاتَلْتَاهُمْ لَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى حَقِّهِ» . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ : «وَاللَّهِ مَا عَمِرُوا دُونَهُمَا ، وَإِنَّهُ لِأَصْلُ هَذَا الْفَسَادِ» . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ : «أَنَا أَقْتُلُ عَلِيًّا» . فَقَالُوا : «وَكَيْفَ لَكَ بِهِ ؟» . قَالَ : «أَغْتَالُهُ» . فَقَالَ الْحِجَّاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّرِيمِيِّ وَهُوَ الْبُرْكَ : «وَأَنَا أَقْتُلُ مَعَاوِيَةَ» . وَقَالَ زَادُوَيْهِ مَوْلَى بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ : «وَأَنَا أَقْتُلُ عَمْرًا» . فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّ يَكُونَ قَتْلَهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَجَعَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ فَاتَى ابْنَ مَلْجَمِ الْكُوفَةَ فَأَخْفَى نَفْسَهُ . وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا قَطَامُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ ، وَكَانَتْ تَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ . وَالْأَحَادِيثُ تَخْتَلِفُ ، وَإِنَّمَا يُؤَثَّرُ صَحِيحُهَا . وَيُرْوَى فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهَا قَالَتْ : «لَا أَقْنَعُ مِنْكَ إِلَّا بِصَدَاقِ أَسْمِيهِ لَكَ ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعَبْدٌ وَأَمَةٌ ، وَأَنْ تَقْتُلَ عَلِيًّا» . فَقَالَ لَهَا : «لَكَ مَا سَأَلْتِ ، فَكَيْفَ لِي بِهِ ؟» قَالَتْ : «تَرَوُّمَ ذَلِكَ غِيْلَةً ، فَإِنْ سَلِمْتَ أَرَحْتَ النَّاسَ مِنْ شَرِّ ، وَأَقَمْتَ مَعَ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أَصَبْتَ سَرْتَ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمٌ لَا يَزُولُ» . فَانْعَمَ لَهَا . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْحَسَامِ الْمَصَّمِّ  
وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكَ ابْنِ مَلْجَمِ

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْسَةٌ  
فَلَا مَهْرَ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَالَا

وقد ذكروا أن القاصد إلى معاوية يزيد بن ملجم ، والقاصد إلى عمرو آخر من بني ملجم ، وأن أباهم نُهَاهم ، فلما عصوه قال : «استعدوا للموت» ؛ وأن أمهم حضتهم على ذلك . والخير الصحيح ما ذكرت لك أول مرة . فأقام ابن ملجم ، فيقال إن امرأته قطام لامته وقالت : «ألا تمضى لما قصدت ! لشدة ما أحببت أهلك ! » قال : «إني قد وعدت صاحبي وقتنا بعينه» وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن . ويروى أن الأشعث نظر إلى عبد الرحمن متقلدا سيفاً في بني كندة فقال : «يا عبد الرحمن أرنى سيفك» فأراه فرأى سيفاً حديداً . فقال «ما تقلدك السيف وليس بأوان حرب ؟» فقال : «إني أردت أن أنحر به جَزور<sup>(١)</sup> القرية» . فركب الأشعث بغلته وأتى علياً صلوات الله عليه فخبره ، وقال له : «فقد عرفت بسالة ابن ملجم ولتكنه» فقال علي : «ما قتلني بعد» . ويروى أن علياً رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويذكر أصحابه ، وابن ملجم تلقاء المنبر ، فسُمع وهو يقول : «والله لأرجمنهم منك» فلما انصرف علي صلوات الله عليه إلى بيته أتى به مُلبياً<sup>(٢)</sup> . فأشرف عليهم فقال : «ما تريدون ؟» فخبروه بما سمعوا ، فقال : «ما قتلني بعد فخلوا عنه» . ويروى أن علياً كان يتمثل إذا رآه بيت عمرو بن مَعْدِي كَرِب في قيس ابن مكشوح المُرادى :

عديرك من خليلك من مراد<sup>(٣)</sup>

أريد حباؤه ويريد قتلى

(١) الجزور : ما يجزر أى يذبح .

(٢) ملبياً : مأخوذ من لبيه ، وهو صدر رذائمه .

(٣) الحياء : العطاء . والعدير : العاذر .

فينتفى من ذلك حتى أكثر عليه . فقال له المرادى : « إن قضى شيء كان » .  
ف قيل لعلى : « كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك ، أفلا تقتله » . فقال : « كيف  
أقتل قاتلي ؟ » . فلما كان ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم  
وشبيب الأشجعي . فاعتورا <sup>(١)</sup> الباب الذى يدخل منه على رضى الله عنه ،  
وكان يخرج مغلّسا ، ويوقظ الناس للصلاة . فخرج كما كان يفعل ، فضربه  
شبيب فأخطاه وأصاب سيفه الباب ، وضربه ابن ملجم على صلته فقال على :  
« قُرت <sup>(٢)</sup> ورب الكعبة ، شأنكم بالرجل » . فيروى عن بعض من كان  
بالمسجد من الأنصار قال : « سمعت كلمة على ورأيت بريق السيف » فأما  
ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه ، فأفرجوا له . وتلقاه المغيرة أيدا <sup>(٣)</sup> ، فقعد  
على صدره . وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضرموت ، وصرعه ،  
وقعد على صدره . وكثر الناس ، فجعلوا يصيحون : « عليكم صاحب السيف » .  
فخاف الحضرمي أن يُكبوا عليه ولا يسمعوا عذره ، فرمى بالسيف . وانسل شبيب  
بين الناس فدُخل بابن ملجم على على رضوان الله عليه فأمر فيه . فاختلف الناس  
في جوابه ، فقال على : « إن أعش فالأمر إلى ، وإن أصب فالأمر لكم ، فإن  
آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة ، وإن تعفوا أقرب للتقوى » . وقال قوم : بل  
قال : « وإن أصبت فاضربوه ضربة في مقتله » . فأقام على يومين . فسمع ابن ملجم  
الرثة من الدار . فقال له من حضره : « أى عدو الله ، إنه لا بأس على أمير المؤمنين »  
فقال : « عَلى من تبكى أم كلثوم ؟ أَعلى ؟ أما والله لقد اشتريت سيفي بالف  
درهم ، وما زلت أعرضه فما يعيه أحد إلا أصلحت ذلك العيب . ولقد أسقيته

(١) اعتورا : تداولا .

(٢) قُرت : قطع رأسى من منتصفه .

(٣) الأيد : القوى .

السم حتى لَفَظَه . ولقد ضربته ضربة لو قُسمت على من بالمشرق لأنت عليهم» .  
ومات على صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث . فدعا به  
الحسن رضى الله عنه ، فقال : «إن لك عندي سرا» فقال الحسن رضوان الله  
عليه : «أتدرون ما يريد ؟ أن يَقْرُب من وجهي فَيَعَضُ أُذُنِي فيقطعها» . فقال :  
«أما والله لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها» . فقال الحسن : «كلا والله  
لاضربنك ضربة تؤدبك إلى النار» . فقال : «لو علمت أن هذا في يديك ما  
اتخذت إلهًا غيرك» . فقال عبد الله بن جعفر : «يا أبا محمد . ادفعه إلى أشرف  
نفسى منه» . فاختلفوا في قتله . فقال قوم : أَحْمَى له مِيلِينَ <sup>(١)</sup> وَكَحَلَهُ بِمَا .  
فجعل يقول : «إنك يا ابن أخى لَتَكْحَلُ عمك بِمَلْمُؤَيْنِ مَضَاضِينَ <sup>(٢)</sup>» . وقال  
قوم : بل قطع يديه ورجليه . وقال قوم : بل قطع رجله ، وهو في ذلك يذكر الله  
عز وجل . ثم عمد إلى لسانه فشق ذلك عليه ، فقيل له : «لم تجزع من قطع يديك  
ورجليك ، وتُراكَ قد جزعت من قطع لسانك» فقال : «أحببت أن لا يزال فمى  
بذكر الله رطبًا» . ثم قتله .

ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم ، وقيل له : «إنا قد سمعنا من  
هذا كلاما فلا نأمن قتله لك» . فقال : «ما أصنع به ؟» ثم قال على رضوان الله  
عليه :

اشدُّ حَيَازِمِكَ لِلْمَوْتِ <sup>(٣)</sup> فَإِنِ الْمَوْتَ لَا يَاقِيكَ  
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ

(١) الميل : القطعة الطويلة من الحديد .

(٢) الملمول : المرود الذى يكتحل به .

(٣) الحيازم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر .

والشعر إنما يصح بأن تحذف « اشدد » فتقول :

حيـازيمك للمـوت فإن المـوت لا قـيـكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به في الوزن ويحذفون من الوزن ، علما بأن المخاطب يعلم ما يزيدونه ، فهو إذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر « اشدد » فأظهره ولم يعتد به .

وأما الحجاج بن عبد الله الصَّرْمِي ، وهو البَرَك ، فإنه ضرب معاوية مصليا ، فأصاب مَأْكَمَتَهُ ، وكان معاوية عظيم الأوراك . فقطع منه عرقا يقال له عرق التُّكَّاح . فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد . فلما أخذ قال : « الأمان والبشارة ، قُتِلَ عَلَى فِي هَذِهِ الصَّبِيحَةِ » فاستؤنِي بِهِ حَتَّى جَاءَ الْخَبْرُ . فقطع معاوية يده ورجله . فأقام بالبصرة . فبلغ زيادا أنه قد وُلِدَ لَهُ . فقال : « أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له ؟ » . فقتله . هذا أحد الخبرين . ويروي أن معاوية قطع يديه ورجليه ، وأمر باتخاذ المقصورة . فقتل لابن عباس بعد ذلك : « ما تأويل المقصورة ؟ » . فقال : « يخافون أن يَبْهَظَهُمُ النَّاسُ » .

وأما زَاذَوِيهِ فَإِنَّهُ أَرَادَ لِعَمْرٍو ، واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة . وخرج خارجة ، وهو رجل من بني سهم بن عمرو ، فضربه زاذويه فقتله . فلما دَخَلَ بِهِ عَلَى عَمْرٍو فَرَأَاهُمْ يَخَاطَبُونَهُ بِالْأَمْرَةِ ، قَالَ : « أَوْ مَا قَتَلْتَ عَمْرًا ؟ » قِيلَ : « لَا إِنَّمَا قَتَلْتَ خَارِجَةَ » . فقال : « أردت عمرا والله أراد خارجة » . وقيل : أبو زُبَيْدِ الطَّائِي يَرْتِي عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ :

إن الكرامَ على ما كان من خُلُقِي      رهطُ امرئِ خازنةٍ للدينِ مُختارِ  
 طَبُّ بصيرِ بأضغانِ الرجالِ ولم      يُعدَّلَ بحُجْرِ رسولِ اللهِ أخبارِ  
 وقطرةٌ قَطَرَتْ إذ حان موعدها      وكلُّ شيءٍ له وقتٌ ومقدارِ  
 حتى تَنصَلَّها في مسجدِ طُهرِ      على إمامِ هُدًى إنَّ معشرَ جاروا  
 حُمَتْ ليدخلَ جناتِ أبو حسنِ      وأوجِبَتْ بعده للقاتلِ النارِ

خارته : إنما اختاره . وبصير بأضغان الرجال : فهي أسرارها ومخبأها . الحبر :  
 العالم . ويروى أن علياً رضوان الله عليه مر بيهودي يسأل مسلماً عن شيء من  
 أمر الدين . فقال له علي : « اسألني ودع الرجل » . فقال له : « يا أمير المؤمنين  
 أنت حبر » . أي عالم . قال علي : « إن تسأل عالماً أجدي لك » . وقوله : حتى  
 تنصلها : يريد استخراجها . وحمت : قُدِّرت .

ولما سمع على صلوات الله عليه نداءهم « لا حكم إلا الله » قال : « كلمة  
 عادلة يراد بها جَوْر ، إنما يقولون لا إمارة ولا بد من إمارة برة أو فاجرة » .

ويروى أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صَعَصَعَةَ بنِ صُوحانِ  
 العَبْدِي ، وقد كان وجهه إليهم ، وزِيَادُ بنُ التَّضَرِّ الحارثِي ، مع عبد الله بن العباس .  
 فقال لصعصعة : « بأي القوم رأيتم أشد إطفاءة ؟ » فقال : « بيزيد بن قيس  
 الأُرْحَبِيِّ » فركب علي إلى حروراء . فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد  
 ابن قيس فصرخ في ركعتين . ثم خرج فاتكأ على قوسه . وأقبل على الناس ثم قال :  
 « هذا مقام مَنْ فَلَجَ <sup>(١)</sup> فيه فلج يوم القيامة ، أنشدكم الله أعلمتم أحداً منكم كان

(١) فلج : فاز .

أكره للحكومة مني؟» قالوا : «اللهم نعم» . قال : «أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها؟» قالوا : «اللهم نعم» قال : «فعلّام خالفتمون ونابدتموني؟» قالوا : «إنا أتينا ذنبا عظيما فتبنا إلى الله . فتب إلى الله منه واستغفره نُعدُّ لك» . فقال علي : «إني أستغفر الله من كل ذنب» . فرجعوا معه وهم ستة آلاف . فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا . وقالوا : «إنما ينتظر أمير المؤمنين ، أن يسمن الكراع<sup>(١)</sup> ويَجْئى المال ، فينهض إلى الشام» فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام ، فقال : «يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا ، والإقامة عليها كفر» فخطب علي الناس فقال : «من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالا فهو أضل» . فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلي : «إنهم خارجون عليك» . فقال : «لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون» . فوجه إليهم عبد الله بن العباس فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه . فرأى جباها قريحة<sup>(٢)</sup> لطول السجود ، وأيديا كنفينات<sup>(٣)</sup> الإبل ، عليهم قبص مَرْحَضَة<sup>(٤)</sup> ، وهم مشمرون . فقالوا : «ما جاء بك يا أبا العباس؟» فقال : «جنتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار» . قالوا : «إنا أتينا عظيما حين حكّمنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تبنا ونهض لجهادة عدونا رجعنا» . فقال ابن عباس : «نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم ، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرباب تساوى

(١) الكراع : الخيل والبغال والحمير .

(٢) قريحة : مجرحة .

(٣) الكنفية : ما يستقر على الأرض من أعضاء الناقة حين تبرك .

(٤) مَرْحَضَة : مفسولة .

ربع درهم تُصَاد في الحَرَم ، وفي شِقَاق رجل وامراته ؟ » . فقالوا : « اللهم نعم » فقال : « فأُشَدِّكم اللهُ هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية ؟ » . قالوا : « نعم ، ولكن عليا محمداً نفسه من إمارة المسلمين » . قال ابن عباس : « ليس ذلك بمُزِيلها عنه ، وقد محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة . وقد أخذ علي على الحكمين أن لا يَجُوروا . وإن يَجُورا فعلى أولى من معاوية وغيره » . قالوا : « إن معاوية يدعى مثل دعوى علي » . قال : « فأيهما رأيتموه أولى فولوه » . قالوا : « صدقت » . قال ابن عباس : « ومتى جار الحاكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما » . فاتبعه ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء ، وقال : « متى كانت حرب فرئيسكم شئت بن رباعي الرياحي » . فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . ومضى القوم إلى النهروان ، وكانوا أرادوا المضى إلى المدائن .

فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً . فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا : « احفظوا ذمة نبيكم » .

ولقيهم عبد الله بن خباب ، وفي عنقه مصحف ، ومعه امرأته وهي حامل . فقالوا : « إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك » . قال : « ما أحيى القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميتوه » . فوثب رجل منهم على رُطبة فوضعها في فيه ، فصاحوا به ، فلفظها تورعاً . وعرض لرجل منهم خنزير ، فضر به الرجل فقتله ، فقالوا : « هذا فساد في الأرض » . فقال عبد الله بن خباب : « ما على منكم بأس ، إني لمسلم » . قالوا : « حَدِّثنا عن أبيك » . قال : « سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تكون فتنة يموت فيها الرجل كما يموت

بدنه : يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل» .  
 قالوا : «فما تقول في أبي بكر وعمر ؟» . فأثنى خيرا . فقالوا : «فما تقول في  
 علي قبل التحكيم ، وفي عثمان ست سنين ؟» . فأثنى خيرا . قالوا : «فما تقول في  
 الحكومة والتحكيم ؟» . قال : «أقول إن عليا أعلم بكتاب الله منكم ، وأشد  
 توقيا على دينه ، وأنفذ بصيرة» . قالوا : «إنك لست تتبع الهدى ، إنما تتبع  
 الرجال على أسمائها» . ثم قربوه إلى شاطئ النهر فلدجوه . فأمدقَر دمه ، أى  
 جرى مستطيلا على دقة .

وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له ، فقال : «هى لكم» . فقالوا : «ما كنا  
 لناخذها إلا بثمان» . قال : «ما أعجب هذا ! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا  
 تقبلون منا جنى نخلة ؟» .

ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خَرَشَةَ الضُّبِّي سَمَرَ ليلة عند زياد ومعه  
 جماعة . فذكر أمر الخوارج . فألقى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل إلى منزله .  
 فلقبه أبو بلال مرداس بن أدية ، فقال له : «يا غيلان قد بلغنى ما كان منك الليلة  
 عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شَرَوْا أنفسهم ، وابتاعوا آخرتهم  
 بدنياهم ، ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة ،  
 فيُنْفِدَ حضنتك برُمحه ؟» . فقال غيلان : «لن يبلغك أنى ذكرهم بعد الليلة» .  
 ومرداس تتحلله جماعة من أهل الأهواء لَقَشَفَه <sup>(١)</sup> ، وبصيرته ، وصحة عبادته ،  
 وظهور ديانته وبيانه ، تتحلله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا لجور السلطان ،  
 داعيا إلى الحق . وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر : «والله لاأخذن المحسن

(١) القشف : الزهد وخشونة العيش .

منكم بالمساء ، والحاضر منكم بالغائب ، والصحيح بالسقيم . فقام إليه مرداس فقال : « قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان ، وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ يقول ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى \* وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ ، وانت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي » . ثم خرج في عقب هذا اليوم . والثَّيْبُ تَتَحَلَّه . وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه : « إني لست أرى رأى الخوارج . وما أنا إلا على دين أبيك » .

وهذا رأى قد استهوى جماعة من الأشراف . يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأى الخوارج . وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه . وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب العراق يراه . وكان عدة من الفقهاء يُنْسَبُونَ إليه ، منهم عكرمة مولى ابن عباس . وكان يقال ذلك في مالك بن أنس . ويروى الزبيريون أن مالك بن أنس المديني كان يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول : « والله ما اقتلوا إلا على الثريد الأعقر <sup>(١)</sup> » . فأما أبو سعيد الحسن البصرى فإنه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم . وكان إذا جلس فتمكن في مجلسه ؛ ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثاً ولعن قتلته ثلاثاً ، ويقول : « لو لم نلعنهم للغنا » . ثم يذكر علياً ، فيقول : « لم يزل أمير المؤمنين على رحمة الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم ، فلم تحكّم والحق معك ؟ ألا تمضى قدما لا أبالك وأنت على الحق ؟ » .

(١) الثريد : ما نسميه اليوم الفتنة .

وكان في جملة الخوارج لدد<sup>(١)</sup> واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ،  
ونفاذ بصيرتهم ، وتوطيد أنفسهم على الموت. فمنهم الذى طعن فأنقذه الرمح ،  
فجعل يسعى فيه إلى قاتله ، وهو يقول : «وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبُّ لَتَرْضَى» .

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال : «سيماهم التخليق،  
يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ؛ وعلامتهم رجل مخدج اليد<sup>(٢)</sup>». وفي حديث  
عبد الله بن عمر : «رجل يقال له عمرو ذو الخُوَيْصِرَةِ أو الخُنَيْصِرَةِ» .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر إلى رجل ساجد إلى أن صلى  
النبي عليه السلام ؛ فقال : «ألا رجل يقتله ؟» . فحَسَرَ أبو بكر عن ذراعه  
وانتضى السيف وصَمَدَ نحوه ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «أقتل  
رجلا يقول لا إله إلا الله ؟» . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ألا رجل يفعل ؟»  
ف فعل عمر مثل ذلك . فلما كان في الثالثة قصد له على بن أبي طالب عليه السلام  
فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو قُتِلَ لكان أول فتنة وآخرها» .

ويروى عن أبي مريم عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه ذكر المخدج عند  
النبي عليه السلام . فقال أبو مريم : والله إن كان معنا لفى المسجد ، وكان يحضر  
طعام على إذا وضعه للمسلمين . ولقد كسوته برنسا لى . فلما خرج القوم إلى  
حروراء ، قلت : والله لأنظرون إلى عسكريهم . فجعلت أتخللهم حتى صرت إلى ابن  
الكَوَاءِ وشبث بن ربعى ورسل على تناشدهم ؛ حتى وثب رجل من الخوارج  
على رسول لعلى ؛ فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سـرجه وهو يقول :

(١) اللدد : الخصومة الشديدة .

(٢) مخدج اليد : يده ناقصة الخلق .

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ثم انصرف القوم إلى الكوفة . فجعلت انظر إلى كثرهم كأنما ينصرفون من عيد . فرأيت المخدج ، وكان منى قريبا . فقلت : «أكنت مع القوم؟» فقال: «أخذت سلاحى أريدهم ، فإذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لى ، فأخذوا سلاحى وجعلوا يتلاعبون بى» . فلما كان يوم النهر قال على : «اطلبوا المخدج» . فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا ، وحتى قال رجل : «لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم» . فقال على : «والله ما كذبت ولا كذبت» . فجاء رجل فقال : «قد أصبناه يا أمير المؤمنين» . فخر على ساجدا ؛ وكان إذا أتاه ما يُسرُّ به من الفتح سجد . وقال : «لو أعلم شيئا أفضل منه لفعلته» . ثم قال : «سيماه أن يده كالثدى عليها شعرات كشارب السنور<sup>(١)</sup> يترنى بيده المخدجة» . فأتوه بها فنصبها .

ويروى عن أبي الجلد أنه نظر إلى نافع بن الأزرق الحنفى ، وإلى نظره وتوغله وتعمقه فقال : «إنى لأجد لجهنم سبعة أبواب ، وإن أشدها حرا للخوارج فاحذر أن تكون منهم» .

وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج ، وبحضرتة يزيد بن أبى مسلم مولاه ، وكان يَسْتَسِرُّ برأى الخوارج . فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبى مسلم : «الأمير ويلك يكلمك» . فقالت : «بل الويل والله لك يا فاسقُ الرُدِّيِّ» . والردى عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قوهم ويكتمه .

(١) السنور : القبط .

وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم . فبحنه فرأى منه ما شاء فهما وعلما . ثم بحثه فرأى ما شاء أربا وذهيا . فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا . فزاده في الاستدعاء فقال له : «لِتُغْنِكَ الأولى عن الثانية ، وقد قلتَ فسمعتُ فاسمع أقلّ» . قال له : «قل» فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق ، وألفاظ بيّنة ، ومعان قريبة . فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته : «لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وأناى أولى بالجهاد منهم ، ثم رجعت إلى ما ثبت الله على من الحجة وقرر في قلبي من الحق . فقلت له : لله الآخرة والدنيا . وقد سلّطني الله في الدنيا ومكّن لنا فيها ، وأراك لست تجيب بالقول . والله لأقتلنك إن لم تطع ، فانا في ذلك إذ دُخِلَ على بابي مروان أخى يزيد لأمه وكان أبا عزيز النفس . فدُخِلَ به في هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب إياه» . فشق ذلك على عبد الملك فأقبل عليه الخارجي فقال له : «دعه يئسك فإنه أرْحَبُ لشدِّقه ، وأصح لدماعه ، وأذهب لصوته ، وأحرى أن لا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها» . فأعجب ذلك من قوله عبد الملك . فقال له متعجبا : «أما يشغلك ما أنت فيه وبِعْرَضِهِ عن هذا ؟» فقال : «ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء» . فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله . وقال بعدُ يعتذر إليه : «لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعييتي ما حبستك» . ثم قال عبد الملك : «من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى» . وكان عبد الملك من الرأى والعلم بموضع .

وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان ، ممن فارق عبد الله بن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب ، ومن أقام بالكوفة ، فقال : «لا أقاتل معه» .

فتواصوا وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم . فقام منهم قائم يقال له  
المستورد من بنى سعد بن زيد مناة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد ثم  
قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته ، معلنا مقالته ،  
مبلغا عن ربه ، ناصحا لأمته ، حتى قبضه الله محيرا مختارا . ثم قام الصديق فصدق  
عن نبيه ، وقاتل من ارتد عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة  
بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى لا بل على جميع منازل الدين  
ثم قبضه الله إليه مرفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل ، مسويا بين الناس  
في إعطائه لا مؤثرا لأقاربه ولا محكما في دين ربه . وها أنتم تعلمون ما حدث والله  
يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » . فكل أجاب  
وبايع . فوجه إليهم على بن أبي طالب عبد الله بن العباس داعيا فأبوا . فسار إليهم  
فقال له عفيف بن قيس : « يا أمير المؤمنين ، لا تخرج في هذه الساعة فإنما ساعة  
نحس ، لعدوك عليك » . فقال له على : « توكلت على الله وحده ، وعصيت رأى  
كل متكهن ، أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ؟ ! إني  
توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على  
صراط مستقيم » . ثم سار إليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم إلا خمسة ، منهم  
المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الأشجعي ، وهم الذين ذكرهم  
الحسن البصرى فقال : « دعاهم إلى دين الله ، فجعلوا أصابعهم في آذانهم  
واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . فسار إليهم أبو حسن فطحنهم  
طحنا » . وفيهم يقول عمران بن حطان :

إني أدين بما دان الشُّرأة به —————  
يوم النُّخيلة عند الجوسقِ الخربِ (١)

(١) الجوسق : القصر .

وقال الحميري يعارض هذا المذهب :

إني أدين بما دان الوصيُّ به      يوم النخيلة من قتل المُحليِنَا  
وبالذي دان يوم النهرِ دلتُ به      وشاركتُ كفه كفى بصفيِنَا  
تلك الدماءُ معاً ياربُّ في عنقي      ومثلها فاسقني آمينَ آمينَا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس : «إذ كان عليّ على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا ، فما باله حيث ظفر لم يسب ؟» . فقال لهم ابن عباس : «قد سمعتم الجواب في التحكيم ، فأما قولكم في السباء أفكنتم ساين أمكم عائشة ؟» . فوضعوا أصابعهم في آذانهم ، وقالوا : «أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس ، فإنه طلقَ ذُلُقَ غواص على موضع الحجّة» . ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة ، وهو والى الكوفة . فوجه إليه معقل بن قيس الرياحي فدعاه المستورد إلى المبارزة ، وقال له : «علام يُقتل الناس بيني وبينك ؟» فقال له معقل : «التصّف سألت» فأقسم عليه أصحابه فقال : «ما كنت لأبي عليه» فخرج إليه فاختلفا ضربتين فخرّ كل واحد منهما ميتا . وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد ، وله آداب يوصى بها ، وهي محفوظة عنه .

وخرجت الخوارج واتصل خروجها ، وإنما نذكر منهم من كان ذا خير طريف ، واتصلت به حكم من كلام وأشعار . فأول من خرج بعد قتل علي عليه السلام خوثة الأسدى فإنه كان مُتَنَحِّياً بِالْبَدَنِ نِيحِينَ ، فكتب إلى حابس الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه ، فيتعاضدا على مجاهدة معاوية ، فأجابته فرجعا إلى موضع أصحاب النخيلة ، ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي صلوات الله عليه بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام

وقيس بن عباد . ثم خرج الحسن يريد المدينة ، فوجه إليه معاوية وقد تجاوز طريقه يسأله أن يكون المتولى لمحاربتهم . فقال الحسن : « والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين ، وما أحسب ذلك يسعنى . أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم ؟ » . فلما رجع الجواب إليه ، وجه إليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة . ثم قال لأبيه أبي حوثة : « اكفى أمر ابنك » . فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع فأبى . فأداره فصم . فقال له : « يا بنى ، أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه ؟ » . فقال : « يا أبت أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوقُ منى إلى ابني » . فرجع إلى معاوية فأخبره فقال : « يا أبا حوثة ، عتأ هذا جدا » . فلما نظر حوثة إلى أهل الكوفة قال : « يا أعداء الله ، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه ، واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه ! » . فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز فقال : « يا أبت لك فى غيرى مندوحة ، ولى فى غيرك عنك مذهب » . ثم حمل على القوم وهو يقول :

اَكْرُزْ عَلَى هَذِي الْجُمُوعِ حَوْتِرَةٌ      فَعَنْ قَلِيلٍ مَا تَسَالُ الْمُغْفِرَةَ

فحمل عليه رجل من طيء فقتله ، فرأى أثر السجود قد لَوَّحَ جبهته ، فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا .

ويروى من حديث محمد بن كَعْبِ الْقُرَظِيِّ قَالَ : قَالَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا قَفَلْنَا نَزَلْنَا مَرَلًا فُخِرَجْتُ أَنَا وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ نَنظُرُ إِلَى قَوْمٍ يَعْتَمِلُونَ فَتَعَسْنَا فَمَنَّا فَسَفَتْ عَلَيْنَا الرِّيحُ التَّرَابَ فَمَا نَبَّهْنَا إِلَّا كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ : « يَا أَبَا تَرَابٍ » لَمَّا عَلَيْهِ مِنَ التَّرَابِ « أَتَعْلَمُ مِنْ أَشَقَى النَّاسِ ؟ »

يقال : « خَبَّرني يا رسول الله » . فقال : « أشقى الناس اثنان : أحمر ثمود الذي مقر الناقة ، وأشقاها الذي يخضب هذه - ووضع يده على خيته - من هذا - ووضع يده على قرنه » .

وخرج قُرَيْب بن مُرَّة وزَخَّاف الطائي ، وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد . اختلف الناس في أمورهما أيهما كان الرئيس . فاعترضا الناس ، فلقيا شيخا ناسكا من بني ضُبَيْعة بن نزار فقتلاه ، وكان يقال له رُوْبَة الضُبَيْعي . وتنادى الناس ، فخرج رجل من بني قُطَيْعة من الأزد ، وفي يده السيف . فناداه الناس من ظهور البيوت : « الحرورية ، الحرورية أَلج بنفسك » فنادوه : « لسنا حرورية ، نحن الشُّرط » فوقف فقتلوه . وبلغ أبا بلال خيرهما ، فقال : « قريب لا قربة الله من الخير ، وزخَّاف لا عفا الله عنه ، ركباها عشواء مظلمة » . يريد اعتراضهما الناس . ثم جعل لا يمران بقبيلة إلا قتلا من وجدا حتى مرا بني علي بن سُود من الأزد ، وكانوا رماة ، وكان فيهم مئة يجيدون الرمي . فرموهم رميا شديدا فصاحوا : « يابني علي ، البقيا لارمأء بيننا » . فقال رجل من بني علي :

لا شيء للقوم سوى السهام مشحودة في غلَس الظلام

فَعَرْد<sup>(١)</sup> عنهم الخوارج . وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفلوا إلى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مُضِر وغيرها ، فجاءهم ثمانون . وخرجت إليهم بنو طاحية بن سُود وقبائل مزينة وغيرها . فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم . ثم غدا الناس إلى زياد فقال : « ألا ينهى كل قوم سفهاءهم

(١) عرد : تنحى .

يا معشر الأزد ، لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت إنكم أرثتموها <sup>(١)</sup> . فكانت القبائل إذا أحست بخارجية فيهم شدتكم وأتت بهم زيادا . فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره . وله أخرى في الخوارج : أخرجوا معهم امرأة ، فظفر بها فقتلها ثم عراها ، فلم تخرج النساء بعد على زياد . وكن إذا دُعِين إلى الخروج ، قلن : «لولا التعرية لسارعنا» .

وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لإحدهما كُحَيْلَة والأخرى قَطَام . فجعل أصحاب عامر يُعَيِّرُونهم ، ويصيحون بهم : يا أصحاب كحيلة وقطام ، يعرضون لهم بالفجور . فتناديهم الخوارج بالدفع والرّدع ، ويقول قائلهم : «لا تَقْفُ <sup>(٢)</sup> ما ليس لك به علم» .

وكان مرداس بن حُدَيْر أبو بلال ، وهو أحد بنى ربيعة بن حَنْظَلَة ، تُعْظِمُه الخوارج ، وكان مجتهدا كثير الصواب في لفظه . فلقبه غيلان بن خَرَشَة الصَّبِي فَقَالَ: «يا أبا بلال ، إن سمعت الأمير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء ، وأحسبها سَتُوْخَذُ» . فمضى إليها أبو بلال فقال لها : «إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية فاستترى ، فإن هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك» . فقالت : «إن يأخذني فهو أشقى بي ، فأما أنا فما أحب أن يعنت إنسان بسببي» . فوجه إليها عبيد الله بن زياد فأتى بها . فقطع يديها ورجليها ، ورمى بها في السوق فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال : «ما هذا ؟» . فقالوا : «البلجاء» فعرج إليها فنظر ثم عض لحيته ، وقال لنفسه : «لَهْدِه أطيّب نفسا عن بقية الدنيا منك

(١) أرثتموها : أو قدتموها .

(٢) تقفو : تتبع .

يامرداس» ثم إن عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا . فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقة ، فقال له : «إني أرى لك مذهبا حسنا ، وإني لأحب أن أوليك معروفا ، أفرأيت إن تركتك تنصرف قليلا إلى بيتك أتدّج إلى ؟» . قال : «نعم» فكان يفعل ذلك به . ولج عبيد الله في حبس الخوارج وقتلهم فكلم في بعض الخوارج فلج وأبى ، قال : «أقمع النفاق قبل أن يتجم<sup>(١)</sup> ، لكلام هؤلاء أسرع على القلوب من النار إلى اليراع<sup>(٢)</sup>» . فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط . فقال ابن زياد : «ما أدري ما أصنع هؤلاء ؟ كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فكوا بقاتله . لأقتلن من حبس منهم» . فأخرج السجن مرداسا إلى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر . فلما كان السحر قهيا للرجوع ، فقال له أهله : «اتق الله في نفسك ، فإنك إن رجعت قتلت» . فقال : «إني ما كنت لألقى الله غادرا» . فرجع إلى السجن ، فقال : «إني قد علمت ما عزم عليه صاحبك» . فقال : «أعلمت ورجعت ؟ ا» .

ويروى أن مرداسا مر بأعرابي يهنا<sup>(٣)</sup> بعيرا له فهرج البعير . فسقط مرداس مغشيا عليه . فظن الأعرابي أنه قد صرع فقرأ في أذنه . فلما أفاق قال له الأعرابي : «قرأت في أذنك» . فقال له مرداس : «ليس بي ما خفته على ، ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني ما رأيت» فقال : «لا جرّم والله لا فارقتك أبدا» .

(١) يتجم : يظهر .

(٢) اليراع : القصب .

(٣) يهنا البعير : يظليه بالقطران .

وكان مرداس قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ،  
وأنكر التحكيم ، وشهد النهر ، ولجأ فيمن نجا . فلما خرج من حبس ابن زياد  
ورأى جده في طلب الشراة ، عزم على الخروج ، فقال لأصحابه : « إنه والله ما  
يَسَعُنَا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجرى علينا أحكامهم مجانين للعدل مفارقين للفصل  
. والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم  
ولكننا نَتَّبِعُ عَنْهُمْ ولا نُجْرِدُ سِيفًا ولا نَقَاتِلُ إِلَّا من قَاتَلَنَا . فاجتمع إليه  
أصحابه زهاء ثلاثين رجلا ، منهم حُرَيْثُ بن حَجَلٍ وَكَهْمَسُ بن طَلْقِ الصَّرِيحِي .  
فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى . فولوا أمرهم مرداسا . فلما مضى بأصحابه  
لقيه عبد الله بن رباح الأنصارى ، وكان له صديقا . فقال له : « أين تريد ؟ » قال : «  
أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة » قال : « أعلم  
بكم أحد ؟ » . قال : « لا » . قال : « فارجع » . قال : « أتخاف على مكروها » .  
قال : « نعم وأن يؤتى بك » . قال : « فلا تخف فإن لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا  
ولا أقاتل إلا من قاتلني » . ثم مضى حتى نزل آسك ، وهو ما بين رامهرمز وأرجان .  
فمر به مال يُحْمَلُ لابن زياد ، وقد قارب أصحابه الأربعين . فحط ذلك المال ،  
فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ، ورد الباقي على الرسل . وقال : « قولوا  
لصاحبكم إنما قبضنا أعطياتنا » . فقال بعض أصحابه : « فعلام تدع الباقي ؟ »  
فقال : « إنهم يقسمون هذا الفئء ، كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم » . ولأبي بلال  
أشعار في الخروج اخترت منها قوله :

ومن خاض في تلك الحروب المهالكا  
وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا  
وهب لي التقى حتى ألقى أولئكا

أبعد ابن وهب ذي الزاهة والتقى  
أحب بقاء أو أرجى سلامة  
فإرب سلم ليق وبصيرتى

ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا في جيش نريد خراسان ، فمررنا بآسك ، فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا . فصاح بنا أبو بلال : « أقاصدون لقتالنا أتم ؟ » . وكنت أنا وأخي قد دخلنا زربا فوقف أخي ببابه . فقال : « السلام عليكم » فقال مرداس : « وعليكم السلام » فقال لأخي : « أجئتم لقتالنا ؟ » فقال له : « لا إنما نريد خراسان » . قال : « فأبلغوا من لقيكم أننا لم نخرج لنفسد في الأرض ، ولا لنرؤع أحدا ولكن هربا من الظلم ، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ، ولا نأخذ من الفياء إلا أعطياتنا » . ثم قال : « أندب إلينا أحد » . قلنا : « نعم ، أسلم بن زُرعة الكلابي » . قال : « فمتى ترونه يصل إلينا ؟ » قال : « يوم كذا وكذا » . فقال أبو بلال : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ » .

وجهز عبيد الله أسلم بن زرعة في أسرع وقت ، ووجهه إليهم في ألفين ، وقد تئام أصحاب مرداس أربعين رجلا . فلما صار إليهم أسلم ، صاح به أبو بلال : « اتق الله يا أسلم ، فإننا لا نريد قتالا ولا لمحتجن<sup>(١)</sup> فينا ، فما الذي تريد ؟ » قال : « أريد أن أردكم إلى ابن زياد » . قال مرداس : « إذا يقتلنا » . قال : « وإن قتلكم ؟ » قال : « تشركه في دماننا » . قال : « إني أدين بأنه محق وأنكم مبطلون » فصاح به حريث بن حجل : « أهو محق وهو يطيع الفجرة ، وهو أحدهم ، ويقتل بالظنة ، ويخص بالفياء ، ويجور في الحكم ، أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برآء وأنا أحد قتلته . ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه » . ثم حملوا عليه حملة رجل واحد ، فانهزم هو وأصحابه من غير قتال . وكان مقبداً أحد الخوارج قد كاد يأخذه . فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا ، وقال : « وَبَيْتِكَ ، أَمْضَى فِي أَلْفِينَ فَتَهْزَمُ لِحَمَلَةِ أَرْبَعِينَ ؟ » . وكان أسلم يقول :

(١) لمحتجن : لمختص أنفسنا .

«لأنَّ يَدُمنى ابن زياد حيا أحب إلى من أن يمدحنى ميتا» . وكان إذا خرج إلى السوق أمر بصبيان صاحوا به : «أبو بلال وراءك» . وربما صاحوا به : «يا معبد ، خذه» . حتى شكّا ذلك إلى ابن زياد ، فأمر ابن زياد الشرط أن يكفوا الناس عنه .

ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تميم اللات بن ثعلبة فى كلمة له :

فلما أصبحوا صلّوا وقاموا	إلى الجرد العناق مُسومينا <sup>(١)</sup>
فلما استجمعوا حملوا عليهم	فظل ذوو الجعائل يُقتلونا <sup>(٢)</sup>
بقية يومهم حتى أتاهاهم	بان القوم ولّوا هاربينا
ألّفا مؤمن فيمّا زعمتم	ويهزمهم بأسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك	على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس ، فاختر عباد بن أخضر فوجهه فى أربعة آلاف . فتهد <sup>(٣)</sup> لهم . ويزعم أهل العلم أن القوم قد كانوا تنحّوا عن درابجرد من أرض فارس ، فصار إليهم عباد . وكان التقاؤهم فى يوم جمعة . فناداه أبو بلال : «اخرج إلى يا عباد ، فإني أريد أن أحاورك» . فخرج إليه فقال : «ما الذى تبغى ؟» . قال : «أن آخذ بأقفاكم فأردكم إلى الأمير عبيد الله بن زياد» . قال : «أو غير ذلك» . قال : «وما هو ؟» . قال : «أن ترجع فإننا لا نخيف سيلا ، ولا نذعر مسلما ، ولا نحارب إلا من حاربنا ، ولا نجبي إلا ما حمينا» .

(١) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . والعناق : الكريمة . والمسوم : المعلم .

(٢) الجعائل : جمع جميلة ، وهى الأجر ، يصفهم بأنهم ماجورون .

(٣) تهد : برز .

فقال له عباد : « الأمر ما قلت لك » . فقال له حريث بن حَجَل : « أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد ؟ » قال لهم : « أنتم أولى بالضلال منه . وما من ذاك بدا » . وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج . فلما رأى الجَمَعين ، قال : « ما هذا ؟ » قالوا : « الشُّرأة » . فحمل عليهم ونشبت الحرب . فأخذ القعقاع أسيرا فأتى به أبو بلال . فقال : « ما أنت ؟ » قال : « لست من أعدائك ، وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت » . فأطلقه فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه . ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول :

أقاتلهم وليس على بَعثٍ      نشاطا ليس هـذا بالنشاط  
أكرُّ على الحرورين مُهْرِي      لأُجَلِّهم على وَضَحِ الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل السُدُوسى وكَهْمَس بن طَلْق الصريمى ، فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال . فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت صلاة الجمعة . فناداهم أبو بلال : « يا قوم هذا وقت الصلاة ، فوادِعونا حتى نصلى وتصلوا » . قالوا : « لك ذاك » . فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة . فأسرع عباد ومن معه ، والحرورية مبطنون . فهم من بين راکع وقائم وساجد فى الصلاة وقاعد ، حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا . فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم . فصُلبت رؤوسهم وفيهم داود بن شَبَث وكان ناسكا ، وفيهم حبيبة النَّضْرَى من قيس وكان مجتهدا .

فُيروى عن عمران بن حِطَّان أنه قال . قال لى حبيبة : لما عزمت على الخروج فكُرت فى بناتى فقلت ذات ليلة : « لأُمسِكَنَّ عن تفقدهن حتى أنظر » . فلما كان فى جوف الليل استسقت بنية لى فقالت : « يا أبت اسقنى » . فلم أجبها

فَاعَادَات . فقامت أحيّة لها أسنّ منها فسقتها . فعلمت أن الله عز وجل غير مضيعهن فأتّمت عزمي . وكان في القوم كهمس ، وكان من أبرّ الناس بأمه . فقال لها : « يا أمّه لولا مكانك لخرجت » . فقالت : « يا بني قد وهبتك لله » . ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك الحَبْطِيُّ :

ألا في الله لا في الناس شالتُ	بداود وإخوته الجذوع
مَضَوْا قَتْلًا وَمَعْرِيْقًا وَصَلْبًا	تحوّم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل أظلم كآبـوده	فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا	وأهل الأمن في الدنيا هُجوع <sup>(١)</sup>

وقال عمران بن حطان :

يا عين بكى لمرداسٍ ومصرعه	ياربّ مرداسٍ اجعلني كمرداس
تركنتي هانما أبكى لمرزنتي	في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناس
أنكرتُ بعدك من قد كنتُ أعرفه	ما الناس بعدك يامرداس بالناس
إما شربت بكأسٍ دار أولها	على القرون فداقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذُقها شاربٌ عجلا	منها بأنفاسٍ ورّد بعد أنفاس

ثم إن عباد بن أخضر المازني لبث دهرا في المصر محمودا موصوفا بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به . فدَمَر<sup>(٢)</sup> بعضهم بعضا على ذلك . فجلسوا في يوم جمعة ، وقد أقبل على بغلة له وابنه

(١) شالت به : ارتفعت . ويسفر : يظهر ضوء نهاره .

(٢) دَمَر : حض .

رَدِيْفِهِ . فقام إليه رجل منهم فقال : « أسألك عن مسألة » قال : « قُل » . قال : « رأيت رجلا قتل رجلا بغير حق ، وللقاتل جاةٌ وقَدْرٌ وناحية من السلطان : أَوْلَى ذلك المقْتول أن يفتك به إن قَدَرَ عليه ؟ » . قال : « بل يرفعه إلى السلطان » . قال : « إن السلطان لا يُعْدِي <sup>(١)</sup> عليه لكانه منه وعظيم جاهه عنده » . قال : « أخاف عليه إن فُتِكَ به فُتِكَ به السلطان » . قال : « دَغُ ما تخافه من ناحية السلطان ، أتلقفه تبعة فيما بينه وبين الله » . قال : « لا » . فحَكَّم هو وأصحابه وخطبوه بأسياْفهم . ورمى عباد ابنه فنجوا . وتنادى الناس : « قُتِلَ عباد » . فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق . وكان مقتل عباد في سكة بنى مازن . فصاحوا بالناس : « دَعُونَا وثأرنا » . فأحجم الناس وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحد إلا عبيدة بن هلال ، فإنه خرق خُصا <sup>(٢)</sup> ونفذ منه . ففي ذلك يقول الفرزدق :

لقد أدرك الأوتارَ غيرَ ذميمة	إذا ذمَّ طلاب التراتِ الأخضر
هم جردوا الأسيافَ يوم ابنِ أخضر	فنالوا التي ما فوقها نال ثائر
أقادوا به أسدا لها في اقتحامها	إذا برزتْ نحو الحروب بصائر <sup>(٣)</sup>

وقال معبد بن أخضر :

سأحي دماء الأخضرين إنــــه	أبي الناسُ إلا أن يقولوا ابنُ أخضرا
----------------------------	-------------------------------------

(١) يعدى عليه : يعاقبه .

(٢) خص : بيت من شجر .

(٣) الأوتار : الثارات . وكذلك التراث .

وكان مقتل عباد ، وعبيد الله بن زياد بالكوفة ، وخليفته على البصرة  
عبيد الله بن أبي بكر فكتب إليه يأمره أن لا يدع أحدا يُعرف بهذا الرأي إلا  
حبسه وجَدَّ في طلبه ممن تغيب منهم . فجعل عبيد الله بن أبي بكر يتبعهم  
فياخذهم . فإذا شُفع إليه في أحد كَفَّله إلى أن يقدّم ابن زياد حتى أتى بعروة بن  
أديّة فأطلقه وقال : «أنا كفيلك» فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن  
منهم فقتلهم جميعا . وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم . فكل من جاءه  
بصاحبه أطلقه وقتل الخارجى . ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله . ثم قال  
لعبيد الله بن أبي بكر : «هات عروة بن أديّة» . قال : «لا أقدر عليه» . قال :  
«إذن والله أقتلك فإنك كفيله» . فلم يزل يطلبه حتى دُلَّ عليه في سَرَب العلاء بن  
سُوِيَة المِنْقَرَى . فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد . فقرأ عليه الكتاب :  
«إنما أصبناه في شَرَب» . فقال للكاتب «صحفت والله ولؤمت ، إنما هو في  
سرب العلاء بن سوية . ولَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشرب النبيذ» . فلما أقيم عروة بن  
أديّة بين يديه حاوره . وقد اختلف الناس في خبره . وأصحُّه عندي أنه قال له :  
«جهزت أخاك على» . فقال : «والله لقد كنت به ضنينا وكان لى عزا . ولقد  
أردت له ما أريده لنفسى فعزم عزما فمضى عليه ، وما أحب لنفسى إلا المقام  
وترك الخروج» . قال له : «أفأنت على رأيه ؟» قال : «كلنا نعبد ربا واحدا»  
قال : «أما لأمثلن بك» . قال : «اختر لنفسك من القصاص (١) ما شئت» .  
فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال : «كيف ترى ؟» قال : «أفسدت على  
دنياى وأفسدت عليك آخرتك» . فقتل ثم صُلب على باب داره .

(١) القصاص : العقاب .

وكان عبید الله لا يُلبث الخوارج : يحبسهم تارة ويقتلهم تارة ، وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم . وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولى بعده فخرجوا عليه . فأما زياد فكان يقتل المُعلن ويستصلح المُسر ، ولا يجرّد السيف حتى تزول التهمة .

ووجّهه يوماً بُحينة بن كَبِيش الأعرجى إلى رجل من بنى سعد يرى رأى الخوارج . فجاءه بُحينة فأخذه . فقال : «إني أريد أن أحدث وضوءاً للصلاة ، فدعني أدخل إلى منزلي» . قال : «ومن لي بخروجك ؟» . قال : «الله عز وجل» . فتركه فدخل . فأحدث وضوءاً ثم خرج . فأتى به بحينة زيادا . فلما مثل بين يديه ذكر الله زياداً ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال : «قعدت عنى فأنكرت ذلك» . فذكر الرجل ربه فحمده ووحدّه ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر وبخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال : «إنك قد قلتَ قولاً فصدّقه بفعلك . وكان من قولك : ومن قعد عنا لم نهجّه ، فقعدت» . فأمر له بصلّة وكسوة وحُملان . فخرج الرجل من عند زياد . وتلقاه الناس يسألونه فقال : «ما كلّمكم أستطيع أن أخبره ، ولكنى دخلت على رجل لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فرزق الله منه ما ترون» . وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول : «ما أحسب الذي يمنعكم من إتياني إلا الرُّجلة<sup>(١)</sup>» . فيقولون : «أجل» . فيحملهم ويقول : «اغشونى الآن واسمّروا عندي» . فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : «قاتل الله زيادا ، جمع لهم كما تجمع الدّرة<sup>(٢)</sup> ، وحاطهم كما تحوط الأمّ البيرة ، وأصلح العراق

(١) الرجلة : عدم امتلاك الرجل ما يركبه .

(٢) الدرة : النملة الصغيرة .

بأهل العراق ، وترك أهل الشام في شامهم ، وجي العراق مئة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف» .

وبلغ زيادا عن رجل يُكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة أنه يرى رأى الخوارج . فدعاه فولاه جُنْدَى سابور وما يليها ، ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر ، وجعل عمالته <sup>(١)</sup> في كل سنة مئة ألف . فكان أبو الخير يقول : « ما رأيت شيئا خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة » . فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيئا . فتممر لزياد فحبسه . فلم يخرج من حبسه حتى مات .

وقال الرُّهَيْن ، وكان رجلا من مراد ، وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمذلة عمران بن حطان ، وكان عمران بن حطان في وقته شاعر قَعَد الصُّفْرِيَّة ورئيسهم ومفتيهم . قال المرادى :

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي	لا تأمننَّ لصرْفِ الدهر تنغيصا
إني لبائعُ ما يفتنى لباقيَّة	إن لم يعقني رجاءُ العيش تربيصا
وأسالُ الله ببيعِ النفس مُحْتسِبا	حتى الأقي في الفردوس حُرْقوصا
وابنَ المتيجِ ومرداسا وإخوته	إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا <sup>(٢)</sup>

وهذه كلمة له . وله أشعار كثيرة في مذاهبهم . وكان زياد ولي شيبان بن عبد الله الأشعري صاحب مقبرة بني شيبان باب عثمان وما يليه . فجد في طلب الخوارج وأخافهم وكانوا كثروا . فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة ، وهو متكئ

(١) العمالة : الأجر .

(٢) التربيص : التوقف والتمهل . والمخاميص : الجوعى .

بباب داره ، رجلان من الخوارج . فضرباه بأسيافهما فقتلاه . وخرج بنون له للإغاثة فقتلوا . ثم قتلها الناس . فأتى زياد بعد ذلك برجل من الخوارج فقال : « اقتلوه متكننا كما قُتل شيبان متكننا » . فصاح الخارجي : « يا عدلأه ! » يهزأ به .

وذكر لعبيد الله بن زياد رجل من بني سدوس ، يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة ، وكان من نساكهم . فوجه إليه فأخذه . فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه ، وقال : « هو صهرى وهو فى ضِمْنى » . فخلى عنه . فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب . فأتى ابن زياد فأخبره . فبعث إلى خالد بن عباد فأخذ . فقال عبید الله ابن زياد : « أين كنت فى غيبتك هذه ؟ » . قال : « كنت عند قوم يذكرون الله ، ويذكرون أئمة الجور فيتبرؤون منهم » . قال : « دُلّنى عليهم » . قال : « إذن يسعدوا وتشقى ، ولم أكن لأرؤهم » . قال : « فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ » . قال : « خيرا » . قال : « فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان : أتتولاه ، وأمير المؤمنين معاوية ؟ » . قال : « إن كانا وليين لله فلست أعاديهما » . فأراغه مرات فلم يرجع . فعزم على قتله فأمر بإخراجه إلى رحبة تعرف برحبة الزيتى . فجعل الشرط يتفادون من قتله ، ويروغون عنه توفيا ، لأنه كان شاسفا <sup>(١)</sup> عليه أثر العبادة حتى أتى المثلّم بن مسروح الباهلى ، وكان من الشرط ، فتقدم فقتله . فائتمر به الخوارج ليقتلوه ، وكان مغرما باللقاح <sup>(٢)</sup> يتبعها ، فيشترىها من مظانها <sup>(٣)</sup> وهم فى تَفَقُّده . فدسوا إليه رجلا فى هيئة الفتیان عليه رَدْع <sup>(٤)</sup> زعفران . فلقى به بالمربد ،

(١) الشاسف : الضامر الهزيل .

(٢) اللقاح : جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب .

(٣) مظانها : الأماكن التى يظن أنها موجودة فيها .

(٤) الردع : الأثر .

وهو يسأل عن لُقْحَة صَفِي (١) . فقال له الفتى : « إن كنت تبلغ فعندي ما يُغنيك عن غيره ، فامض معي » . فمضى المثلث على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد . فدخل دارا وقال له : « ادخل على فرسك » . فلما دخل وتوغل في الدار ، أغلق الباب . وثارت به الخوارج فاعتوره (٢) حُرَيْث بن حَجَل وكَهْمَس بن طَلْق الصَّرِيمِي فقتلاه . وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ، ودَفَنَاهُ في ناحية الدار ، وحكا آثار الدم ، وخليا فرسه في الليل فأصيب من الغد في المربد . وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا . فاتهموا به بنى سَدُوس فاستعدوا عليهم السلطان . وجعل السدوسيون يحلفون . فتحامل ابن زياد مع الباهليين ، فأخذ من السدوسيين أربع ديات ، وقال : « ما أدري ما أصنع هؤلاء الخوارج ؟ كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله » . فلم يُعلم بمكانه حتى خرج مرداس . فلما واقفهم ابن زُرْعَة الكلابي صاح بهم حريث بن حجل : « أهاهنا من باهلة أحد ؟ » . قالوا : « نعم » . قال : « يا أعداء الله ، أخذتم بالمثلث أربع ديات وأنا قاتله ، وجعلت دراهم كانت معه في بطنه ، وهو في موضع كذا مدفون ا » . فلما انفزموا صاروا إلى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ، ففي ذلك يقول أبو الأسود الدُّؤَلِي :

آلَيْتُ لَا أَغْدُو إِلَى رَبِّ لُقْحَةَ  
أَسَاوَمَهُ حَتَّى يَعُودَ الْمَثْلَمُ (٣)

ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم كلهم قُتِلَ حتى انتهى الأمر إلى الأزارقة . ومن هاهنا افترت الخوارج ، فصارت على أربعة أضرب : الإباضية ، وهم

(١) الصفي : الغزيرة اللبن .

(٢) اعتوره : بادلته .

(٣) آليت : ألسمت .

أصحاب عبد الله بن إباح : والصُّفْرِيَّة ، واختلفوا في تسميتهم ، فقال قوم : سموا  
بأبن صَفَار ، وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه : هم قوم لهكَّتْهم العبادة  
فاصفرت وجوههم ؛ ومنهم البَيْهَسِيَّة ، وهم أصحاب أبي بَيْهَس ؛ ومنهم الأزارقة ،  
وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي . وكاتوا قَبْلُ على رأى واحد لا يختلفون إلا  
في الشيء الشاذ من الفروع ، كما قال صخر بن عروة : «إني كرهت قتال علي  
ابن أبي طالب رضى الله عنه لسابقته وقرابته . فأما الآن فلا يسعني إلا الخروج » .  
وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر . فضلته الخوارج بامتناعه من قتال علي .  
فكان أول أمرهم الذى نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم لجدة بن عامر  
الحنفي عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة  
الحرّة . فقالوا : «هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة ، ويجب علينا أن نمنع حرم الله  
منه ، ونمتحن ابن الزبير ، فإن كان على رأينا بايعناه » . فمضوا لذلك فكان  
أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبي ، وكان من مجتهدى الخوارج ، كان يذم نفسه  
ويلومها على القعود ، وكان شاعرا ، وكان يفعل ذلك بأصحابه . فأتى نافع  
ابن الأزرق ، وهو في جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان ، وكان ذا لسان  
عَضْبٍ واحتجاج وصبر على المنازعة . فأتاه أبو الوازع فقال : «يا نافع ، لقد  
أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلًا ، فَلَوَدِدْتُ أن صرامة لسانك كانت لقلبك  
وكلال قلبك كان للسانك ، أتخص على الحق وتقعده عنه ، وتقبح الباطل وتقيم  
عليه ؟ » . فقال : «إلى أن تجمع من أصحابك من تنكى به عدوك » . فقال  
أبو الوازع :

لسانك لا تنكى به القوم إنما      تنال بكفيك النجاة من الكرب  
فجاهد أناسا حاربوا واصطبر      عسى الله أن يخزي غوي بني حرب<sup>(١)</sup>

(١) الغوى : الضال ، يريد معاوية بن أبي سفيان .

ثم قال : « والله لا ألومك ونفسي ألوم ، ولأغدون غدوة لا أنثى بعدها أبداً » . ثم مضى فاشترى سيفاً وأتى صَيِّقلاً كان يدم الخوارج ويدل على عوراهم فشاوره في السيف فحمده . فقال : « اشحذه » . فشحذه حتى إذا رضيه حَكَمَ وخبط به الصيقل . وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى مقبرة بني يشكر . فدفع عليه رجل حائطَ السُّترة . فسكرهت ذلك بنو يشكر خوفاً أن تجعل الخوارج قبره مهاجراً .

فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدُّوا ، وخرج في ذلك جماعة . فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطي من تيم اللات بن ثعلبة ، ومقتله بعد خروج الأزارقة .

فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف إلى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم . فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام . فدافعوهم إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير . ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا : « ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قدم أبا بكر وعمر ، وبرئ من عثمان وعلى ، وكفَّر أباه وطلحة بايعناه . وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يُجئدي علينا » . فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل<sup>(١)</sup> وأصحابه متفرقون عنه . فقالوا : « إنا جنناك لتخبرنا رأيك ، فإن كنت على الصواب بايعناك ، وإن كنت على غيره دعوناك إلى الحق . ما تقول في الشيخين ؟ » . قال : « خيراً » . قالوا : « فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى ، وآوى الطريد ، وأظهر لأهل مصر شيتنا

(١) متبذل : في لباسه وهيبته المرلية دون تكلف .

وكتب بخلافه ، وأوطأ آل أبي مُعَيْط رقاب الناس ، وآثرهم بَقِيءِ المسلمين ، وفي الذى بعده الذى حكم فى دين الله الرجال ، وأقام على ذلك غير تائب ، ولا نادم ، وفى أيبك وصاحبه ، وقد بايعا عليا وهو إمام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بَعْرَضٍ من أعراض الدنيا ، وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يَقرنَ فى بيوتهن وكان لك فى ذلك ما يدعوك إلى التوبة . فإن أنت قلت كما نقول فلك الزُّلْفَةُ <sup>(١)</sup> عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق . وإن آيت إلا نصر رأيك الأول وتصويب أيبك وصاحبه ، والتحقيق بعثمان والتولى فى السنين الست التى أحلت دمه وأفسدت إمامته ، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا» فقال ابن الزبير : «إن الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الكافرين وأعق العتاة بأرأف من هذا القول ، فقال لموسى وأخيه صلى الله عليهما وسلم : ﴿ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى » ، فنهى عن سب أبى جهل من أجل عكرمة ابنه ، وأبو جهل عدو الله ، وعدو الرسول ، والمقيم على الشرك ، والجاد فى المحاربة ، والمتبعضُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنبا . وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذى سميت فيه طلحة وأبى أن تقولوا : أتبرا من الظالمين . فإن كانا منهم دخلا فى غمار الناس ، وإن لم يكونا منهم لم تُحفظوني <sup>(٢)</sup> بسب أبى وصاحبه . وأنتم تعلمون أن الله عز وجل قال للمؤمن فى أبويه : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ . وقال جل ثناؤه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ وهذا الذى دعوتم إليه أمر له ما بعده ، وليس يُقنعكم إلا التوقيف والتصريح .

(١) الزلفة : القربى والحظوة .

(٢) تحفظوني : تعضوني .

ولعمري إن ذلك لأخرى بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى بان يعرف كلُّ صاحبه من عدوه . فرُوحوا إلى من عَشَيْتَكم هذه ، أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله . » .

فلما كان العشي راحوا إليه فخرج إليهم وقد لبس سلاحه . فلما رأى ذلك نجدة قال : « هذا خروج مُنابِدٍ لَكُمْ <sup>(١)</sup> » . فجلس على رُفْعٍ <sup>(٢)</sup> من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ثم وصَلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية ، وخيّر أنه آوى الحَكَمَ بن أبي العاص بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له أن يفعلها أولاً مصيباً ثم أعتبهم <sup>(٣)</sup> بعد محسناً ، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه بعد أن ضمّن لهم العُتْبَى ، ثم كتبت لهم ذلك الكتاب بقتلهم ، فدفعوا الكتاب إليه . فحلف أنه لم يكتبه ا ولم يأمر به . وقد أمر بقبول اليمين من ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانه من الإمامة ، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه . وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها لَحَلَفَ على حق ، فافتداها بمئة ألف ولم يحلف . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف بالله فَلْيَصِدُقْ ، ومن حَلِفَ له بالله فَلْيُرْضَ » . فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه ، وأنا وليّ وليه وعدو عدوه ، وأبي وصاحبه صاحباً رسول الله صلى الله

(١) المنابذ : المخالف المفاوق عن عداوة .

(٢) الرفع : المرتفع .

(٣) أعتبهم : أرضاهم .

عليه وسلم . ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد ، لما قُطعت إصبع طلحة : «سبقته إلى الجنة». وقال : «أَوْجَبَ طَلْحَةَ (١)» . وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال : «ذاك يوم كله أو جُلُّه لطلحة» . والزبير حواري رسول الله وصفوته . وقد ذكر أنهما في الجنة . وقال عز وجل : «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» . وما أخبرنا بعد أن سخط عليهم . فإن يكن ما سَعَوْا فيه حقا فأهل ذلك هم . وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبهم صلى الله عليه وسلم . ومهما ذكرتموهما به ، فقد بدأت بأمكم عائشة رضي الله عنها . فإن أبي آب أن تكون له أما نبذ اسم الإيمان عنه . قال جل ذكره وقوله الحق : «الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه .

وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشام بعد أن كان حصين ابن نمير قد حصر ابن الزبير أنه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس وكان أهل الشام ضجروا من المقام على الزبير وحنقت الخوارج في قتالهم .

فتفرقت الخوارج على ابن الزبير لما تولى عثمان . فصارت طائفة إلى البصرة ، وصارت طائفة إلى اليمامة . وكان رجاء النميري هو الذي كان جمعهم للمدافعة عن الحرم . فكان فيمن صار إلى البصرة نافع بن الأزرق الحنفي ، وبنو الماحوز السليطيون ، ورئيسهم حسان بن بحزج . فلما صاروا إلى البصرة نظروا في أمورهم فأمرؤا عليهم نافعا . ويروى أن أبا الجلد الشكري قال لنافع يوما : «يا نافع إن لجهنم سبعة أبواب ، وإن أشدها حرا الباب الذي أُعد للخوارج .

(١) أوجب طلحة : وجبت له الجنة .

فإن قدرت أن لا تكون منهم فافعل» . فأجمع القوم على الخروج . فمضى بهم نافع إلى الأهواز في سنة أربع وستين . فأقاموا بها لا يهيجون أحداً ويناظروهم الناس . وكان سبب خروجهم أنه لما مات يزيد ، بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد ، وكان في السجن يومئذ أربعمئة رجل من الخوارج . وضعف أمر ابن زياد فكلم فيهم فأطلقهم ، فأفسدوا البيعة عليه وفشوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان ، ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره . فتحول عن دار الإمارة إلى الأزدي . ونشأت الحرب بسببه بين الأزدي وربيعة وبين بني تميم . فاعتزلهم الخوارج إلا نفرًا منهم من بني تميم معهم عبيد بن طلق الصرمي أخو كههم ، فإنهم أعانوا قومهم .

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وكاف الناس ، أقام نافع بن الأزرق بموضعه بالأهواز ، ولم يعد إلى البصرة . وطردها عمال السلطان عنها ، وجبوا الفسء . ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهر ومرداسا ومن خرج معه ، حتى جاء مولى لبني هاشم إلى نافع ، فقال له : « إن أطفال المشركين في النار ، وإن من خالفنا مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال » . قال له نافع : « كفرت وأذلت بنفسك » . قال له : « إن لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلني . » وَقَالَ نُوْحٌ رَبِّ لَأَنْذِرَنَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۗ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۗ . فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم » . فشهد نافع أنهم جميعا في النار ورأى قتلهم وقال : « الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم . ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نفتحنه . وهم ككفار العرب لا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف والقعد بمولتهم . والتقية لا تحل ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ

خَشْيَةً» . وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ .

فتفر جماعة من الخوارج عنهم منهم نجدة بن عامر ، واحتج عليه بقوله عز وجل : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ ، وبقوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ ، فالتقعد منا والجهاد إذا أمكن أفضل ، لقوله عز وجل : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . ثم مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة ، وتفرقوا في البلدان . فلما تنابح<sup>(١)</sup> نافع في رأيه وخالف أصحابه وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم في جماعة قد بايعوه ، فلما انزل نجدة خلعوا أبا طالوت ، وصاروا إلى نجدة فبايعوه . ولقى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة . فقال لهم أصحاب نجدة « إن نافعا قد كفر القعد ، ورأى الاستعراض<sup>(٢)</sup> وقتل الأطفال » . فانصرفوا مع نجدة .

وكتب نافع إلى من بالبصرة من الحكمة : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ، ففيه المقام بين أظهر الكفار، ترون الظلم ليلا ونهارا ، وقد ندبكم الله إلى الجهاد، فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ . ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الأحوال ، فقال : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ . فلا تغتروا ولا تطمئنوا إلى الدنيا ، فإنها غرارة مكارة ، لذتها نافذة ، ونعمتها بائدة ، حُفت بالشهوات اغترارا ، وأظهرت حبرة ،

(١) تنابح : أسرع .

(٢) الاستعراض : القتل دون سؤال .

واضمرت عبرة . فليس آكلٌ منها أكلة تسره ، ولا شارب شربة تؤنقه ، إلا دنا  
بها درجة إلى أجله ، وتباعد بها مسافة من أمه . وإنما جعلها الله دارا لمن تزود منها  
إلى النعيم المقيم والعيش السليم . فلن يرضى بها حازم دارا ولا حلیم بها قرارا .  
﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

والسلام على من اتبع الهدى» .

فورد كتابه عليهم ، وفي القوم يومئذ أبو بيّهس هيصم بن جابر الضبعي ،  
وعبد الله بن إباح المرّي من بني مرة بن عبيد فأقبل أبو بيّهس على ابن إباح  
فقال: «إن نافعاً غلاماً فكفر ، وإنك قصرت فكفرت . تزعم أن من خالفنا  
ليس بمشرك ، وإنما هم كفار التّعّم لتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول .  
وتزعم أن مناكحهم ومواريتهم والإقامة فيهم حلّ طلق . وأنا أقول : إن أعداءنا  
كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل لنا الإقامة فيهم كما فعل المسلمون في  
إقامتهم بمكة ، وأحكام المشركين تجرى فيها . وأزعم أن مناكحهم ومواريتهم تجوز  
لأنهم منافقون يُظهرون الإسلام ، وأن حكمهم عند الله حكم المشركين » .

فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل : قول نافع في البراءة والاستعراض  
واستحلال الأمانة وقتل الأطفال ، وقول أبي بيّهس الذي ذكرناه . وقول عبد الله  
ابن إباح وهو أقرب الأقاويل إلى السنة من أقاويل . وقالت الصّفرية أئین من هذا  
القول في أمر القعد حتى صار عامتهم قعدا . وقال أبو بيّهس : الدار دار كفر ،  
والاستعراض فيها جائز وإن أصيب من الأطفال فلا حرج .

وتفرقت الخوارج على الأضرُب الأربعة التي ذكرنا . وأقام نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الأطفال . فإذا أُجيب إلى المقالة جى الخراج . وفشا عماله في السواد <sup>(١)</sup> فارتاع لذلك أهل البصرة . فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا ذلك إليه ، قالوا : « ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان ، وسيرتهم ما ترى ا » . فقال الأحنف : « إن فعلهم في مصركم إن ظفروا به كفعلهم في سوادكم . فجدُّوا في جهاد عدوكم » . فاجتمع إليه عشرة آلاف . فأتى عبد الله بن الحارث وهو بيَّة ، فسأله أن يؤمِّر عليهم . فاختار لهم ابن عُبَيْس بن كُرَيْز ، وكان دينا شجاعا . فأقره عليهم وشيعه . فلما نفذ من جسر البصرة ، أقبل على الناس فقال : « إني ما خرجت لا متيار ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم . فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع » . فرجع نفر يسير ومضى الباقيون معه . فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعُقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل . وتضاربوا بالسيوف والعمد ، فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الأزرق . وكان ابن عبيس تقدم إلى أصحابه فقال : « إن أصبت فأمركم الربيع بن عمرو الأجدم العُداني » . فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية . وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماخوز السليطي . فكان الرئيسان من بني يربوع : رئيس المسلمين من بني عُدانة بن يربوع ، ورئيس الخوارج من بني سليط ابن يربوع . فاقتتلوا قتالا شديدا .

فلم يزل الربيع يقاتلهم يِّفا وعشرين يوما ، حتى قال يوما : « أنا مقتول لا محالة » . قالوا : « وكيف ؟ » قال : « لأنني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت

(١) السواد : الريف .

بكأبل المحطت من السماء فاستشلتني<sup>(١)</sup> . فلما كان الغد قاتل إلى الليل . ثم غاداهم فقتل . فتدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العطب<sup>(٢)</sup> ، إذ لم يكن لهم رئيس . ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحَميري فأبأها . فقيل له : « ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟ » . فقال : « مشنومة ما يأخذها أحد إلا قُتل ! » ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب ، والخوارجُ أعدُّ بالآلات والدروع والجواشن<sup>(٣)</sup> . فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسي ، وذلك بعد أن اقتلوا زهاء شهر . فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين .

والأزارقة لا تكفر أحدا من أهل مقاتلتها في دار الهجرة إلا القاتل رجلا مسلما فإنهم يقولون : « المسلم حُجة الله والقاتل قَصْدٌ لقطع الحجة » . ويروى أن نافعاً مر بمالك بن مِسمَع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعة وبنى تميم ، ونافع متقلد سيفاً . فقام إليه مالك فضرب بيده إلى حَمالة سيفه وقال : « ألا تنصرتنا في حربنا هذه ؟ » . فقال : « لا يحل لي » . قال : « فما بال مؤمنى بنى تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب ؟ ! » . فأمسك عنه . وخرج بعد ذلك بأيام إلى الأهواز .

فلما قُتل من قُتلٍ ممن يخازر من الخوارج في أيام ابن الماحوز ، كره بية القتال . وأقام حارثة بن بدر العُدائي يازاء الخوارج يُناوشهم على غير ولاية ، وكان يقول : « ما عذرنا عند إخواننا من أهل البصرة إن وصل إليهم الخوارج ونحن دونهم » .

(١) استشلتني : استنقلته .

(٢) العطب : الهلاك والفساد .

(٣) الجواشن : الدروع .

فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يخبرونه بقعود ببة ويسألونه أن يولى واليا . فكتب إلى أنس بن مالك أن يصلى بالناس ، فصلى بهم أربعين يوما . وكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة . فلقية الكتاب ، وهو يريد الحج وهو فى بعض الطريق ، فرجع . فأقام بالبصرة . وولى أخاه عثمان محاربة الأزارقة فخرج إليهم فى اثنى عشر ألفا . ولقيه حارثة فيمن كان معه ، وعبيد الله بن الماحوز فى الخوارج بسوق الأهواز . فلما عبروا إليهم دُجِلا فخص إليهم الخوارج ، وذلك قبيل الظهر . فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر : « أمّا الخوارج إلا ما أرى ؟ ! » . فقال له حارثة : « حَسْبِكَ هؤُلاءِ » . فقال : « لا جَرَمَ والله لا أتغذى حتى أناجزهم » . فقال له حارثة : « إن هؤُلاءِ لا يُقاتلون بالتعسف ، فأبقى على نفسك وجندك » . فقال : « أبيتهم أهل العراق إلا جينا ! وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب ؟ أنت والله بغير هذا أعلم » . يُعْرَضُ له بالشراب . فغضب حارثة فاعتزل . وحارهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس . فأجّلت الحرب عنه قتيلا وانهمز الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس : « أنا حارثة بن بدر » . فتاب<sup>(١)</sup> إليه قوم فعبّر بهم دُجِلا . وبلغ فل<sup>(٢)</sup> عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا . وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد وولى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المعروف بالقباع أحد بنى مخزوم . فقدم البصرة فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد . فأراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل : « إن حارثة ليس بذلك إنما هو صاحب شراب » . فكتب إليه القباع : « تُكْفَى حُرْمَهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ » . فأقام حارثة يدافعهم .

(١) تاب : رجوع .

(٢) فل الجيش : ما بقى وتشرد منه بعد انزمامه .

ثم إن حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى . فعبرت إليه الخوارج فهرب وأصحابه يركض حتى أتى دجيلا . فجلس في سفينة وابعه جماعة من أصحابه فكانوا معه . وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه ، وقد توسط حارثة . فصاح به : «يا حارث ليس مثلى ضيع » . فقال للملاح : «قرب » . فقرب إلى جرف ولا فُرْضة <sup>(١)</sup> هناك . فطفر بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعا .

وأقام ابن الماحوز يجي كُور <sup>(٢)</sup> الأهواز ثلاثة أشهر . ثم وجه الزبير بن علي نحو البصرة فضج الناس إلى الأحنف . فأتى القباع فقال : «أصلح الله الأمير ، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلا » . قال : «فسموا رجلا » . فقال الأحنف : «الراى لا يخيل <sup>(٣)</sup> ، ما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة » . فقال : «أو هذا رأى جميع أهل البصرة ؟ اجتمعوا إلى في غد » . وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبر إلى ناحية البصرة . فخرج أكثر أهل البصرة إليه ، وقد اجتمع للخوارج أهل الأهواز وكورها رغبة ورهبة . فأتاه البصريون في السفن وعلى الدواب ورجالة <sup>(٤)</sup> . فاسودت بهم الأرض . فقال الزبير لما رآهم : «أبي قومنا إلا كفرا » . فقطعوا الجسر . وأقام الخوارج بالفرات ييازئهم . واجتمع الناس عند القباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا . وكانوا ثلاثة فرق : فسمى قوم المهلب ، وسمى قوم مالك بن مسمع ،

(١) الفُرْضة : المرسى .

(٢) الكورة : المدينة .

(٣) يخيل : يشكل ويغمض .

(٤) الرجالة : المشاة .

وسمى قوم زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي ، فصرفهم . ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدتهما متناقلين عن ذلك . وعاد إليه من أشار بهما ، وقالوا : «قد رجعنا عن رأينا . ما نرى لها إلا المهلب» . فوجه الحارث إليه . فأتاه فقال له : «يا أبا سعيد ، قد ترى ما رَهقنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل مصرك عليك» . وقال الأحنف : «يا أبا سعيد ، إنا والله ما آثرناك بها ولسنا لم نر من يقوم مقامك» . فقال له الحارث ، وأوماً إلى الأحنف : «إن هذا الشيخ لم يسمك إلا إثارة للدين . وكل من في مصرك ما دُ عينه إليك راجح أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك» . فقال المهلب : «لا حول ولا قوة إلا بالله ، إني عند نفسي لدون ما وصفتم ، ولست آييا ما دعوتم إليه ، على شروط أشرطها» . قال الأحنف : «قل» . قال : «على أن أنتخب من أحببت» . قال : «ذاك لك» . قال : «ولي إمرة كل بلد أغلب عليه» . قال : «وذاك لك» . قال : «ولي فيء كل بلد أظفر به» . قال الأحنف : «ليس ذاك لك ولا لنا ، إنما هو فيء المسلمين ، فإن سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم . ولكن لك أن تعطى أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت ، وتتفق على محاربة عدوك . فما فضل عنك كان للمسلمين» . قال المهلب : «فمن لي بذلك ؟» . قال الأحنف : «نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك» . قال : «قد قبلت» . فكتبوا بذلك كتابا ، ووضع على يدي الصلت بن حُرَيْث بن جابر الحنفي .

وانتخب المهلب من جميع الأحماس ، فبلغت نُخبته اثني عشر ألفا . ونظروا ما في بيت المال فلم يكن إلا مئتي ألف درهم فعجزت . فبعث المهلب إلى التجار : إن تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم ، فهلم فبايعوني واخرجوا معي أوفكم إن شاء الله حقوقكم . فتاجروه

فأخذ من المال ما يصلح به عسكره ، واتخذ لأصحابه الخفّاتين والرانات المحشوة بالصوف . ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى إذا صار بجداء القوم ، أمر بسفن فأحضرت وأصلحت . فما ارتفع النهار حتى فرغ منها . ثم أمر الناس بالعبور إلى الفرات ، وأمر عليهم ابنه المغيرة . فخرج الناس . فلما قاربوا الشاطيء خاضت إليهم الخوارج . فحاربهم المغيرة ونصّحهم بالسهام حتى تنحوا . فصار هو وأصحابه على الشاطيء . فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر ، والخوارج منهزمون ، فنهى الناس عن اتباعهم .

فأقام المهلب أربعين يوماً يجيئ الخراج بكُور دجلة ، والخوارج بنهر تيرى ، والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز . فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه . فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة الخوارج ولما في الغنائم وللتجارات . فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي ، وعبد الله بن رباح ، ومعاوية بن قرّة المزني ، وكان يقول - يعني معاوية - : « لو جاء الدّيلم من هاهنا ، والخرورية من هاهنا ، لحاربتُ الخرورية » . وأبو عمران الجَوْنِي ، وكان يقول : كان كعب يقول : « قتل الخرورية يفضلّ قتيل غيرهم بعشرة أنوار » .

ثم نهض المهلب إليهم على نهر تيرى ، فتنحّوا عنه إلى الأهواز . وأقام المهلب يجيئ ما حواليه من الكور ، وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج ، فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم ، فإذا حشوةٌ ما بين قصّار وصبّاغ وداعر وحداد<sup>(١)</sup> . فخطب المهلب الناس فذكر من هناك ، وقال للناس : « أمثل هؤلاء يغلبونكم على فينكم ؟ » . فلم يزل مقيماً حتى فهمهم ، وأحكم أمره ، وقوّى

(١) الحشوة : أرذل القوم . والقصار : الصباغ .

أصحابه ، وكثرت الفرسان في عسكره ، وتنامَّ إليه زهاء عشرين ألفاً . ثم مضى  
يَوْم (١) سوق الأهواز . فاستخلف أخاه المَعَارِك بن أبي صفرة على مُر تيرى ، وفي  
مقدمته المغيرة بن المهلب ، حتى قَارَبَهُم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض  
أصحابه ، وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوُقد النيران ، ثم غاداهم القتال فإذا القوم  
أوقدوا النيران في ثِقَلَة متاعهم ، وارتحلوا عن سوق الأهواز . فدخلها المغيرة وقد  
جاءت أوائل خيل المهلب ، فأقام بسوق الأهواز .

وكان المهلب ييث الأَحْرَاس (٢) في الأمن كما ييشهم في الخوف ، ويُذَكِّي  
العيون (٣) في الأمصار كما يُذَكِّيها في الصحارى ، ويأمر أصحابه بالتحرز ،  
ويخوفهم البيات وإن بَعُد منهم العدو ، ويقول : « احذروا أن تُكادُوا كما  
تُكيدون ، ولا تقولوا هَزَمْنَا وغلبنا فإن القوم خائفون وجلون ، والضرورة تفتح  
باب الحيلة » .

ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى . فوجه عبيد الله بن بشر بن الماحوز  
رئيس الخوارج رجلاً يقال له واقد مولى لآل أبي صفرة من سبى الجاهلية في خمسين  
رجلاً فيهم صالح بن مِخْرَاق إلى مُر تيرى ، وبها المَعَارِك بن أبي صفرة فقتلوه  
وصلبوه . فتمى (٤) الخير إلى المهلب . فوجه ابنه المغيرة فدخل مُر تيرى وقد خرج  
واقد منها . فاستتر له ودفنه ، وسكن الناس ، واستخلف بها . ورجع إلى أبيه  
وقد حل بسولاف والخوارج بها ، فواقعهم . وجعل على بنى تميم الحريش بن  
هلال . فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الإسكاف فجعل

(١) يَوْم : يقصد .

(٢) الأَحْرَاس : الحرس .

(٣) يذَكِّي : يرسل . والعيون : الجواسيس .

(٤) تمى الخير : وصل .

الناس ويهون أمر الخوارج ، ويختال بين الصفيين . فقال رجل من الخوارج لأصحابه : « يا معشر المهاجرين ، هل لكم في فتكة فيها أريحية» فحمل جماعة منهم على الإسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذئب<sup>(١)</sup> بسيفه وجعل يثو التراب في وجوههم ، والمهلب غير حاضر ، ثم قتل رحمه الله . وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبري : « أأسلتما سيد أهل العسكر ؟ لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لأنه رجل من الموالي» . ووبخهما . وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله ، فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله .

ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانزمو الناس وقتلوا سبعين رجلا . وثبت المهلب ، وأبلى المغيرة يومئذ ، وعرف مكانه . ويقال : حاص المهلب يومئذ حيصة ، وتقول الأزد : بل كان يرد المنهزمة ويحمي أديبارهم . فبات المهلب في ألقين . فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف فخطب أصحابه ، فقال : « والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع<sup>(٢)</sup> » « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » فسيروا إلى عدوكم على بركة الله » . فقام إليه الحريش بن هلال فقال : « أتشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك ، فإن بالقوم جراحا وقد أئختنتهم هذه الجولة » . فقبل منه . ومضى المهلب في عشرة ، فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش : « ارتحل عن هذا الموضع » . فارتحل فعبر دجيلا وصار إلى عاقول لا يؤتى إلا من وجه واحد . فأقام به واستراح الناس ثلاثا .

(١) ذئب : دالسع .

(٢) الطبع : الحرص الشديد .

فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام . ثم ارتحل والخوارج بسلى وسليرى  
فزل قريبا منهم . فقال ابن الماحوز لأصحابه : « ماتتظرون بعدوكم وقد  
هزمتموهم بالأمس وكسرتهم حدهم ؟ » . فقال له واقد مولى أبي صفرة : « يا أمير  
المؤمنين ، إنما تفرق عنهم أهل الضعف والجبين وبقي أهل النجدة والقوة ، فإن  
أصبتهم لم يكن ظفرا هينا لأنى أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا . فإن غلبوا ذهب  
الدين » . فقال أصحابه . « نابق واقد » . فقال ابن الماحوز : « لا تعجلوا على  
أخيكم ، فإنه إنما قال هذا نظرا لكم » . ثم توجه الزبير بن على إلى عسكر المهلب  
ليُنظر ما حالهم . فاتاهم في مئين فحزّهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس  
حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعبئة صحيحة . فالتقوا بسلى وسليرى فتصافوا .  
فخرج من الخوارج مئة فارس فركّزوا رماحهم بين الصفيين واتكوا عليها .  
وأخرج إليهم المهلب عداّهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون <sup>(١)</sup> إلا لصلاة ، حتى  
أمسوا . فرجع كل قوم إلى معسكرهم . ففعلوا هذا ثلاثة أيام . ثم إن الخوارج  
تطاردوا لهم في اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ، ثم إن  
رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه . فحمل عليه المهلب فطعنه . فحمل  
الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم سولاف . فضعضوا الناس ، وفقد المهلب وثبت  
المغيرة في جمع أكثرهم أهل عمان . ثم نجّم <sup>(٢)</sup> المهلب في مئة فارس ، وقد انغمست  
كفاه في الدم ، وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفرة محشوة قزا <sup>(٣)</sup> ، وقد تمرقت  
وإن حشوها ليتطير ، وهو يلهث ، وذلك في وقت الظهر . فلم يزل يحاربهم إلى  
الليل حتى كثر القتلى في الفريقين .

(١) يريمون : يتحركون .

(٢) نجّم : ظهر .

(٣) المغفر : زرد يلبسه الحارب تحت القلنسوة . والقز : الحرير .

فلما كان الغد غاداهم وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب في ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه : « ما بكم من قلة ، أيعجز أحدكم أن يرمى برمح ثم يتقدم فيأخذه ؟ » . ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش . وقال المهلب لأصحابه : « أعدوا مَخَالِي فيها حجارة ، وارموا بها في وقت الغفلة فإنها تصد الفارس وتصرع الرجل » . ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى في أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمئئهم في العدو . ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا . فجهد الخوارج فنادى مناديهم : « ألا إن المهلب قد قُتِل » . فركب المهلب بِرْذَوْنَا <sup>(١)</sup> قصيرا أشهب ، وأقبل يركضُ بين الصفيين ، وإن إحدى يديه لفي القباء وما يشعر بها وهو يصيح : « أنا المهلب » . فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قُتِل وكَلَّ الناس مع العصر . فصاح المهلب بابنه المغيرة : « تقدم » ففعل وصاح بذيكوان مولاة : « قدم رابتك » . ففعل فقال له رجل من ولده : « إنك تُغرَّر بنفسك » فذَمَّره <sup>(٢)</sup> ثم صاح : « يا بني تميم ، أمركم فتعضوني ا » فتقدم وتقدم الناس ، واجتلدوا أشد جلاذ حتى إذا كان مع المساء قُتِل ابن الماجوز ، وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله ، فقال لأصحابه : « ابغوني رجلا جلذا يطوف في القتلى » فأشاروا عليه برجل من جرَّم ، وقالوا : « إنا لم نر رجلا قط أشد منه » فطَوَّفَ ومعه النيران ، فجعل إذا مر بجريح من الخوارج ، قال : « كافر ورب الكعبة » فأجهز عليه ، وإذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله . وأقام المهلب في عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى إذا كان نصف الليل وجَّه رجلا من اليَحْمَد في عشرة فصاروا إلى عسكر الخوارج ، فإذا القوم قد تحملوا إلى أَرْجَان فرجع إلى

(١) البرذون : الفرس غير العربية .

(٢) ذمَّره : حضَّه .

المهلب فأعلمه فقال له : «أنا لهم الساعة أشد خوفا فاحذروا البيات» . فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم .

وقال رجل من موالي المهلب : «لقد صرعتُ يومئذ بجحر واحد ثلاثة : رميت به رجلا فأصبت أصل أذنه فصرعته ، ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ، ثم صرعت به ثالثا».

واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير بن على وهو من بنى سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز ، فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا ثم تحمل مخاربة المهلب فنقحهم المهلب نفحة فرجعوا . فأكمن للمهلب في غمض<sup>(١)</sup> من غموض الأرض يقرب من عسكره مئة فارس ليغتالوه . فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويستفقد سواده . فوقف على جبل فقال : «إن من التدبير هذه المارقة أن تكون قد أكنمت في سفح هذا الجبل كميناً» . فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المئة فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا . وكسفت الشمس فصاحوا بهم : «يا أعداء الله لو قامت القيامة لجذذنا في جهادكم» ثم ينس الزبير من ناحية المهلب فضرب إلى ناحية أصبهان . ثم كر راجعا إلى أرجان ، وقد جمع جموعا . وكان المهلب يقول : «كأنى بالزبير وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ، ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم» فجاوزه من أرجان فألقوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا . وحمل يومئذ الحريش ابن هلال على قيس الإكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج قطعنه فدق صلبه .

(١) الغمض : المظمن المنخفض من الأرض .

وقد كان فلُّ المهلب يوم سَلَى وسَلِيْرَى صاروا إلى البصرة ، فذكروا أن المهلب أصيب فهُمَّ أهل البصرة بالثقلَة إلى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم . فعند ذلك يقول الأحنف بن قيس : « البصرة بصرة المهلب » .

وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن أرقم ، فعنى ابن عم له وقال : « رأيت رجلا من الخوارج وقد مكن رمح من صلبه » فقدم المتعنى فقبل له ذلك فقال : « صدق ابن أرقم لما أحسست برمحه بين كتفى صحت : البقية » فرفعه عنى وتلا : « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » .

ووجه المهلب بعقب هذه الواقعة رجلا من الأزدي برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُبَاع . فلما صار بكرُجج دينار لقيه حبيب وعبد الملك وعلي بنو بشير بن الماحوز فقالوا له : « ما الخبر ؟ » ولا يعرفهم فقال : « قتل الله المارق ابن الماحوز ، وهذا رأسه معى » فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس . فلما ولي الحجاج دخل عليه على بن بشير ، وكان وسيما جسيما ، فقال : « من هذا ؟ » فخبر فقتله ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الأزدي المقتول . وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبها لها .

فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحارث القُبَاع حتى عُزِل الحارث . وولى مصعب بن الزبير ، فكتب إليه : أن اقدم على واستخلف ابنك المغيرة . ففعل . فجمع الناس فقال لهم : « إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم رقة ورحمة ، وابن كبيركم طاعة وبر وتبجيلا ، وأخو مثله مواساةً ومناصحة . فلتحسن له طاعتكم ، وتلين له جانبكم . فوالله ما أردت صوابا

قط إلا سبقني إليه» . ثم مضى إلى مصعب وكتب مصعب إلى المغيرة بولايته .  
وكتب إليه : «إنك لم تكن كأيك ، فإنك كافٍ لما وليتك فشمّر وأثرر وجد  
واجتهد» .

ثم شخص المصعب إلى المذار . فقتل أحمـر بن شميـط ثم أتى الكوفة فقتل  
المختار بن أبي عبيد . وقال للمهلب : «أشهر على برجل أجعله بيني وبين  
عبد الملك» . فقال : «أذكر لك واحدا من ثلاثة : محمد بن عمير بن عطارد  
الدارمي أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي أو داود بن قحذم» . فقال :  
«أو تكفيني» . قال : «أكفيك إن شاء الله» . فولاه الموصل فشخص المهلب  
إليها وصار مصعب إلى البصرة . فسأل من يستكفي أمر الخوارج ويفد إلى أخيه .  
فشاور الناس ، فقال قوم : «ول عبيد الله بن أبي بكرة» وقال قوم : «ول عمر  
ابن عبيد الله بن معمر» . وقال قوم : «ليس لهم إلا المهلب فاردده إليهم» .  
فولى عليهم عمر بن عبيد الله ، وولاه فارس ، والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن  
علي السليطي . فشخص إليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم  
بأصبهان . فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولي عمر بن عبيد الله قال : «رماهم بفارس  
العرب وفتاها» . فجمعوا له وأعدوا واستعدوا . ثم أتوا سابور فسار إليهم حتى  
نزل منهم على أربعة فراسخ ، فقال له مالك بن حسان الأزدي : «إن المهلب كان  
يذكي العيون ، ويخاف البيات ، ويرتقب الغفلة ، وهو على أبعد من هذه المسافة  
منهم» . فقال له عمر : «اسكت ، خلع الله قلبك ! أراك تموت قبل أجلك؟»  
فأقام هناك . فلما كان ذات ليلة بيته الخوارج فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبح  
فلم يُظفر منه بشيء . فأقبل على مالك بن حسان فقال : «كيف رأيت؟» . قال :  
«قد سلم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها» . فقال : «أما

إنكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لَرَجَوْتُ أن أنفى هذا العدو ، ولكنكم تقولون : قُرْشَى حجازى بعيد الدار خَيْرُهُ لغيرنا ، فتقاتلون معى تعديرا» .

ثم زحف إلى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى أجهم إلى قسنطرة فتكائف الناس عليها حتى سقطت . فأقام حتى أصلحها ثم عبروا . وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر فقاتلهم حتى قُتل . فقال قَطْرَى : « لا تقاتلوا عمر اليوم فإنه موتور» . ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى إلى القوم ، وكان مع ابنه النعمان بن عباد . فصاح به : « يا نعمان ، أين ابنى ؟ » . فقال : « احْتَسِبْ (١) ، فقد استشهد رحمه الله صابرا مُقبِلا غير مدبر » . فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . ثم حمل على الناس حملة لم يُر مثلها . وحمل أصحابه يحمته فقتلوا فى وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج ، وحمل على قَطْرَى فضربه على جبينه ففلقه . وانهمزت الخوارج وانتهبها . فلما استقروا قال لهم قطرى : « أما أشرت عليكم بالانصراف » . وعادوا إلى ناحية أَرْجان .

فسار إليهم عمر ومعهم عطية بن عمرو ، ومُجَاعَة بن سعيد . فالتقوا فالح عليهم حتى أخرجهم . وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا منهم من مدكُوريهم وشجعانهم ، وفى يده عمود . فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة إلا صرعه . فركض إليه قطرى على فرسٍ طِمِر (٢) ، وعمر على مُهْر . فاستعلاه قطرى بقوة فرسه حتى كاد يصرعه . فبَصُر به مجاعة فأسرع إليه . فصاحت

(١) احتسبه : اصبر على مصيبتك فيه ليكون لك الأجر من الله .

(٢) الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم .

الخوارج بقطرى : « يا أبا نعامة ، إن عدو الله قدرَ هقك <sup>(١)</sup> » . فالخط قطرى عن قَرْبوسه <sup>(٢)</sup> قطعنه مجاعة ، وعلى قطرى درعان ، فهتكهما ، وأسرع السنان فى رأس قطرى فكشط عنه جلده ونجا . وارتحل القوم إلى أصفهان فأقاموا برهة ثم رجعوا إلى الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى إصطخر .

وعزل مصعب بن الزبير ووئى حمزة بن عبد الله بن الزبير . فوجه المهلب إليهم . فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز . ثم رُدَّ مصعب ، والمهلب بالبصرة ، والخوارج بأطراف أصبهان ، والوالى عليها عتَّاب بن ورَّقاء الرِّياحى . فأقام الخوارج هناك شيئا يجبون القرى . ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس فكذب مصعب إلى عمر بن عبيد الله : « ما أنصفتنا أقتت بفارس تجبى الخراج ، ومثل هذا العدو يحاربك . والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعدرك لك » . وخرج مصعب من البصرة يريدهم ، وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم . فتحنى الخوارج إلى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحر طييء وكان شجاعا ، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر .

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة . فلما خالطوا سوادها ، وواليها الحارث بن عبد الله القباغ ، فتناقل عن الخروج ، وكان جبانا ، ذمَّره <sup>(٣)</sup> إبراهيم بن الأشتر ، ولامه الناس . فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة . وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج ، والخوارج يعيئون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباهما بين يديها ، وكانت جميلة . ثم أرادوا قتلها ، فقالت : « أتقتلون من يُنشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ؟ »

(١) رهقك : أدركك .

(٢) قربوس السرج : الجزء المقوس المرتفع من مقدم المقعد ومؤخره .

(٣) ذمَّره : حضه .

فقال قائل منهم : « دَعُوها » . فقالوا : « قد فُتتكَ » ثم قدموها فقتلها . ثم قربوا أخرى ، وهم بجِذاء القُبَاع ، والجسر معقود بينهما . فقطعه القُبَاع ، وهو في ستة آلاف ، والمرأة تستغيث به ، وتقول : « عَلَامَ تَقْتلونِي ، فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت » ، والناس يتفلتون إلى الخوارج ، والقُبَاع يمنعهم . فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر . فأقام بين ذبائها وذبيري خمسة أيام والخوارج بقربه ، وهو يقول للناس في كل يوم : « إذا لقيتم العدو غدا فألبتوا أقدامكم واصبروا ، فإن أول الحرب الترامي ثم إشراع الرماح ثم السلة ، فكُتت رجلا أمه فر من الزحف » . فقال بعضهم لما أكثر عليهم : « أما الصفة فقد سمعناها فمتى يقع الفعل ؟ » . فأخذ الخوارج حاجتهم . وكان شأن القُبَاع التحصن منهم . ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى أصبهان .

وأقام الخوارج يُغادُونَ عَناب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير . فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها . وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب . وعزم المصعب على توجيه المهلب ، وأن يشخص هو لحرب عبد الملك . فلما أحس به الزبير بن علي ، خرج إلى الرى ، وبها يزيد بن الحارث ابن رُوَيْم فحاربه ثم حصره . فلما طال عليه الحصار خرج إليه فكان الظفر للخوارج . فقتل يزيد بن رُوَيْم ، ونادى يومئذ ابنه حَوْشِبَا ، ففر عنه وعن أمه لطيفة .

ثم المحط الزبير بن علي على أصفهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر ، وعتاب يحاربه في بعضهن . فلما طال به الحصار قال لأصحابه : « ما تنظرون والله ما تُؤْتُونَ من قلة وإنكم لفرسان عشائركم ، ولقد حاربتموهم

مرارا فانتصفتهم منهم . وما بقى مع هذا الحصار إلا أن تفتى ذخائرهم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه . فقاتلوا وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يعيش إلى قرنه » . فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج إلى الخوارج وهم غارون<sup>(١)</sup> ، وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين ، فقال : « من أراد البقاء فليحلق بلواء ياسمين ، ومن أراد الجهاد فليخرج معي » . فخرج في ألفين وسبعمئة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم . فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خَلْقًا ، وقتلوا الزبير بن علي ، وانهمزت الخوارج فلم يتبعهم عتاب .

ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبدة بن هلال . فقال : « أدلكم على من هو خير لكم مني . من يطاعن في قَبْلِ<sup>(٢)</sup> ، ويحمي في دُبُر<sup>(٣)</sup> ، عليكم قطرى بن الفجاءة المازني » . فبايعوه . فوقف بهم . فقالوا : « يا أمير المؤمنين امض بنا إلى فارس » فقال : « إن بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ، ولكن نصير إلى الأهواز ، فإن خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها » . فأتوا الأهواز ثم ترفقوا عنها إلى إيدج ، وكان مصعب قد عزم على الخروج إلى باجئيرا . فقال لأصحابه : « إن قطريا قد أطل علينا ، وإن خرجنا عن البصرة دخلها » . فبعث إلى المهلب فقال : « اكفنا هذا العدو » . فخرج إليهم المهلب . فلما أحس به قطرى تيمم نحو كرمان . فأقام المهلب بالأهواز ثم كرَّ قطرى عليه

(١) غارون : غائلون .

(٢) في قبل : من أمام ، أى عند الهجوم .

(٣) في دبر : من خلف ، أى عند التقهقر .

بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن<sup>(١)</sup> . فحاربهم المهلب فنفاهم إلى رام  
هرمز . وخرج مصعب بن الزبير إلى باجمراء ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن .

وولى خالد بن عبد الله بن أسيد . فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأشير  
عليه بأن لا يفعل ، وقيل له : « إنما أمن أهل هذا المصر بأن المهلب بالأهواز وعمر  
ابن عبيد الله بفارس ، فقد تنحى عمر ، وإن نحيت المهلب لم تأمن على البصرة » .  
فأبى إلا عزله . فقدم المهلب البصرة وخرج خالد إلى الأهواز فأشخصه . فلما صار  
بكرّيج دينار لقيه قطرى فمننه حط أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطرى بإزائه  
وخندق على نفسه . فقال المهلب : « إن قطريا ليس بأحق بالخندق منك » فعبر  
دجيلا إلى شق همر تيرى . واتبعه قطرى فصار إلى مدينة همر تيرى فبنى سورها  
وخندق عليها . فقال المهلب لخالد : « خندق على نفسك ، فإنى لا آمن عليك  
البيات » فقال : « يا أبا سعيد ، الأمر أعجل من ذلك » . فقال المهلب لبعض  
ولده : « إني أرى أمرا ضائعا » . ثم قال لزياد بن عمرو : « خندق علينا » .  
فخندق المهلب وأمر بسفنه ففرغت ، وأبى خالد أن يفرغ سفنه . فقال المهلب  
لفيروز حصين : « صر معنا » فقال : « يا أبا سعيد الخزم ما تقول ، غير أنى  
أكره أن أفارق أصحابي » . قال : « فكن بقربنا » . قال : « أما هذا فنعم » .  
وقد كان عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمدّ خالدًا بجيش كثيف  
أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . ففعل . فقدم عليه عبد الرحمن . فأقام  
قطرى يُغاديهم القتال ويرأوهم أربعين يوما . فقال المهلب لمولى لأبى عيينة :  
« اتّسبذ إلى الناورس<sup>(٢)</sup> فبت عليه في كل ليلة . فمضى أحسست خيرا من الخوارج

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى الدروع .

(٢) الناورس : مقبرة النصارى .

أو حركة أو سهيل خيل فاعجل إلينا» . فجاءه ليلة فقال : «قد تحرك القوم» . فجلس المهلب بباب الخندق . وأعد قطرى سفنا فيها حطب فأشعلها نارا ، وأرسلها على سفن خالد . وخرج في أدبارها حتى خالطهم ، فجعل لا يمر برجل إلا قتله ، ولا بدابة إلا عقرها ، ولا بفسطاط إلا هتكه . فأمر المهلب يزيد ، فخرج في مئة فارس فقاتل وأبلى يومئذ . وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين في مواليه ، فلم يزل يرميهم بالنشأب<sup>(١)</sup> هو ومن معه فأثر أثرا جميلا . فصُرع يزيد بن المهلب يومئذ ، وصرع عبد الرحمن ، فحامي عنهما أصحابهما حتى ركبوا . وسقط فيروز حصين في الخندق ، فأخذ بيده رجل من الأزدي فاستنقذه . فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم . وأصبح عسكر خالد كأنه حرّة<sup>(٢)</sup> سوداء . فجعل لا يرى إلا قتيلًا أو صريعا ، فقال للمهلب : «يا أبا سعيد ، كدنا نفتضح» . فقال : «خندق على نفسك ، فإن لا تفعل عادوا إليك» . فقال : «اكفني أمر الخندق» . فصاح بهم الخوارج : «والله لولا هذا الساحر المزوني لكان الله قد دمّر عليكم» . وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبق إلى نقض تدبيرهم .

ومضى قطرى إلى كرمان فانصرف خالد إلى البصرة . فأقام قطرى بكرمان أشهرًا ثم عمّد لفارس وخرج خالد إلى الأهواز . وندب للناس رجلا ، فجعلوا يطلبون المهلب . فقال خالد : «ذهب المهلب يحظ هذا المصر إنى قد وليت أخى قتال الأزارقة» . فولى أخاه عبد العزيز . واختلف المهلب على الأهواز في ثلاث

(١) النشأب : السهم .

(٢) الحرّة : الأرض ذات الحجارة السوداء النخرة .

مئة . ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا والخوراج بدرابَ جَرْد . فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : « يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب ، فسيعلمون » .

قال صَعْب بن يزيد : فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءني كُرْدوس حاجب المهلب ، فقال . « أجب الأمير » . فجئت إلى المهلب وهو في سطح ، وعليه ثياب هَرَوِيَّة . فقال : « يا صعب ، أنا ضائع ، كاني أنظر إلى هزيمة عبد العزيز ، وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به إلى » . فوجهت رجلا يقال له عمران ابن فلان ، فقلت : « اصحب عسكر عبد العزيز واكتب إلى بخبر يوم يوم » . فجعلت أورده على المهلب . فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة ، فقال له الناس : « هذا يوم صالح فينبغي أن نُترك أيها الأمير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا » فقال : « كلا إلا الأمر قريب » فزل الناس على غير أمره . فلم يُسْتَمَّ التزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع في خمسمئة فارس كأنهم خيط ممدود . فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة . فاتبعهم ، فقال له الناس : « لا تتبعهم فإننا على غير تعبئة » فأبى فلم يزل في آلاهم حتى اقتحموا عقبة فاقحمها وراءهم ، والناس يهونه ويسأى . وكان قد جعل على بنى تميم عَبْس بن طَلْق الصريمي الملقب عبس الطعان ، وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مَسْمَع القيسي ، وعلى شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار . فزلوا عن العقبة ونزل خلفهم ، وكان لهم في بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين ، وعطف سعد الطلائع . فترجل عبس ابن طلق فقتل ، وقتل مقاتل بن مسمع ، وقتل الضبيعي صاحب الشرطة ، وانحاز عبد العزيز . واتبعهم الخوراج على فرسخين يقتلوهم كيف شاءوا . وكسان

عبد العزيز قد خرج معه بأمر حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته ، فسبوا النساء يومئذ . وأخذوا أسرى لا تحصى ، فقدفوهم في غار بعد أن شدوهم وثاقا ، ثم سدوا عليهم بابهم حتى ماتوا فيه . وقال رجل حضر ذلك اليوم : « رأيت عبد العزيز وإن ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيا فهم وما تحيك <sup>(١)</sup> في جسده » .

ونودي على السبي يومئذ فقولى بأمر حفص . فبلغ بها رجل سبعين ألفا ، وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ، ففرض لكل واحد منهم خمسمئة . فكاد يأخذها ، فشق ذلك على قطرى ، وقال : « ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ، إن هذه فتنة » . فوثب إليها أبو الحديد العبدى فقتلها . فأتى به قطرى فقال : « يا أبا الحديد مهيم ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد تزايدوا في هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة » . فقال قطرى : « قد أصبت وأحسن » . قوله : مهيم : حرف استفهام معناه ما الخبر ، وما الأمر فهو دال على ذلك .

قال الصَّعب بن يزيد : بعثني المهلب لآتيه بالخبر . فصرت إلى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم ، فلم أحسن خبرا . فسرت مهجرا <sup>(٢)</sup> إلى أن أمسيت . فلما أظلمنا <sup>(٣)</sup> سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم ، فقلت : « ما وراءك ؟ » . فقال : « الشر » . قلت : « فأين عبد العزيز ؟ » قال : « أمامك » فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء همسين فارسا معهم لواء ، فقلت :

(١) تحيك : تؤثر .

(٢) المهجر : السائر في الهجرة ، وهي منتصف النهار .

(٣) أظلمنا : حل علينا الظلام .

«من هذا؟» . فقالوا : «لواء عبد العزيز» . فتقدمت إليه فسلمت ، وقلت :  
«أصلح الله الأمير لا يَكْبُرَنَّ عليك ما كان فإنك كنت في شر جند وأخبثه» .  
قال لي : «أو كنت معنا؟» قلت : «لا ولكن كائى شاهد أمرك» . قال :  
«كانك كنت معنا» . قلت : «أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك» . ثم تركته وأقبلت  
إلى المهلب . فقال لي : «ما وراءك؟» . قلت : «ما يسرك قد هُزِمَ وَقُلَّ جيشه» .  
فقال : «ويحك ! وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وقل جيش من المسلمين»  
قلت : «قد كان ذاك ، ساءك أو سررك» . فوجه رجلا إلى خالد يخبره . قال  
الرجل : فلما أخبرت خالد قال : «كذبت ولؤمت» . ودخل رجل من قريش  
فكذبنى . وقال لى خالد : «والله لهممت أن أضرب عنقك» . قلت : «أصلح  
الله الأمير ، إن كنت كاذبا فاقتلنى ، وإن كنت صادقا فأعطينى مُطْرَفَ (١) هذا  
المتكلف» . فقال خالد : «لبئسا أخطرت به دمك» . فما برحت حتى دخل  
بعض الفلّ .

وقدم عبد العزيز سوق الأهواز فأكرمه المهلب وكساه . وقدم معه على  
خالد ، واستخلف ابنه حبيبا ، وقال له : «تحسس عن الأخبار ، فإن أحسست بخبر  
الأزارقة قريبا منك فانصرف إلى البصرة» . فلم يزل حبيب مقيما والأزارقة تدنو  
منه حتى بلغوا قنطرة أربك . فانصرف إلى البصرة على نهر تيرى . فلما دخلها ،  
أعلم خالد ، فغضب عليه . واستتر حبيب في بني هلال بن عامر بن صعصعة ،  
فتزوج هناك في استتاره الهلالية أم عباد بن حبيب .

وكتب خالد إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز ، وقال للمهلب : «ما ترى  
عبد الملك صانعا بي؟» قال : «يعزلك» . قال : «أتراه قاطعا رحى» قال :

(١) المطرف : الرداء من حرير ذو أعلام .

« نعم ، أنته هزيمة أمية أخيك من البحرين ، وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس » فكتب عبد الملك إلى خالد : « أما بعد ، فإن كنتُ حدثتُ لك حدا في أمر المهلب . فلما ملكتَ أمرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك ، فوليت المهلب الجبابة ، ووليت أخاك حرب الأزارقة ، فقبح الله هذا رأيا ، أتبعث غلاما غرا لم يجرب الحروب ، وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بالجبابة ؟ أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأناك من نكيري ما لا بقية لك معه ، ولكن تذكرت رحمك فلفتني عنك ، وقد جعلت عقوبتك عزلك » .

وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب إليه : « أما بعد فإنك أخو أمير المؤمنين ، يجمعك وإياه مروان بن الحكم ، وإن خالدا لا مجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الأزارقة ، فإنه سيد بطل مجرب فامدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل » . فشق عليه ما أمره في المهلب ، وقال : « والله لأقتلنه » . فقال له موسى بن نصير : « إن للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء » . وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة إلى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به ، فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه في حمار الناس . فلما جلس بشر محله قال : « ما فعل أميركم المهلب ؟ » قالوا : « قد تلقأك أيها الأمير وهو شاك » . فهم بشر أن يولى حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله ، فقال له أسماء بن خازجة : « إنما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك » . فقال له عكرمة بن ربيعي « اكتب إلى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب » . فكتب إليه يعلمه علة المهلب ، وأن بالبصرة من يغني عناه . ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم إليه ، رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعي . فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم ، فقال : « إن لك ديننا ورأيا وحزما . فمن لقتال هؤلاء الأزارقة ؟ » . قال : « المهلب » قال :

«إنه عليل». قال : «ليست علتة بمأنته» قال عبد الملك : «أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد» . فكتب يعزم عليه أن يولى المهلب . فوجه إليه . قال المهلب : «أنا عليل ولا يمكنى الاختلاف» فأمر بشر بحمل الدواوين إليه . فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقطع أكثر نخبته . ثم عزم عليه أن لا يقيم بعد ثلاثة ، وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم ، وصاروا بالفرات . فخرج إليهم المهلب حتى صار إلى شَهَارَ طاق . فأتاه شيخ من بني تميم فقال : «أصلح الله الأمير ، إن سنى ما ترى فهنى لعيالى» . قال : «على أن تقول للأمير إذا خطب فحثكم على الجهاد : كيف تحبنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا» . ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر : «ما أنت وذاك ؟» . قال : «لاشئء» .

وأعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشرا ، فيقول له : «أيها الأمير، أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة» . ففعل الرجل ذلك . فقال له بشر : «ما أنت وذاك ؟» . قال : «نصيحة للأمير والمسلمين ، ولا أعود إلى مثلها» . فأمده بالشرطة والمقاتلة .

وكتب بشر إلى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ، ويوجه به مددا إلى المهلب . فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فعقد له ، واختار له من كل ربع ألفين . فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي ، وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن إسحاق بن الأشعث الكندي ، وعلى مَدْحِجٍ وأسد زَحْر بن قيس المَدْحِجِي . فقدموا على بشر . فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له : «قد عرفت رأبي وثقتى بك فكن عند ظني» .

انظر هذا المزوني فخالقه في أمره ، وأفسد عليه رأيه» . فخرج عبد الرحمن بن مخنف ، وهو يقول : «ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام : يأمرني أن أصغر شيخا من مشايخ أهلي وسيدا من ساداتهم !» . فلحق بالمهلب .

فلما أحس الأزارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات فاتبعهم المهلب إلى سوق الأهواز فنفاهم عنها . ثم تبعهم إلى رامِ هُرْمُز فهزمهم منها ، فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة . فلما صار القوم بفارس وجه إليهم ابنه المغيرة ، فقال له عبد الرحمن بن صبح : «أيها الأمير ليس برأي قتل هذه الأكلب . ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاورنهم وكلهم» . فقال : «ليس هذا من الوفاء» .

فلم يلبث برامِ هرمز إلا شهرا حتى أتاه موت بشر . فاضطرب الجند على ابن مخنف . فوجه إلى محمد بن إسحاق بن الأشعث وابن زحر ، واستحلفهما ألا يبرحا ، فحلفا له ولم يفيا . فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الأهواز . وأراد أهل البصرة الانسلا من المهلب فخطبهم فقال : «إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تذبون<sup>(١)</sup> عن مصركم وأموالكم وحرمكم» . فأقام منهم قوم وتسلسل منهم ناس كثير . وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان ، فوجه مولى له بكتاب منه إلى من بالأهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا إلى مراكزهم ، وانصرفوا عصاة ، لا يظفر بأحد منهم إلا قتله . فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله ، ففقال : «إني لأرى وجوها ما القبول من شأنها» . فقال له ابن زحر : «أيها العبد ، اقرأ ما

(١) تذبون : تدافعون .

في الكتاب وانصرف إلى صاحبك ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا » . وجعلوا يستعجلونه في قراءته ثم قصدوا قصد الكوفة ، فزلوا النخيلة وكتبوا إلى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول فأبى فدحلوها بغير إذن . فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف في عدد قليل .

فلم ينشئوا أن ولي الحجاج العراق . فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك في سنة خمس وسبعين . فخطبهم وهمدهم . ثم نزل فقال لوجوه أهلها : « ما كانت الولاية تفعل بالعصاة ؟ » . فقال : « كانت تضرب وتحبس » فقال الحجاج : « ولكن ليس لهم عندي إلا السيف إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ، ولا جئى قىء ، ولا عز دين » . ثم جلس لتوجيه الناس ، فقال : « قد أجلتكم ثلاثا ، وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلته » . ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطة : « إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذوا سيوفكما عصيا » ، فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه ، فقال : « أصلح الله الأمير ، إن هذا أنفع لكم منى ، هو أشد بنى تميم أيذا <sup>(١)</sup> ، واجمعهم سلاحا ، وأربطهم جاشا ، وأنا شيخ كبير عليل » . واستشهد جلساءه فقال الحجاج : « إن عذرک لوأضح ، وإن ضعفك ليبن ، ولكنى أكره أن يجترئ بك الناس على . وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان » . ثم أمر به فقتل . فاحتمل الناس وإن أحدهم لیتبع بزاده وسلاحه . وخرج الناس عن الكوفة .

---

(١) الأيد : القووة .

وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد إلحاحا . وقد كان أتاهم خيره بالكوفة ، فتحمل الناس قبل قدومه . فاتاه رجل من بنى يشكر ، وكان شيخا كبيرا أعور ، وكان يجعل على عينه العوراء صوفة ، فكان يلقب ذا الكُرْسُفة . فقال : « أصلح الله الأمير ، إن بي فُتقا ، وقد عذرتى بشر ، وقد رددت العطاء » . فقال : « إنك عندى لصادق » . ثم أمر به فضربت عنقه .

ويروى عن ابن ميرة قال : إنا لتغدى معه يوما إذ جاء رجل من سليم برجل يقوده ، فقال : « أصلح الله الأمير ، إن هذا عاصي » . فقال له الرجل : « أنشدك الله أيها الأمير في دمي . فوالله ما قبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكريا وإني لحائك أخذت من تحت الحف (١) » فقال : « اضربوا عنقه » . فلما أحس بالسيف سجد ، فلحقه السيف وهو ساجد . فأمسكنا عن الطعام . فأقبل علينا الحجاج ، فقال : « مالي أراكم صَفِرْت أيدكم واصفرت وجوهكم وحدَ نظركم (٢) من قتل رجل واحد . إن العاصي يجمع خلال : يخل بمركزه ، ويعصى أميره ، ويُغَرّ المسلمين ، وهو أجبر لهم ، وإنما يأخذ الأجرة لما يعمل . والوالى مُخَيَّر فيه ، إن شاء قتل وإن شاء عفا » .

ثم كتب الحجاج إلى المهلب : « أما بعد ، فإن بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك ، وأراك غناه عنك ، وأنا أريك حاجتي إليك ، فأرني الجد في قتال عدوك . ومن خِفْتَه على المعصية من قبلك فاقتله ، فإنى قاتل من قبلى . ومن كان عندى من ولى من هرب عنك ، فأعلمنى مكانه ، فإنى أرى أن آخذ الولى بالولى والسُمى

(١) الحف : المنسج .

(٢) صفرت : فرغت . وحد : قوى .

بالسُمي . فكتب إليه المهلب : « ليس قبلي إلا مطيع وإن الناس إذا خافوا العقوبة كبروا اللدب ، وإذا أمنوا العقوبة صغروا اللدب ، وإذا ينسوا من العفو أكفرهم ذلك . فهب لي هؤلاء الذين سميتهم عصاة ، فإنما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو » .

فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه ، قال : « اليوم قُوتل هذا العدو » . ولما رأى ذلك قطرى قال : « انهضوا بنا نريد السردان فتحصن فيها » . فقال عبيدة ابن هلال : « أو نأتى سابور » وخرج المهلب في آثارهم فأتى أرجان . وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان ، وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة ، فلم يصب بها أحدا . فخرج نحوهم فعسكر بكارزرون . واستعدوا لقتاله وخذق على نفسه . ثم وجه إلى عبد الرحمن بن مخنف : « خندق على نفسك » . فوجه إليه : « خنادقنا سيوفنا » . فوجه إليه المهلب : « إني لا آمن عليك البيات » . فقال ابنه جعفر : « ذاك أهون علينا من ضرورة حمل » . فأقبل المهلب على ابنه المغيرة ، فقال : « لم يصيوا الرأي ولم يأخذوا بالوثيقة » . فلما أصبح القوم غادوه الحرب . فبعث إلى ابن مخنف يستمده فأمدته بجماعة ، وجعل عليهم ابنه جعفرا . فجاءوا عليهم أقبية بيض جدد . فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم . وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد . ثم نظر إلى رئيس منهم يقال له صالح ابن مخراق ، وهو ينتخب قوما من جلة العسكر حتى بلغوا أربعمئة . فقال لابنه المغيرة : « ما يُعد هؤلاء للبيات » . وانكشف الخوارج والأمر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح . وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ، ويوجه الرجال ، فكان يجبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا ، فينسل الناس إلى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم . ثم كانت الواقعة . فلما انصرف الخوارج . قال

المهلب لابنه المغيرة : « إني أخاف البيات على بني تميم » . فأنفض إليهم فكان فيهم . فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال : « يا أبا حاتم ، أخاف الأمر أن يؤتسى من ناحيتنا ، قل له : فليئت آمنا فإنا كأفوه ما قبلنا إن شاء الله » . فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة إلى أبيه ، سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعدتهم إلى ناحية بني تميم . فوجد بني تميم أيقاظا متحارسين . فخرج إليهم الحريش ابن هلال . ثم حمل على القوم فرجعوا عنه . فاتبعهم وصاح بهم : « إلى أين يا كلاب النار ؟ » فقالوا : « إنما أعدت النار لك ولأصحابك » . فقال الحريش : « كل مملوك لي حر إن لم تدخلوا النار إن دخلها مجوسى فيما بين سفوان وخراسان » .

ثم قال بعضهم لبعض : « نأتى عسكر ابن مخنف فإنه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب ، وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضرورة حمل » . فأنوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم إلا وقد خالطوهم في عسكرهم ، وكان ابن مخنف شريفا . فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل . وقتل معه سبعون من القراء ، فيهم نفر من أصحاب على بن أبي طالب صلوات الله عليه ، ونفر من أصحاب ابن مسعود . وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب . فجاءهم مُغيثا فقاتلهم حتى ارتث<sup>(١)</sup> وصرع . ووجه المهلب إليهم ابنه حبيبا فكشفهم . ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله . وصار جنده في جند المهلب ، فضمهم إلى ابنه حبيب ، فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن :

تركت أصحابنا تدُمى لمحورهم  
وجئت تسعى إلينا خضفة الجمل

(١) ارتث : صرع وقد جرح .

قوله : خضفة الجمل : يريد ضرورة الجمل .

فلامهم المهلب وقال : « بنسما قلتم ، والله ما فروا ولا جنوا ولكنهم خالفوا أميرهم . أفلا تذكرون فراركم يوم ذولاب ، وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى ؟ » .

وروجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم . وكتب إليه : « إنك لتحب بقاءهم لتأكل بهم » فقال المهلب لأصحابه : « حرّكوهم » . فخرج فرسان من أصحابه إليهم . فخرج إليهم من الخوارج جمع فاقتلوا إلى الليل فقال لهم الخوارج : « ويلكم أما تملّون ؟ » فقالوا : « لا حتى تملوا » . قالوا : « فمن أنتم ؟ » قالوا : « تميم » . قالت الخوارج : « ونحن بنو تميم » . فلما أمسوا اترقوا . فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب ، وخرج إليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأبث قدمه فيها . فكلما قُتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتَمُوا<sup>(١)</sup> . فقال لهم الخوارج : « ارجعوا » فقالوا : « بل ارجعوا أنتم » . فقالوا : « ويلكم من أنتم ؟ » فقالوا : « تميم » . قالوا : « ونحن تميم » . فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج ، فقال له : « مة ؟ » قال : « رأيت قوما لا يعين عليهم إلا الله » وكتب إليه المهلب : « إني منتظر بهم إحدى ثلاث : موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم » .

(١) أعتَمُوا : دخلوا في العتمة ، أى الظلام .

وكان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد ، كان يتولى ذلك بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده . ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور ، وبين المهلب وبين الشُّراة عقبة . فقال المهلب : « من يكفينا هذه العقبة الليلة ؟ » فلم يبق أحد . فلبس المهلب سلاحه ، وقام إلى العقبة واتبعه ابنه المغيرة . فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله : « دعانا الأمير إلى ضبط العقبة والحظ في ذلك لنا فلم نطعه » . فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر ، فصاروا إليه ، فإذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما . فقالوا : « انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله » . فلما أصبحوا إذا بالشراة على العقبة . فخرج إليهم غلام من أهل عمان على فرس . فجعل يحمل وفرسه يزلق . وتلقاه مدرك بن المهلب في جماعة معه حتى ردهم .

فلما كان يوم الثَّحْر ، والمهلب على المنبر يخطب الناس ، إذا الشراة قد تألبوا . فقال المهلب : « سبحان الله ! أفي مثل هذا اليوم ؟ يا مغيرة أكفيهم » . فخرج إليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسى ، وكان سعد شجاعا متقدما في شجاعته . وكان المهلب إذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له : « لو كنت سعد بن نجد القردوسى ما عدا » . فخرج أمام المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح ، مديد القامة ، كربه الوجه ، شديد الحملة ، صحيح الفروسية . فأقبل يحمل على الناس . فخرج إليه سعد بن نجد القردوسى من الأزد . ثم تجاوزا ساعة فطعن سعد فقتله . والتقى الناس فصُرع يومئذ المغيرة . فحامي عليه سعد بن نجد ، وذبيان السُّخَيَّانِ ، وجماعة من الفرسان حتى ركب . وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا إلى أبيه المهلب ، فقالوا : « قُتل المغيرة » . ثم أتاه ذبيان السُّخَيَّانِ فأخبره

بسلامته . فأعتق كل مملوك كان بحضرته . ثم ناهضهم ثلاثة أيام يُغاديهم القتان ولا يزالون كذلك إلى العصر . وينصرف أصحابه وهم قَرَح وبالخوارج قرح وقتل .

وكانت رُكْب<sup>(١)</sup> الناس قديما من الخشب . فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع . فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يسكن له معتمد . فأمر المهلب فطُربت الرُكْب من الحديد . وهو أول من أمر بطبّعها .

وكتب الحجاج إلى عتّاب بن وَرْقَاء الرِّياحى وهو والى أصبهان يأمره بالمسير إلى المهلب ، وأن يضم إليه جند عبد الرحمن بن مخنف ، فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه ، وأنت على أهل الكوفة . فإذا دخلتما بلدا فَنَحِه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة ، والمهلب على أهل البصرة . فقدم عتاب في إحدى جُمادَيَيْن من سنة ست وسبعين على المهلب ، وهو بسابور ، وهى من فتوح أهل البصرة . فكان المهلب أمير الناس ، وعتاب على أصحاب ابن مخنف ، والخوارج في أيديهم كَرْمَان وهم يازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي . فوجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم ، أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بنى عامر بن صعصعة ، والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج . فضم زيادا إلى ابنه حبيب ، وضم الثقفى إلى يزيد ابنه ، وقال لهما : «خذوا يزيد وحبيبا بالمناجزة» . فغادوا الخوارج فاقتلوا أشد قتال . فقتل زياد بن عبد الرحمن ، وفقد الثقفى . ثم باكروهم في اليوم الثانى ، وقد وجد الثقفى فدعا به المهلب ، ودعا بالغذاء ، فجعل التَّيْل يقع قريبا منهم ، والثقفى يعجب من أمر المهلب .

(١) الركب : جمع ركاب ، وهو ما يعلق في السرج فيجعل فيه الراكب قدمه .

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شيب . فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمصير إليه ليووجهه إلى شيب . وكتب إلى المهلب بأن يرزق الجند . فرزق المهلب أهل البصرة ، وأبى أن يرزق أهل الكوفة . فقال له عتاب : «ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة» . فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب : «قد كان يلغى أنك شجاع فرايتك جباناً ، وكان يلغى أنك جواد فرايتك بخيلاً» . فقال له المهلب : «يا ابن اللّخاء<sup>(١)</sup>» . فقال له عتاب : «لكنك مُعَمُّ مُخَوَّل<sup>(٢)</sup>» . فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف . ووثب ابن نعيم بن هُبيرة ابن أخي مصقلة على عتاب فشتمه . وقد كان المهلب كارها للحلف . فلما رأى نُصرة بكر بن وائل له سرّه الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكد ، فغضبت تميم البصرة لعتاب . وغضبت أزد الكوفة للمهلب . فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب ، فقال لعتاب : «يا أبا ورقاء ، إن الأمير يصير لك إلى كل ما تحب» . وسأل أباه أن يرزق أهل الكوفة فأجابته . فصلح الأمر . فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمّدون المغيرة بن المهلب ، وقال عتاب : «إني لأعرف فضله على أبيه» . فشخص عتاب بن ورقاء إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين فوجهه إلى شيب فقتله شيب .

وأقام المهلب على حريم . فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهراً اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حدادا من الأزارقة كان يعمل نصالاً مسمومة ، فيرمى بها أصحاب المهلب . فُرفِع ذلك على المهلب ، فقال : «أنا أكفكموه إن شاء الله» . فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى

(١) اللّخاء : التنّية .

(٢) معم مخول : شريف الأعمام والأحوال . يهزأ به .

«ألق هذا الكتاب في عسكر قطرى ، واحذر على نفسك». وكان الحداد يهس له أبزى . فمضى الرسول . وكان في الكتاب : «أما بعد ، فإن نصالك قد وصلت إلى ، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها ، وزدنا من هذه النصال» فوقع الكتاب والدرهم إلى قطرى . فدعا بأبزى فقال : «ما هذا الكتاب؟» قال : «لا أدري» قال : «فهذه الدراهم» . قال : «ما أعلم علمها» . فأمر به فقتل . فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة ، فقال له : «أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين؟» فقال له : «ما حال هذه الدراهم ؟» فقال : «يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا» . فقال له قطرى : «قتل رجل في سلاح الناس غير منكر . وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا ، وليس للرعية أن تعترض عليه» . فتكر له عبد ربه في جماعة ولم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلب فدرس إليه رجلا نصرانيا ، فقال له : «إذا رأيت قطريا فاسجد له . فإذا هناك فقل : إنما سجدت لك» . ففعل النصراني فقال له قطرى : «إنما السجود لله» فقال : «ما سجدت إلا لك» . فقال له رجل من الخوارج : «قد عبدك من دون الله» . وتلا : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ فقال قطرى : «إن هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم ، فما ضر ذلك عيسى شيئا» . فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله . فأنكر ذلك عليه وقال : «أقتلت ذميا؟» فاختلفت الكلمة .

فبلغ ذلك المهلب فوجه إليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به إليه . فأناهم الرجل فقال : «أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم . فمات أحدهما في الطريق، وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يَجْزُ الخنة ، ما تقولون فيهما؟» فقال بعضهم:

«أما الميت فمؤمن من أهل الجنة ، وأما الآخر الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يبيزها» . وقال قوم آخرون : «بل هما كافران حتى يبيزا المحنة» .

فكثر الاختلاف فخرج قطرى إلى حدود إصطخر . فأقام شهرا والقوم فى اختلافهم . ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق : «يا قوم إنكم قد أقررتم أعين عدوكم ، وأطمعتموهم فيكم ، لما ظهر من اختلافكم . فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة» . وخرج عمرو القنا فنادى : «يا أيها المحلون هل لكم فى الطراد فقد طال العهد به ؟» ثم قال :

ألم تر أنا مد ثلاثون ليلةً      قريباً وأعداءُ الكتاب على خفضِ

فتهايج القوم وأسرع بعضهم إلى بعض . فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار فى وسط الأزارقة . فجعلت الرماح تُحطه وترفعه ، واعتورت رأسه السيوف ، وعليه ساعد حديد . فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيئا . واستنقذه فرسان من الأزرد بعد أن صُرِع فقال رجل للمغيرة : «كنا نعجب كيف تُصْرِع والآن نعجب كيف تنجو» وقال المهلب لبنيه : «إن سَرَحَكُم لَغَارٌ<sup>(١)</sup> ، ولست آمنهم عليه ، أفركتكم به أحد ؟» قالوا : «لا» . فلم يستم الكلام حتى أتاه آت فقال : «إن صالح بن مخراق قد أغار على السرح» . فشق ذلك على المهلب ، وقال : «كل أمر لا إليه بنفسى ضائع» وتذمر عليهم . فقال له بشر ابن المغيرة : «أريح نفسك فإن كنت إغما تريد مثلك فوالله لا يعْدِلُ أحداً شِسْعٌ<sup>(٢)</sup> نعلك» فقال : «خذوا عليهم الطريق» . فثار بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا

(١) السرح : المشية . والغار : الغافل .

(٢) شسع النعل : زمامها التى بين الإصبع الوسطى والى تليها .

المهلب. فسبق بشر إلى الطريق فإذا رجل أسود من الأزارقة يُشل السرح ، أى يطرده . ولحقه المفضل ومدرك فصاحا برجل من طيء : «أكفنا الأسود» . فاعتوره الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه ، وأسرا رجلا من الأزارقة . فقال له المهلب : «من الرجل ؟» قال : «من همدان» قال : «إنك لَشَيْن همدان» وخلي سبيله .

وكان عيَّاش الكندى شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك . فقال المهلب : «لا وألت<sup>(١)</sup> نفس الجبان بعد عيَّاش» وقال المهلب : «مارأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم» .

ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال . فقال ليزيد : «حركهم» . فحركهم فتهابجوا . وذلك في قرية إصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب قطعنه فشكل فخذاه بالسرج . وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرُّقاد ، وهو من فرسان المهلب ، وهو أحد بنى مالك بن ربيعة على فرس له أدهم<sup>(٢)</sup> ، وبه نَيْف<sup>(٣)</sup> وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن . فلما حمل يزيد ولَّى الجمع وحماهم فارسان . فقال يزيد لقيس الحُشَني مولى العتيك : «مَنْ هُذَيْن ؟» قال : «أنا» . فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الحُشَني فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا إلى الأرض فصاح قيس الحُشَني : «اقتلونا جميعا» . فحملت خيل هؤلاء وخيل

(١) وأل : لجأ .

(٢) أدهم : أسود .

(٣) نيف : زيادة .

هؤلاء ، فحجزوا بينهما فإذا معانقه امرأة . فقام قيس مستحيا . فقال له يزيد : « أما أنت فبارزتها على أنها رجل » . فقال : « رأيت لو قُتلت أمّا كان يُقال قتلته امرأة ؟ » وأبلى يومئذ ابن المُنجب السُدوسي ، فقال له غلام له يقال له خِلاج : « والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير إلى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين » : فقال له مولاة : « وكيف تمنيت اثنتين » . قال : « لأعطيك إحداها وأخذ الأخرى » .

فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى <sup>(١)</sup> له عن إصطخر ودرابجرود لأرزاق الجند . ففعل . وكان قطرى هدم مدينة إصطخر لأن أهلها كانوا يكتبون المهلب بأخباره . وأراد مثل ذلك بمدينة نسا فاشتراها منه آزاذ مرد بن الهريرة بأئة ألف درهم فلم يهدمها . فواقعه المهلب فهزمه ونفاه إلى كرمان . وأتبعه ابنه المغيرة ، وقد كان دفع إليه سيفا وجه به الحجاج إلى المهلب ، وأقسم عليه أن يتقلده . فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلد به فرجع به المغيرة إليه وقد دمّاه . فسُرَّ المهلب بذلك ، وقال : « ما يسرنى أن أكون كنت دفعته إلى غيرك من ولدى أكفى جباية خراج هاتين الكورتين » . وضم إليه الرقاد فجعلا يجيان وحارهم المهلب بالسرجان حتى نفاهم عنها إلى جيزفت واتبعهم فرل قريبا منهم .

واختلفت كلمتهم . وكان سبب ذلك أن قطريا كان قد استعمل رجلا من الدهاقين <sup>(٢)</sup> ، فظهرت له أموال كثيرة . فأتوا قطريا ، فقالوا : « إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عماله على مثل هذا » . فقال قطرى : « إنى استعملته وله

(١) يتجافى : يتجاوز .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الإقليم .

ضياح وتجارات » . فأوغر ذلك صدورهم . وبلغ ذلك المهلب فقال : « إن اختلافهم أشد عليهم مني » .

وقالوا لقطرى : « ألا تخرج إلى عدونا » . فقال : « لا » . ثم خرج . فقالوا : « قد كذب وارتد » . فاتبعوه يوما ، فأحس بالشر فدخل دارا . فمر جماعة من أصحابه فصاحوا به : « يادآبة اخرج إلينا » فخرج إليهم فقال : « رجعتم بعدى كفارا » فقالوا : « أأنت دابة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ لكنك قد كفرت بقولك : إنا قد رحعنا كفارا ، فتب إلى الله عز وجل » . فشاور عبيد الله فقال : « إن تبتم لم يقبلوا منك ، ولكن قل : إنما استفهمت فقلت : أرجعتم بعدى كفارا » . فقال ذلك لهم فقبلوه منه . فرجع إلى منزله .

وعزم أن يبيع المقعطر العبدى فكرهه القوم وأبوه . فقال له صالح بن محراق عنه وعن القوم : « ابغ لنا غير المقعطر » . فقال قطرى : « أرى طول العهد قد غيركم ، وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله ، وأقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم » . فقال له صالح بن محراق : « إن الناس قبلنا ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاص ففعل . ويجب على الإمام أن يعفى الرعية مما كرهت » فأبى قطرى أن يعزله . فقال القوم : « إنا خلعتك وولينا عبد ربه الصغير » . فانفصل إلى عبد ربه أكثر من الشطر ، وجأهم الموالي والعجم . وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء . ثم ندم صالح بن محراق فقال لقطرى : « هذه نفحة من نفحات الشيطان فاعفنا من المقعطر ، وسر بنا إلى عدوك » . فأبى قطرى إلا المقعطر . فحمل فتى من العرب على صالح بن محراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله .

فنشبت الحرب بينهم فتهابوا ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم . فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجَلَّت الحرب عن ألقى قتيل . فلما كان الغد باكروهم القتال . فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة ، وأقام عبد ربه بها ، وصار قطرى خارجا من مدينة جِرْفَت يازائهم . فقال له عبيدة : « يا أمير المؤمنين ، إن أقمتَ لم آمن هذه العبيد عليك إلا أن تخندق » . فخذق على باب المدينة وجعل يناوشهم .

وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه . فقال له : « أصلح الله الأمير ، عاجلهم قبل أن يصطلحوا » . فقال المهلب : إنهم لن يصطلحوا ، ولكن دعهم فإنهم سيصيرون إلى حال لا يفلحون معها » ثم دس رجلا من أصحابه ، فقال : « انت عسكر قطرى فقل : إني لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزله منزله هذا فبان خطؤه . أتقيم بين المهلب وعبد ربه ، يفاديه هذا القتال ويراوجه هذا » فسمى الكلام إلى قطرى . فقال : « صدق ، تحنوا بنا عن هذا الموضع . فإن اتبعنا المهلب قاتلناه ، وإن أقام عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون » . فقال له الصلت بن مرة : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد الله فأقدم على القوم ، وإن كنت تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنا » . ثم قال : « أصبح المهلب يرجومنا ما كنا نطمع فيه منه » . فارتحل قطرى .

وبلغ ذلك المهلب فقال لهُرَيْم بن عدى بن أبى طَحْمَةَ المُجَاشَعِي : « إني لا آمن أن يكون قطرى كادنا بترك موضعه ، فاذهب فتعرف الخبر » . فمضى هریم في الثنى عشر فارسا فلم ير في العسكر إلا عبدا وعِلْجاً<sup>(١)</sup> . فسألها عن قطرى

(١) العِلْج : الضخم القوى من الكفار .

وأصحابه فقالوا : « مضوا يرتادون غير هذا المنزل » . فرجع هريم إلى المهلب فأخبره . فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطرى فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى . ووجه المهلب يزيد إلى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطرى ، وأنه مقيم على عبد ربه ، ويسأله أن يوجه في أثر قطرى رجلا جلدا في جيش . فسراً ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب إلى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب . فكانوا يتفادون ويتراوحن فتصيبهم الجراح . ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم إلى بعض . فقال عبيد بن موهب للمهلب : « قد بان عدوك وأنا مخبر الأمير » .

ولما اشتد الحصار على عبد ربه قال لأصحابه : « لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره ، والمسلم إذا صح توحيد عذ بربه وقد أراحكم الله من غلظة قطرى وعجلة صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط عبيدة بن هلال ، ووكلكم إلى بصائركم فالتقوا عدوكم بصبر ونية .. وانتقلوا عن منزلكم هذا ، من قتل منكم قتل شهيدا ، ومن سلم من القتل فهو المحروم » .

وقدم في هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي يستحثه بالقتال ، ومعه أميان فقال له : « خالفت وصية الأمير ، وآثرت المدافعة والمطالبة » . فقال لهم المهلب : « ما تركتُ جهدا » . فلما كان العشى خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا . فقال المهلب لأصحابه : « الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهب » . فقال له عبيد : « هذا لعمري أيسر عليك » . فقال للناس : « ردوهم عن وجهتهم » . وقال لبيته : « تفرقوا في الناس » . وقال لعبيد بن أبي ربيعة : « كن مع يزيد

فخذُه بالمحاربة أشد الأخذ» . وقال لأحد الأمينين : «كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور» . فاقتلوا قتالا شديدا حتى عُقرت الدواب وصُرع الفرسان ، وقتلت الرجال . فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق<sup>(١)</sup> الخسيس أشد قتال . وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب . فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب إلى المغيرة : « خَلَّ عن الرمح عليهم لعنهم الله » فخلوا لهم عنه . ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت . ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع ، وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقيفي والأمينان .

ثم اتبعهم فإذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها إلا قوى ، يأتي الرجل بالذلو قد شدها في طرف رمحه فيستقي بها ، وهناك قرية فيها أهلها . فغاداهم القتال وضم الثقيفي إلى يزيد ، وأحد الأمينين إلى المغيرة . واقتل القوم إلى نصف النهار فقال المهلب لأبي علقمة العبدى ، وكان شجاعا عاتيا : « أمدد بخيل اليخمد ، وقل لهم : فليعيرونا جماجمهم ساعة » فقال له : « إن جماجمهم ليست بفخار فتعار ، وليست أعناقهم كرادى<sup>(٢)</sup> فتبت » . وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة : « اجمل » فقال : « لا إلا أن تزوجنى أم مالك بنت المهلب » . ففعل فحمل على القوم فكشفهم .

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج . فالتفت عند ذلك المهلب إلى المغيرة فقال : « ما فعل الأمين الذى كان معك » قال : « قتل » .

(١) العلق : الجراب .

(٢) الكرادى : أعداق النخل .

وكان الثقفى قد هرب وقال ليزيد : « ما فعل عبيد بن أبي ربيعة ؟ » قال : « لم أره منذ كانت الجولة » . فقال الأمين الآخر للمغيرة : « أنت قتلت صاحبي » فلما كان العشى رجع الثقفى . وقال المهلب للأمين الآخر : « ينبغي أن تتوجه مع ابني حبيب في ألف رجل حتى تُبَيِّتوا عسكرهم » . فقال : « ما تريد أيها الأمير إلا أن تقتلني كما قتلت صاحبي » . قال : « ذاك إليك » . وضحك المهلب ولم تكن للقوم خنادق . فكان كلُّ حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدة مع المهلب ، وهم في زهاء ثلاثين ألفا .

فمكثوا أياما على غير خنادق يتحارسون ودواهم مُسْرَجَة . فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التي قُتِل في صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال : « يا معشر المهاجرين إن قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل إليه فالفقوا عدوكم . فإن غلبوكم على الحياة فلا يَغْلُبْكُمْ على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم . وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يَهَبْهَا لكم في الآخرة » . فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا نسي به ما كان قبله . فقال رجل من الأزد وغيرهم ، فصُرِع بعضهم ، وقُتِل بعض ، وجُرِح بعض . وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب : « اجملوا » . فقال المهلب : « أعرابي مجنون » وكان من أهل نجران . فحمل وحده فاخترق القوم حتى نَجِم<sup>(١)</sup> من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتمايح الناس فترجلت الخوارج وعقروا دواهم . فناداهم عمرو القنا ، ولم يترحل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمئة : « موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها » . فقالوا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار . فاقتلوا . ونادى المهلب بأصحابه :

(١) نَجِم : طلع .

« الأرض ! الأرض ! » وقال لبنيه : « تفرقوا في الناس ليرى وجوهكم » . ونادى الخوارج : « ألا إن العيال لمن غلب » فصرى بنو المهلب . وصرى يزيد بين يدي أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه . فقال له أبوه : « يا بني ، إنى أرى موطننا لا ينجو فيه إلا من صبر وما مر بي يوم مثل هذا منذ مارست الحرب » . وكسرت الخوارج أجفان سيوفها . وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا . فهرب عمرو القنا وأصحابه ، واستأمن قوم وأجلت الحروب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج . فأمر المهلب بأن يدفَع كل جريح إلى عشيرته . وظفر بعسكرهم فَحَوَى ما فيه ثم انصرف إلى جيفت فقال : « الحمد لله الذى ردنا على الخَفْضِ والدُّعَا ، فما كان عيشنا بعيش » .

وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه وأظهر إكرامه وبره ، وقال :  
« يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب » .

## المختار من التعازي والمراثي

قيل إنه لم يقل في شيء قط كما قيل في التعازي والمراثي لأن الناس لا ينفأكون من المصائب ، ومن لم يشكل <sup>(١)</sup> أخاه ثكله أخوه ، ومن لم يعدم نفيسا كان عو المعدوم دون النفيس. وحق الإنسان الصبر على النوائب ، إذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء. وعلى فراق المألوف حرقة لا تُدفع ولو همة لا ترد . وإنما يتفاضل الناس بصحة الفكر ، وحسن العزاء ، والرغبة في الآخرة ، وجميل الذكر . فقد قال أبو خراش الهذلي ، وهو أحد حُكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرة :

تقول أراه بعد عروة لا هيا	وذلك رزءٌ لو علمت جليل
في تحسني أني تناسيتُ عهدَه	ولكن صبري يا أميمَ جميل

وكان يقال : من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها <sup>(٢)</sup> على المصائب ، فعاجز الرأي .

وعزى رجل رجلا من ابنه فقال : « أكان يغيب عنك ؟ » قال : « كانت غيبته أكثر من حضوره » . قال : « فأنزله غائبا عنك فإنه إن لم يقدّم عليك قدمت عليه » .

(١) يشكل : يفقد .

(٢) يوطنها : يدلّ لها .

وقال إبراهيم بن المهدي يذكر ابنه :

وإني وإن قدّمتَ قبلي لعالمٍ      بأني وإن أبطأتُ منك قريب  
وإن صباحا نلتقى في مسائه      صباح إلى قلبي الغداة حبيب

وحدّثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك ، خطب الناس

فقال :

« الحمد لله الذي جعل الموت حتما واجبا على عباده . فسوّى فيه بين  
ضعيفهم وقويهم ، ورفيعهم ودنيهم ، فقال تبارك وتعالى : ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ )  
فليعلم ذور النهي منهم أنهم صائرون إلى قبورهم مفردون بأعمالهم ، واعلموا أن  
الله مسألة فاحصة ، قال الله تبارك وتعالى : ( قَوْلِكَ لَنْسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ) .

وحدّثت أن عمر بن الخطاب لما ولي كعب بن سُور الأزدي قضاء البصرة ،  
أقام عاملا له عليها إلى أن استشهد ، على أنه كان قد عزله ثم رده . فلما قام عثمان  
ابن عفان أقره . فلما كان يوم الجمل خرج مع إخوة له قالوا : ثلاثة ، وقالوا :  
أربعة ، وفي عنقه مصحف فقتلوا جميعا . فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت :

يا عينُ جُودِي بدمعِ سَرِبِ      على فنيةٍ من خِيَارِ العَرَبِ  
وما همُ غَيْرَ حِينِ النَفْسِ      سِ أَيْ أَمِيرِي قَرِيْبِ غَلْبِ

وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس ، وكان عاملا لعلي بن أبي طالب  
على اليمن فشخص إلى علي واستخلف على اليمن عمر بن أراكة الثَّقَفِي . فوجه  
معاوية إلى اليمن ونواحيها بُسْر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن

أراكة . وأرشد بُسر عن ابنين لعبيد الله بن العباس وهما طفلان ، وأمهما من بنى الحارث بن كعب فوارهما ، فيقال : إنه أخدهما من تحت ذيلها فقتلهما . ففي ذلك تقول الحارثية :

يا مَنْ أَحْسُ بِنِيِّ اللّٰدِينِ هَمًّا	كالدُّرَّتَيْنِ تَشْطَىٰ عَنْهُمَا الصَّدْفِ
يا من أحس بنى اللذين هَمًّا	سَمْعِي وَطَرْفِي فَطَرَفِي اليَوْمِ مَحْتَضَفِ
يا من أحس بنى اللذين هَمًّا	مخ العظام فمخى اليوم مُزْدَهَفِ
بُيِّنْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَّقْتُ مَا زَعَمُوا	من قَوْلِهِمْ وَمَنِ الْإِفْكَ الَّذِي اقْتَرَفُوا
أَلْحَىٰ عَلَيَّ وَدَجَىٰ طِفْلِي مُرْهَفَةً	مشحوذة وعظيمُ الإفك يقرَفِ
من دَلُّ والهة حرمي مفجعة	على صيين غابا إذ مضى السلف <sup>(١)</sup>

وقال رجل من المخدثين في ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا في يوم واحد ، وهما طفلان ، شبيها بهذا . ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره ، وهو الطائي :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا	لو أمهلتُ حتى تكون شمائلًا
إِن الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ	أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال جرير :

لَوْلَا الْحِيَاءُ هَاجَنِي اسْتِعْبَارُ	ولزرت قبرك والحبيب يزارُ
نِعْمَ الْخَلِيلُ وَكُنْتُ عِلْقَ مَضْنَةٍ	ولدى منك سكينَةٌ ووقار <sup>(٢)</sup>

(١) تشطى : انشق . ومزدهف : قد ذهب به . والإفك : الكذب . والودج : عرق في العنق .

لنْ يُلبثَ القرناءُ أنْ يتفرقوا      ليلَ يَكر عليهم وهمُ سار  
صلى الملائكة الذين تخيروا      والصالحون عليك والأبرار

وقال عقيل بن علفة المرى من غطفان :

لعمري لقد جاءت قوافلُ خَبِرت  
وقالوا ألا تبكى لمصرع هالك  
كأن المنايا تبغى في خيارنا  
لنأت المنايا حيث شاءت فإنها  
ففي كان مولاه يحلُّ بنَجوةٍ  
بأمر من الدنيا على ثقیل  
أصاب سبيلَ الله خيرَ سبيل  
ها ترةٌ أو تهتدى بدليل<sup>(١)</sup>  
مُحللة بعد الفتى ابن عقيل  
فحل الموالي بعده بمسيل

والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين ، فالخزم التسلي عمالا  
يُغنى الغم فيه ، والاحتيايل لدفع ما يُدفع بالحيلة . ومن أحسن القول في هذا المعنى  
في الإسلام قول علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام ، حيث مات ابنه فلم  
يُر منه جزع فسئل عن ذلك ، فقال : « أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم نكره »  
وفي هذا زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل .

ومن أقدم ما قيل في هذا المعنى قول أوس بن حَجَر الأسيدي يرثي فضالة بن  
كلدة أحد بني أسد بن خزيمة :

أيتها النفس أجملی جزعا      إن الذي تحدرين قد وقعا  
إن الذي جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جمعا

(٢) علق مضنة : الشيء النفيس الذي يحرص عليه .

(١) الترة : الثار .

الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا  
 المُخْلَفُ المُتَلَفُ المُرَّرَ المِمْ      يُمْتَعُ بضعف ولم يمت طبعها  
 والحافظِ النَّاسِ في تحوط إذا      لم يُرْسِلُوا خَلْفَ عائدِ رَبْعَا  
 وعزّت الشمالِ الرياحِ وقد      أمسى كَمِيعُ الفتاةِ مُلتفعا  
 وشبههُ الهَيْدَبُ العَبَامُ من السَّاقِوامِ سَقَبَا مُلْبَسَا فَرَعَا  
 وكانت الكاعِبُ الممنعة السَّحْناءِ في زاد أهلها سَبْعَا  
 لِيُكْكِ الشربِ والمدامةِ والسَّفْتِيَانُ طُرَا وطامِعُ طَمِعَا  
 وذاتِ هِدْمِ عارِ نُوَاشِرُهَا      تُصْمِتُ بالماءِ تَوَلْبَا جَدَعَا

الألعى : الحديد اللسان والقلب ، وقد أبانه بقوله الذى يظن لك الظن كأن  
 قد رأى وقد سمعا . والمخلف المتلف : أراد أنه يتلف ماله كرمًا ويخلفه نجدة .  
 والطبع : أسوأ الطمع ، وأصله أن القلب يعتاد الحلة الدنيئة فتركه كالحائل بينه  
 وبين الفهم لقبح ما يظهر منه . وتحوط وقحوط : اسمان للسنة الجدية . والعائد:  
 الحديثة النتاج . والربيع : الذى ينتج فى الربيع ، ومن شأهم فى سنة الجذب أن  
 ينحروا الفصال لثلاث ترضع فتضر بالأمهات . وعزت الشمال الرياح : يقول غلبتها  
 وتلك علامة الجذب وذهاب الأمطار . والكميع : الضجيع . والكاعب : التى  
 كعب لديها ، يقول تصير كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام .  
 وذات دم : يعنى امرأة ضعيفة . والهدم : الكساء الخلق الرث . والنواشر :  
 عروق الساعد . والتولب : الصغير . والجدع : السيء الغداء .

وقالت ليلى الأخيلية :

نظرتُ ورُكِّنَ من بُوانةِ دونِنا      وأرْكانُ حِمْيَ أَىُّ نظرةِ ناظرِ

إلى الخيل أجلى شأوها عن عقيرة  
 كان فتى الفتيان توبة لم يُسَخِّ  
 ولم يَبْنِ أبرادا رفاقا لفتية  
 فتى لا تخطأه الرفاق ولا يرى  
 وكنت إذا مولاك خاف ظلامه  
 لعاقرها فيها عقيرة عاقر  
 قلائص يفحصن الحصى بالكراكر  
 كرام ويرحل قبل فتى الهواجر  
 لقدّر عيالا دون جار مجاور  
 دعاك ولم يقنع سواك بناصر

شأوها : طَلَّقَهَا . وقولها : لعاقرها فيها عقيرة عاقر : أى أصابوا عقيرة  
 نفيسة. وقولها : ويرحل قبل فتى الهواجر : تريد أنه متيقظ ظفان . والمولى فى قولها :  
 إذا مولاك خاف ظلامه ، يحتمل ضروبا ، والمولى هنا : ابن العم . وقولها : ولم يبن  
 أبرادا : تريد الخيام .

وكانت الخنساء وليلى بائنتين فى أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول . فمن  
 ندر من النساء فى باب من الأبواب أم أيوب الأنصارية ، وأم الدرداء ، ورابعة  
 القيسية ، ومعاذة العدوية ، فإن هؤلاء النسوة تقدمن فى الفضل والصلاح ، على  
 تقدم بعضهن بعضا . فأما النساء الأشراف فإن القول فيهن كثير متسع . فمما ندر  
 من شعر الخنساء قولها ترثى صخرًا :

يا صخر ورّاد ماءٍ قد تناذره  
 مشى السبتي إلى هيجاءٍ معضلة  
 وما عَجولٌ على بؤّ تحنُّ له  
 ترزع ما غفلت حتى إذا اذكرت  
 أهلُ المياة وما فى ورده عارُ  
 له سلاحان أنيابٌ وأظفار  
 لها حنينان إعلانٌ وإسرار<sup>(١)</sup>  
 فإثما هى إقبال وإدبار

(١) البو : جلد ولد الناقة يحشى تبنا ويقدم لها لتحن عليه .

يوما بأوجع منى يوم فارقنى  
 وإن صخرًا لوالينا وسيدنا  
 وإن صخرًا لتأثم الهداة به  
 لم تره جارة يمشى بساحتها  
 قولها :  
 يا صخر وراى ماء قد تناذره  
 صخرٌ وللعيش إخلاء وإسرار  
 ولإن صخرًا إذا نشئوا لتخار  
 كأنه علمٌ فى رأسه نار  
 لريبة حين يعلى بيته الجار  
 أهل المياه وما فى ورده عار

تعنى الموت ، أى لإقدامه على الحرب . والسنىق والسبندى : واحد ، وهو  
 الجرىء الصدر ، وأصله فى النمر . والعجول : التى فارقها ولدها . وقولها : إلى  
 هيجاء معضلة تعنى الحرب . وقولها : كأنه علم فى رأسه نار ، فالعلم : الجبل .

ومن حسن شعرها قولها :

أعيني جودا ولا تجمدا  
 ألا تبكيان الجريء الجميل  
 طويل النجاد رفيع العماد  
 إذا القوم مَدُّوا بأيديهم  
 يُكَلِّفُه القوم ما عالهم  
 ترى الحمد يهوى إلى بيته  
 ألا تبكيان لصخر الندى  
 ألا تبكيان الفقى السيدا  
 د ساد عشيرته أمردا  
 من الجمد ثم مضى مُصْعِدا  
 إن كان صغره مَوْلِدا  
 يرى أفضل الكسب أن يُخَمِّدا

النجاد : حامل السيف ، تريد بطول نجاهه طول قامته ، وهذا مما يمدح به  
 الشريف . ورفيع العماد : إنما تريد ذاك ، يقال : رجل مُعَمِّد أى طويل . وما عالهم  
 أى لاهم ونزل بهم .

ومن جيد قولها :

أبعَدَ ابنِ عمرو من آلِ الشَّريِّ —  
لَعَمْرُو أَيِّهِ لَنَعَمَ الفُتَى  
فإن تَك مُرَّةٌ أودتْ بِهِ —  
فخَرَّ الشَّوامِخُ مِن فَقدِهِ  
فأولَى لِنَفْسِي أولَى هُـا —  
فأَمَّا عَلَيها وإمَّا هُـا

حلت : من الحلى : تقول : زينت به الأرض الموتى . وقولها : نعم الفتى إذا النفس أعجبها ماها : تقول : يجود بما هو له في الوقت الذي يؤثره أهله على الحمد والشوامخ : الجبال . والشامخ : العالى . وعلى آلة : أى على حالة وعلى خبطة هى الفيصل ، فإما ظفرت وإما هلكت . وقولها : فأولى لنفسى أولى لها : يقول الرجل إذا حاول شيئا فأفلقته من بعدها ما كاد يصيبه : أولى له ، وإذا أفلت من عزيمة قال : أولى لى .

وقالت الخنساء ترى أخاها معاوية بن عمرو ، وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها ، وكان صخر أخاها لأبيها ، وكان أحبهما إليها . وكان صخر يستحق ذلك منها بأمر منها أنه كان موصوفا بالحلم ، ومشهورا بالجود ، ومعروفا بالتقدم فى الشجاعة ، ومحظوظا فى العشرة :

أرىقى من دموعك وأستقيقى —  
وقولى إن خير بنى سليم  
ألا هل ترجعن لنا الليلالى —  
وإذ نحن الفوارس كل يوم  
وإذا لنا معاوية بن عمرو —  
وصبرا إن أطقت ولن تُطيقى  
وفارسها بصحراء العقيق  
وأيامنا بلوى الشقيق  
إذا حضروا وفتيان الحقوق  
إلى أذملاء كالجمل الفئيق

فبكيه فقد أزدى حميـدا      أمينَ الرأيِ محمودَ الصديق  
فلا والله لا تسلاك نفسى      لفاحشة آتيت ولا عُقوق  
ولكنى رأيت الصبر خـيرا      من التعلين والرأس الحليق

تأويل التعلين أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت في يدها نعلين تصفق بهما وجهها . وإنما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل أن يُصاب صخر أخوها . فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله . وكان معاوية فارسا شجاعا ، فأغار في جمع من بني سليم على غطفان ، وكان صميم خيلهم . فَنذِر به<sup>(١)</sup> القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب . فلما رأوا ذلك هَيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم . فاستطرد<sup>(٢)</sup> له أحدهما ، فحمل عليه معاوية فطعنه . وخرج عليه الآخر ، وهو لا يشعر ، فقتله فنادى القوم : « قُتل معاوية » . فقال خُفَاف بن نُدْبَة : « قتلني الله إن رمّت<sup>(٣)</sup> حتى أثار به » . فحمل على مالك بن حمار ، وهو سيد من بني شَمَخ بن فزارة ، فقتله .

فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر، فقال : « أيكم قاتل أخي ؟ » فقال أحد بني حرملة للآخر : « خَيْرُهُ » . فقال : « استطردتُ له فطعني هذه الطعنة ، وحمل عليه أخي فقتله ، فأينا قتلت فهو ثارك . أما إنا لم نَسْلُب أخاك » . قال : « فما فعلتُ فرسه السُمِّيُّ » . قال : « ها هي تلك فخذها » فانصرف بها . فقيل لصخر : « ألا تهجوهم ؟ » فقال : « ما بيني وبينهم أقدع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم إلا صيانة للسان عن الخنا لفعلت » . ثم خَاف أن يُظن به عِيٌّ فقال :

(١) نذر به : علمه فحذره واستعد له .

(٢) استطرد له : أظهر له الافترام مكيدة .

(٣) رمت : انضلت .

وعاذلة هَيْت بليـل تلومني  
 تقول ألا تمجو فوارس هاشم  
 أبي الشتم أني قد اصابوا كريمي  
 إذا ما امرؤ أهدى لَمَيْت تحيية  
 وهونَ وَجدي أني لم أَقُلْ له  
 ألا لا تلوميني كفى اللومَ مايبيا  
 ومالي إذ أهجوهم ثم مايبيا  
 وأن ليس إهداء الخنامن شماليا  
 فحيّك ربُّ العرش عني معاويبا  
 كذبتَ ولم أبخل عليه بمايبيا

فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم . فنظرت غطفان إلى خيله بموضعها فقال بعضهم لبعض : « هذا صخر بن الشريد على فرسه السمى » . فقيل : « كلا السمى غراء <sup>(١)</sup> » وكان قد حَمَمَ <sup>(٢)</sup> غرثا فأصاب فيهم وقتل دريد ابن حرملة . وأما هاشم فإن قيس بن الأسور الجشمي لقيه وقد انفرد لحاجته ، فقال : « لا أطلب بمعاوية بعد اليوم » فأرسل عليه سهما ففلق قُحُقُحَه <sup>(٣)</sup> .

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد ، أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتلوا قتالا شديدا . فارقض أصحاب صخر عنه . وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقلَ بها . فلما صار إلى أهله تعالج قتلمان الجرح كمثل اليد . فأضناه ذلك حولا . فسمع سائلا يسأل امرأته ، وهو يقول : « كيف صخر اليوم ؟ » . فقالت : « لا ميت فينعي ولا صحيح فيرجي » . فعلم أنها قد برمت به . ثم عزم على قطع ذلك الموضع ، فلما قطعه مات .

(١) الفرس الغراء : التي لها بياض في جبهتها .

(٢) حمم : سود .

(٣) القحقح : ملتقى الوركين من الباطن .

وكانت العرب تقدم مرأى وتفضلها وترى قائلها بما فوق كل مؤبن ،  
وكأهم يرون ما بعدها من المرثى منها أخذت ، وفي كنفها تصلح . فمنها قصيدة  
أعشى باهلة . ويكنى أبا قحافة ، التي يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلي . وكان  
أحد رجلى العرب ، وهم السعاة السابقون في شغيعهم . وكان من خبره أنه أسر  
صلاة ابن العنبر الحارثي ، فقال : « افد نفسك » . فأبي . فقال : « لأقطعنك  
أئمة أئمة وعضوا عضوا ما لم تفد نفسك » فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج  
من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة ، وهو بيت كانت خشم تحجه ، زعم أبو عبيدة أنه  
بالعبلات ، وأنه مسجد جامعها فدلته عليه بنو نُفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين .  
فقبضوا عليه فقالوا : « لنفعلن بك كما فعلت بصلاة » ففعلوا ذلك به . فلقي  
واكب أعشى باهلة ، فقال له الأعشى : « هل من جانية خير ؟ » قال : « نعم  
أمرت بنو الحارث المنتشر » وكانت بنو الحارث تسمى المنتشر مُجدعا . فلما  
صار في أيديهم قالوا : « لَنُقطعنك كما فعلت بصلاة » فقال أعشى باهلة يرثى  
المنتشر :

من علَّ عَجَبٌ لا منها ولا سَخَرُ  
حيرانَ ذا حذرٍ لو ينفع الحذر  
وراكب جاء من تثليثٍ مُعتمر  
حتى التقينا وكانت دوننا مُضمر  
إذا الكواكب أخطأ نوءها المطر<sup>(١)</sup>  
على الصديق ولا في صفوه كَدَر  
بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر<sup>(٢)</sup>

إني أتئني لساناً لا أسرُّ بهِـا  
فَبِتُّ مُرُ نَفِقا للنجم أرقُبُهـه  
فجاشت النفس لما جاء جمعهمُ  
يأتي على الناس لا يُلوى على أحد  
يتعى امسراً لا تُغَب الحى جفنته  
من ليس في خيره شرٌّ يكذره  
طارى المصير على العزاء مُنصلت

(١) تغب الحى : تأتيهم يوماً وتغيب آخر .

(٢) للمصير : الأعماء .

لا تكرر البازل الكوماء ضربته  
وتفزع الشول منه حين تبصره  
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه  
تكفيه فلذة كبد إن ألم بها  
لا يتأرى لما في القدر يرقبه  
لا يغمز الساق من أين ولا صب  
مهفهف أهضم الكشحين منخرق  
عشنا بذلك دهرا ثم فارقتنا  
لا يأمن الناس ثمساه ومصبحه  
إما يصيبك عدو في مباوأة  
لو لم تخنه نفيل وهي خائفة  
زراد حرب شهاب يستضاء به  
إما سلكت سبيلا كنت سالكها  
من ليس فيه إذا قاوتة رهق

بالمشرفى إذا ما أجلود السفر :  
حتى تقطع في أعناقها الجرار (٢)  
وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر  
من الشواء ويكفى شربه الغمر (٣)  
ولا تراه أمام القوم يقتفر  
ولا يعرض على شرسوفه الصفر (٤)  
عنه القميص لسير الليل محتقر  
كذلك الرمح ذوات الصلبن ينكسر  
من كل أوب وإن لم يأت ينظر  
يوما فقد كنت تستعلي وتنصر (٥)  
ألم بالقوم ورد منه أو صدر  
كما يضيء سواد الطخية القمر  
فأذهب فلا يبعد لك الله منتشر  
وليس فيه إذا عاسرته عسر

أراد باللسان هاهنا الرسالة . وقوله : فبت مرتفقا ، وهو المتكىء على  
مرفقه، وإنما أراد السهر . وقوله : إذا الكواكب أخطا نوعها المطر . فالنوء  
عندهم طلوع نجم وسقوط آخر ، وليس كل الكواكب لها نوء وإنما كانوا

(١) البازل : الناقة التي ظهر ناهما . والكوماء : الضخمة السنام .

(٢) الشول : النوق التي مر على حملها أو وضعها سبعة أشهر .

(٣) الغمر : القدح الصغير .

(٤) الأيمن والوصب : التعب .

(٥) المياوأة : المبارزة .

يقولون هذا في أشياء بعينها . وقوله منصلت : يقال : سيف منصلت وصلت : إذا جرد من غمده . وقوله : ليلة لا ماء ولا شجر : يريد الفقر وقت الصعوبة . وقوله : لا تنكر البازل الكوماء ضربته . يقول : قد عود الإبل أن ينحرها ، ومن شأهم أن يعرّقبوها قبل التحر . والمشرى : السيف ، وهو منسوب إلى المشارف . وقوله : اجلود : امتد . وقوله : حتى تقطع في أعناقها الجرر ، يقول : اعتادت أن ينحرها فهي تفزع منه حتى تقطع جرحاً . وقوله : لا يتأرى لما في القدر يرقبه . يقول : لا يتحسس له . وقوله : ولا تراه أمام القوم يقتفر ، يقول : لا يسبقهم إلى شيء من الزاد . وقوله : يعض على شرسوفه الصفر ، الشراسيف : أطراف الضلع . والصفر : هناحية البطن . وقوله : مهفهف : يعني ضامرا ، وأهضم الكشحين توكيد له . وقوله : إما يصبك عدو في مباواة ، يقول : في وثر . والطخبة شدة الظلمة . وقوله : ليس فيه إذا عاسرته عسر : مدح شريف مثل قولهم : إذا عز أخوك فهن . ،عنا هذا فيمن لا يخاف استدلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته إلى باب الذل . فأما من كان كذلك فمعاسرته أحمد ومدافعتة أمدح .

ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك . وسنذكر منها أبياتا لختارها . ومن ذلك قوله :

أقول وقد طار السنأ في ربأبه	وغيث يسح الماء حتى ترّيعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك	ذهاب القوادى المدجنات فأمرعا <sup>(١)</sup>
وآثر سيل الواديين بديمة	ترشح وسميا من النبت خروعا
تحيتني وإن كان نائيا	وأضحى ترابا فوقه الأرض بلقعا <sup>(٢)</sup>

(١) أمرع : أخصب .

(٢) البقع : المقفرة .

فما وَجَدُ أَطَارَ ثَلَاثَ رَوَائِمِ  
يُذَكِّرُنْ ذَا الْبَيْتِ الْحَزِينِ بَيْتَهُ  
بِأَوْجَعِ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَا

وفيها :

رَأَيْنَ مَجْرًا مِنْ حُورٍ وَمَصْرَعَا  
إِذَا حُنَّتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا (١)  
وَنَادَى بِهِ النَّاعِي الرَّفِيعُ فَأَسْمَعَا

وَكُنَّا كَنَدْمَائِيْ جَدِيْمَةً حَقْبِيْمَةً  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَانِي وَمَالِكَا  
وَعِشْنَا بَخِيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلِنَا  
فِي أَنْ تَكُنَ الْأَيَّامُ فَرَقُّنَ بَيْنَنَا  
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالِكُ بَعْدَ مَا  
فَقَلْتُ لَهَا طَوْلُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتَنِي  
وَفَقَدْتُ بَنِي أُمِّ تَفَانُوًّا فَلَمْ أَكُنْ  
وَلَسْتُ إِذَا مَالِدَهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً  
وَلَا فَرَحٍ إِنْ كُنْتُ يَوْمًا بِغِبْطَةٍ  
وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا  
فَعَمْرُكَ إِلَّا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً  
وَقَصْرُكَ إِنْ قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ  
فَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى أَصَابَ مُتَالِعَا

مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا  
لَطَوَّلَ اجْتِمَاعُ لَمْ تَبِتْ لَيْلَةً مَعَا  
أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبِعَا  
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أُخِي يَوْمَ وَدَّعَا  
أُرَاكُ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أُرْعَا  
وَلَوْعَةً حُزْنٍ تَتْرِكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا (٢)  
خِلَافَهُمْ أَنْ أَسْتَكِينُ وَأَضْرَعَا  
وَرُزَا بِزَوَارِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعَا  
وَلَا جُزْعٍ إِنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَوْجَعَا  
إِذَا بَعْضٌ مِنْ لَاقِي الْخَطُوبِ تَكَعَّعَا (٣)  
وَلَا تَنْكَبِي قَرِحَ الْفُوَادِ فَيَجْعَا  
بِكْفَى عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَذْفَعَا  
أَوْ الرُّكْنِ مِنْ سَلْمَى إِذَا لَتَضَعَعَا

(١) البت : الحزن الشديد . وسجعن : رددن الصوت .

(٢) الأسفع : الأسود إلى حمرة .

(٣) تكععع : جبن .

وفي هذه القصيدة :

لقد كَفَنَ المِنهالُ تحتَ رِداءِه  
ولا بَرَمَ تُهدى النساءُ لِعِرسِه  
ليبيا أعامَ اللبِّ منه سِماحةً  
تراه كَنَصْلِ السيفِ يهتَزُّ للنَدَى  
إذا ابتدرَ القومُ القِدادَ وأوقدت  
بمِئتي الأيادي ثم لم تُلَفِ مالِكا  
ففي غيرِ مِبطانِ العِشِياتِ أروعا  
إذا القَشعُ من بردِ الشتاءِ تَقَمَّقعا<sup>(١)</sup>  
خِصيا إذا مارِئدُ الجذبِ أَوْضعا<sup>(٢)</sup>  
إذا لم تجدِ عن امرئِ السوءِ مَطعِما  
لهم نارُ أيسارِ كفى من تَضَجَّعا<sup>(٣)</sup>  
على الفِرتِ يحمى اللحمُ أن يَتَمزَّعا<sup>(٤)</sup>

الرباب : سحاب دون السحاب كالمعلق بما فوقه . وتريع : أى كثر حتى جاء  
وذهب . والذهاب : الأمطار اللينة . والمدججات من السحاب : السود . وآثر  
سيل الواديين بديمة : زعم الأصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم  
أياما برفق . والوسمى : أول مطر يسم الأرض . والوالى : كل مطرة بعد مطرة ،  
فالثانية ولى للأخرى لأنها تليها . والخروج : كل عود ضعيف . أظآر : جمع ظئر ،  
وهى السنوق تعطف على الحوار فتألفه . وروائم : واحدها رؤوم ومعنى ترامه  
تشمه . والحوار : ولد الناقة . وندمانى جذيمة : يعنى جذيمة الأبرش الأزدي ، وكان  
ملكا . والأفرع : التام شعر الرأس وغير مِبطان العِشِيات : يقول كان لا يأكل  
في آخر نهاره انتظارا للضيف . والأروع : ذو الروعة والهينة . والبرم : الذى لا  
يعزل مع الناس ولا يأخذ في الميسر ولا يتزع إلا نكدا . القشع : الجلد اليابس .

(١) تقمقع : أحدث صوتا .

(٢) أوضع : أسرع في سيره .

(٣) القدادح : سهام الميسر . والأيسار : القوم المجتمون على الميسر .

(٤) الفرت : فضلات الحيوان في كرشه .

ولما احتضر إبراهيم التَّمَعَى رحمه الله جزع جزعاً شديداً فقليل له في ذلك ،  
فقال : « وأى خطر أعظم من هذا ؟ إنما أتوقع رسولاً يرد على من ربي إما بالجنة  
وإما بالنار » .

ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول : « نفسي والله أعزُّ الأَنْفُسِ عَلَيَّ » .

ولما احتضر حجر بن عدى لِيُقْتَلَ ، سأل أن يمهّل حتى يصلي ركعتين . وظهر  
منه جزع شديد ، فقال له قائل : « أتجزع ؟ » فقال : « وكيف لا أجزع : سيف  
مشهور ، وكفن منشور ، وقبر محفور . ولست أدرى أيُّوَدَيِّني إلى جنة أم إلى نار » .

ومن ظهرت منه عند الموت قسوة هُدْبَة بن خَشْرَم العُدْرِي ، وكان قتل زيادة  
ابن زيد العُدْرِي . فلما حُمِلَ إلى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد  
فأدعى عليه . فقال له معاوية : « ما تقول ؟ » قال : « أحب أن يكون الجواب  
شعراً أم نثراً ؟ » قال : « بل شعراً فإنه أمتع » . فقال هُدْبَة :

فلما رأيتُ أَمَّها هي ضربةٌ	من السيف أو إغضاء عين على وِثْرِ <sup>(١)</sup>
عَمَدتُ لأمر لا يُعَيِّرُ والدي	خزائمه ولا يُسَبُّ به قـبـرى
رُمينا فرامينا فصادفَ سهمنا	منية نفس في كـتـاب وفي قَدْرِ
وانت أميرُ المؤمنين فماننا	وراءك من مَعَدَى ولا عنك من قَصْرِ
فإن تك في أموالنا لا تَضِقْ بها	ذُرْعاً وإن صَبْرٌ فنصبرُ للصبرِ

(١) الوتر : النـار .

فقال له معاوية : « أراك قد أقررت يا هذبة » . قال : « هو ذاك » فقال له عبد الرحمن : « أقدني <sup>(١)</sup> » . ففكرة ذاك معاوية وضم هذبة عن القتل ، وكان ابن زيادة صغيرا . فقال له معاوية : « أو ما عليك أن تشفى صدرك وتحرم غيرك » ثم وجه به إلى المدينة فقال : « يُحْبَس على أن يبلغ ابن زيادة » فبلغ . وكان والى المدينة سعيد بن العاص . ويقال : إنه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى إلا القَوَد . وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذُكِر لنا الحسين بن على ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وسائر القوم من قريش والأنصار . فلما خُرج به ليقاد بالحرّة جعل ينشد الأشعار . فقالت له حبيّ المدينة : « ما رأيت أقسى قلبا منك ! أنشد الأشعار وأنت يُمَضَى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول ؟ » تعنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبي ، فقال :

ما وجدت وِجْدِي بِهَا أُمَّ وَاحِدٍ      ولا وجدَ حَبِيّ يابن أُمَّ كِلابٍ  
رأته طويلاً السَّاعِدِينَ شَمْرَدَلًا      كما انعتت من قوّة وشباب <sup>(٢)</sup>

فأغلقت حبي الباب في وجهه وسبته وعرض له عبد الرحمن بن حسان ، فقال : « أنشدني » . فقال له : « أعلى هذه الحال ؟ » قال : « نعم » فأنشده :

ولست بمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَى      ولا جازِعٍ من صرْفِهِ المِثْقَالِيبِ  
ولا أَبْغَى الشرِّ والشرُّ تَارِكِي      ولكنّ متى أَهْمَل على الشرِّ أَرْكَبِ  
وحَرْبِي مولاى حتى غَشِيَتْهُ      متى ما يُجْر بُك ابن عمك تَحْرَب <sup>(٣)</sup>

(١) أقدني : اتص لي ، أى عالبه .

(٢) الشمردل : الفقى القوى الصبور .

(٣) حرّبه : أغضبه . وغشيتّه : أتته .

فلما قَدَّمَ نظر إلى امرأته فدخلته غيرة ، وقد كان جُدِعَ في حربهم فقال :

فإن يك أنفى بان منه جماله      فما حَسَبِي في الصالحين بأجدعا  
فلا تَتَكِحِي إن فَرَّقَ الدهر بيننا      أَعْمَ القفا والوجه ليس بأنزعا<sup>(١)</sup>

فقالت : « قفوا عنه ساعة » . ثم مضت ورجعت وقد اصْطَلَمَتْ<sup>(٢)</sup> أنفها  
فقالت : « أهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ » فقال : « الآن طاب الموت » ثم  
أقبل على أبويه فقال :

أبلياني اليوم صبرا منكما      إن حُزنا منكما اليوم لَشَرُّ  
ما أظن الموت إلا هيناً      إن بعد الموت دارَ المستقر  
ثم قال :

إذا العرشِ إني عائدٌ بك مؤمنٌ      مُقَرَّبٌ بزلاتي إليك فقيرٌ  
وإني وإن قالوا أميرٌ مسلطٌ      وحجابُ أبواب هُنَّ صريرٌ  
لَأَعْلَمُ أن الأمر أمرٌك إن تدنُ      فَرَبٌّ وإن تغفر فانت غفور<sup>(٣)</sup>

ثم قال لابن زيسادة : « أثبت قدميك وأجد الضربة ، فإني أَيْتَمْتُك صغيراً  
وأرملت أمك شابة » .

(١) أغم القفا : سال شعره عليه . والأنزع : المنحسر الشعر عن جانبي الجبهة . وكان

العرب يستحبون الرع ويكرهون الغمم .

(٢) اصطلمت : قطعت .

(٣) دانه : حكم عليه .

وذكر الحرمازي أن الأحف بن قيس لما مات ، وكان موته بالكوفة ،  
مشى المصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء ، وقال : « اليوم مات سيد العرب » .  
فلما دُفن قامت امرأته على قبره ، أحسبها من بنى منقر ، فقالت : « لله ذرّك من  
مُجَنِّ في جنن ، ومُدْرَج في كَفَن <sup>(١)</sup> ! فَنَسأل الذي فجَعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ،  
أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الخير دليلك ، وأن يوسع لك في قبرك ، ويغفر  
لك يوم حشرِك . فوالله لقد كنت في المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عطوفاً ، ولقد  
كنت في الحى مسوِّداً ، وإلى الخليفة موفِّداً . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك  
مُتَّبِعين » . فقال الناس : « ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها » .

ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع في جارية طالها سبع  
سنين يبدل فيها جاهه وماله وإخوانه حتى ملكها . فأقامت عنده ستة أشهر ثم  
ماتت . فقال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها . من ذلك قوله :

ما كان أبغذا من الدس	الله آنسة فُجعتُ هـ
يا قُربَ ماتمها من العُرس	أنت البشارة والنعي معـ
فرمى فؤادا غير محترس	يا مُلكُ نال الدهرُ فرصته
نفس عليك طويـلة النفس	كم من دموع لا تحف ومن
تحت الظلام تنوح في القلس <sup>(٢)</sup>	أبكيت مانـاحتَ مطوِّقة
ومواعظ يوحشن ذا الأئس	يا مُلكُ في وفيك معتبر
في لـذة ذرّك الملتبس	ما بعد فرقة بيننا أبدا

(١) الجن : المهيّب . والجنن : القبر .

(٢) المطوقة : الحمّامة ذات اللون المخالف عند رقبتهـا . والعلس : الظلام .

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترضى زوجها ، ولم يكن دخل عليها :

أبكىك لا للنعيم والأنس  
أبكى على فارسٍ فجعتهُ به  
يا فارسا بالعراء مطرَحًا  
مَنْ لليتامى إذا همَّ سَفَبوا  
أَمْ مَنْ ليرَى أَمْ من لفائدة  
بل للمعالي والرمح والفرسِ  
أرْمَلْنِي قَبْلَ لَيْلَةِ العرسِ  
خائنه قَوَادِه مَع الحرسِ  
وكلَّ عانٍ وكلَّ محْتَبسِ<sup>(١)</sup>  
أَمْ من لذكر الإله في الغلسِ

ومما أستطرفه من شعر يعقوب قوله :

ليت شعري بسأى ذنب لملك  
الذنب حقدته كان منها  
أَمْ لأمنى لسخطها ورضاهما  
ما ولى في العباد حتى لميت  
كان هجرى لقبورها واجتنابى  
أَمْ لعلمى بشغلها عن عتابى  
حين وازيت وجهها في التراب  
بعد يأس منه له في الإياب

وفى هذا الشعر :

إنما حسرتى إذا ما تدكك  
لم أزل في الطللاب سبع سنين  
فاجتمعنا على اتفاق وقدر  
أشهرًا ستة صحبتك فيها  
وأتاني التبعي منك مع البش  
تُعَانِيهَا وطول طلابى  
أَتَانِي لَذَاكَ من كل باب  
وَعَيْنَا عن فُرْقَةٍ باصطحاب  
كُنْ كالحلم أو كمنع السراب  
سرى فيأقرب أوبة من ذهب

(١) سَفَبوا : جاعوا . والعانى : الأسير .

ومن مליح شعره أيضا قوله :

وتمت فأعظمُ بما من مصيبيهِ	فُجِعْتُ بِمَلِكٍ وَقَدْ أَيْبَعْتُ
وأمتت بخلوان مُلْكٍ غَرِيْبِهِ	فأصبحتُ مغتربا بعدهما
منازلُ أهلي منى قريْبِهِ	أراني غريبا وإنْ أصبحتُ
فصادفْتُها ذاتَ عقلٍ أديْبِهِ	خَلَفْتُ عَلَى أختها بعدهما
بكاءِ كئيبٍ بجزنِ كئيبِهِ	فأقبلتُ أبكى وتبكى معي
بوجهِ الحبيبةِ أختِ الحبيْبِهِ	وقلتُ لها مرحبا مرحبا
فذاك الوفاءُ بظهرِ المغيْبِهِ (١)	سأصفيك ودى حفاظا لها
مُلْكٍ من الناسِ عندي ضريْبِهِ (٢)	أراك كَمُلْكٍ وإنْ لم تكن

## خطب ومواعظ

قال الأصمعي فيما بلغني : خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله واستغفره ووحدته وصلى على نبيه، فبلغ في إيجاز ثم قال : « أيها الناس إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار، فخذوا من مفركم لمفركم ، ولا تمسكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، في الدنيا كنتم ، ولغيرها خلقتم . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمصلى عليه رسول الله ، والمدعو له الخليفة ، والأمير جعفر بن سليمان . »

(١) أصفيك الود : أخلصه لك .

(٢) ضريبة : مثيلة .

وحدثت في بعض الأسانيد أن عمر بن عبد العزيز قال في خطبة له : « أيها الناس إنما الدنيا أمل مُخْتَرَمٌ <sup>(١)</sup> ، وأجل مُتَقَصٌّ ، وبلاغ إلى دارٍ غيرها ، وسير على الموت ليس فيه تعريج <sup>(٢)</sup> . فرحم الله امرأً فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه <sup>(٣)</sup> ، ونور قلبه . أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بدنب واحد ، وأن ربكم وعد على التوبة . فليكن أحدكم من ذنبه على وَجَلٍ <sup>(٤)</sup> ، ومن ربه على أمل » .

وذكر العتيبي قال : خطب الناس بالموسم عُتْبَةَ في سنة إحدى وأربعين ، وعهد الناس حديث بالفتنة . فاستفتح ثم قال : « أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر . فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإنما تنقطع دوننا . ورُبُّ مُتَمَنَّ حَتْفُهُ في أمينته . اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم . وإياكم « وَلَوْ » ، فقد أتعبت من كان قبلكم ، ولن تريح من بعدكم . فاسألوا الله أن يعين كُلاً عن كلِّ » . فَتَعَّقَ به أعرابي من مؤخر المسجد ، فقال : « أيها الخليفة » . فقال : « لستُ به ولم تُبعِد » قال : « فيا أخاه » قال : « قد أسمعَتَ فقل » فقال : « والله لأن تُحسنوا وقد أسأنا خَيْرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا . فإن كان الإحسان لكم فما أحقَّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمكافأتنا . رجلٌ من بني عامر يَمُتُ إليكم <sup>(٥)</sup> بالعمومة ،

(١) مخترم : مستأصل .

(٢) تعريج : وقوف وإقامة .

(٣) استقال ذنبه : استغفر منه .

(٤) الوجل : الخوف .

(٥) يمت إليكم : يتوسل .

ويختص إليكم بالحنولة ، وقد وطنه زمانٌ وكثرة عيال ، وفيه أجر، وعنده شكر» .  
فقال عتبة : « أستعيز بالله منك وأستعينه عليك . قد أمرت لك بفنالك ، فليت  
إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك » .

هذا آخر الكتاب ، وقد وقّيناه جميع حقوقه ، ووفّينا بجميع شروطه ، إلا ما  
أذهل عنه النسيان ، فإنه قلما يُخَلَى من ذلك .



# فهرس

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة
١٢	مقدمة المؤلف
١٣	من خطب الرسول والصحابة
٢٠	أشعار مستحسنة
٢٥	من أقوال الحكماء في المروءة
٢٦	نفاق
٢٦	هجاء وفخر
٢٩	أقوال سائرة
٣١	رثاء
٣٤	حسن الأدب
٣٦	حماية الجار
٣٩	الرجل القبيح الشجاع
٤٠	القول والفعل
٤٠	كلمات واعظة
٤١	توبة وخلق
٤٤	أقوال سيارة
٤٨	خريسات
٥١	أقوال

٥٢	..... السيد
٥٤	..... قلة النوم من الذكاء
٥٦	..... المعروف
٥٧	..... من أقوال العرب في الطيرة
٥٨	..... الفقر والغنى
٥٨	..... غزل
٥٨	..... مواعظ
٥٩	..... فرسان العرب
٥٩	..... دينيات
٦١	..... الأبناء ومآثر الآباء
٦٣	..... هجاء ومدح
٦٤	..... خير المجالس
٦٦	..... الإحسان والمنة
٦٧	..... نقد الأشعار
٧١	..... إصابة الهدف في المديح
٧٣	..... الدنيا
٧٤	..... علل
٧٥	..... أمثال
٧٧	..... التقوى
٧٩	..... الصديق عند الحاجة

٨٠	..... على وطلحة
٨٠	..... كفى بالسلامة داء
٨٢	..... بكاء الأبناء
٨٣	..... اللذة الباقية
٨٤	..... تواضع وبر وشجاعة
٨٥	..... عظات
٨٦	..... رثاء الأبناء والإخوة
٨٧	..... قومته
٨٨	..... جرير وقيس
٨٩	..... أبناء الشعراء
٩١	..... نصائح
٩٢	..... زياد بن أبيه والسلطان
٩٣	..... الحجاج
٩٥	..... غزل
٩٨	..... الأرحام
٩٩	..... أقوال لزياد
٩٩	..... توقيعات
١٠٣	..... الجسود
١٠٤	..... عجوزان
١٠٥	..... الرزق والمقدور

١٠٥	..... على ومعاوية
١٠٩	..... خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان
١١٠	..... العصية
١١١	..... بعد العسر يسر
١١٣	..... مواعظ
١١٥	..... الأعراب
١١٦	..... السواقط
١١٨	..... أفضل الأخبار
١١٨	..... مديح
١١٩	..... الفرزدق والذئب
١٢٠	..... الغد
١٢١	..... خطبة الحجاج حين ولي الكوفة
١٢٦	..... من أشعار المولدين
١٣٠	..... الصبر
١٣١	..... عقل ولسان
١٣١	..... أقضية
١٣٦	..... العرب والموالي والأنساب
١٣٨	..... صيغة فعال
١٤٠	..... الزواج
١٤٧	..... الخداع

١٤٧	سفارات
١٥٠	أولاد الإماء
١٥٥	مصعب وابنه
١٥٦	الكرام
١٥٨	مجلس عبد الملك بن مروان
١٥٨	كثير عزة
١٦١	نصيب
١٦٣	أقوال سياراة
١٦٤	الإخوان
١٦٥	الجود
١٦٧	الجود والبخل
١٦٧	الصدق
١٦٨	البغض
١٦٨	جواب
١٦٩	كذب الأعراب
١٧٤	اللسان
١٧٥	غزل وهو وغناء
١٨٦	الجد والهزل
١٨٦	ضروب الكلام والكناية
١٨٨	حب وغزل

١٩٠	.....	صيانة السر
١٩٢	.....	باب مختلط
١٩٢	.....	سعيد بن سلم
١٩٣	.....	البدل والالتفات
١٩٧	.....	تشبيهات المختارة
٢٠٥	.....	الرياح
٢١١	.....	أقبح العيوب
٢١٣	.....	التشبيهات المستحسنة
٢٣٣	.....	خفة بعد ثقل
٢٣٣	.....	البخل والجود
٢٣٤	.....	أخبار الخوارج
٣٢٦	.....	المختار من التعازي والمرثي
٣٤٦	.....	خطب ومواعظ
٣٤٩	.....	الفهرس